

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

العدد ١٣٣٩ : هذا الموافق لسنة ١٩٢١ م

تشرين في دمشق مرة في الشهر

تموز وآب سنة ١٩٣٦ م

الموافق ربيع الثاني و جمادى الأولى سنة ١٣٥٥ هـ

دمشق :

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ١٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً { وفي جميع الاقطار ٤٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل ٢٥٠ من السنة الاولى الى السادسة الى كل سنة منها

في الخارج ٤٠٠ ٢٠٠ السابعة الى الثانية عشرة ٢٠٠

٢٢٥ السابعة الى الثالثة عشرة ٢٢٥

اغلاط المستشرقين

للعلامة الأب أنستاس ماري الكرملي

١ . تمهيد

لا يجوز لأحد ان يذكر على المستشرقين ما لهم علينا — نحن الناطقين بالضاد — من الفضل في نشر تصانيف الاقدمين من السلف ونعيم فوائدها . ولولا هؤلاء الرجال الأفاضل لفقد جانب عظيم من ثروتنا — أو لا اقل من أن ذبا لك الكنز كان يبقى دفيناً إلى هذا العهد من غير ان نستفيد منه فائدة طيبة لا نحن ولا اولادنا .

والمستشرقون اذا نشروا كتاباً يتمسك به سائر ابناء الغرب من محبي تراث العرب وتالدهم . ويعتقدون في زملائهم العالم العالي والتحقيق البالغ ولا يسمعون لعربي إصلاح شيء لأولئك القوم . لا بل إن بعض ابناء هذا اللسان المبين ، ينسبون إلى المستشرقين كل تحقيق ، ويظنون أنهم اذا نطقوا بكلام او بحقيقة كان الامر في منتهى التحقيق ، ولا تعقيب عليه ولا استئناف .

على اننا نرى في هذه النسبة المبالغه بل الغلو ، ونظن ان علم المستشرقين عرضة للنقد والتحقيق كسائر الناس . ولا بد من ان ينتقدوا الانتقاد الصحيح ليظهر الغشاء وينبذ ، ويبلغ الى صميم الحق فيتبع . ولقد وجدنا هنوات لا نعتز لهاؤلاء المستشرقين من جميع الامم ، وفي جميع التعانيف ، وما نشروه من الكتب ، ولا يمكننا أن نتعرض لجميع هفواتهم ، فهذا بدعونا إلى وضع سفر ضخم ، بل عدة أسفار ، على أن مالا يبلغ كله لا يترك جله . ونحن نذكر بعض الامثلة لتلك الهنوات أو الهفوات ، لكي لا نكون من الكاذبين في مذهبنا اليه ، ودونك بعض هذه الأوهام :

٢ فريتغ الالماني

لفريتغ المنشرق الالماني كتب كثيرة نشرها بالعربية ، ونقلها إلى اللاتينية ، أو إلى الألمانية ، ومن هذه المؤلفات معجمه الشعر وهو معجم عربي منقول إلى اللاتيني . ولقد عثر فيه عثرات لا تحصى . وكل عثرة تثير لها الأرض ومن عليها . ومن جملة ذلك ما ذكره في مادة (ب ي ب ك) قال : « بَيْبِن (وزان زبذب) ضرب من الصفصاف عند أهل الأندلس ويسميه غيرهم بأدامك » وهذا كلامه باللاتينية dicta بأدامك Andalusis Species salicis, alus قلنا والكلمة ليست في كتاب عربي ثقة . فمن أين أتى لنا بها ؟ — انه نقلها عن معجم غوليوس ولم يشر إليه بخلاف مألوف عاداته ، اذ يذكر دائماً المصدر الذي يعتمد عليه . فرجعنا إلى غوليوس فاذا به يذكر هذا الكلام عينه وينسبه إلى ابن البطار . فبحثنا في مؤلف هذا النبائي فوجدناه يقول في مادة بأدامك : « قيل انه الشجر المعروف عندنا بالأندلس بالبين وهو صنف من الصفصاف . . . » فالطبعة المصرية المشهورة ذكرت الصفصاف باسم (البنين) . ولا جرم ان هذه اللفظة غير صحيحة . فقرأها غوليوس « البَيْبِن » فنقلها عنه فريتغ وعنه نقل محيط المحيط البيبن كزيب فقال : « البيبن ، البادامك » ولم يزد على هذا القدر . واذا أردت ان تعرف ما هو البادامك باحثاً عنها في محيط المحيط فانك لا ترى لها أثراً فيه في مادة (ب ا ذ ام ك) ولا في مادة (ب ذ م ك) فتبني جاهلاً لما تقرأ . اما فريتغ فقد ذكر باذانك وبادامك بالمعجم وبالمعملة وقال : هو الصفصاف ويسميه الأندلسيون بَيْبِنَا . فانظر الى ما في محيط المحيط من الخلل والقصور . وقد بحثنا في ما عندنا من معاجم اللغة الاسبانية عن كلمة (بَيْبِن) فلم نجد لها أثراً . فسالنا أحد الآباء الكرمليين الاسبانيين عما يعني عندهم الصفصاف فقال : (بَيْبِر) وزان جعفر . فقلت له اكتبها فكتبها هكذا VIMBRE (١) فعرفنا منه ان

(١) اغلب الاسبانيين العصريين يقولون اليوم MIMBRE وكتبا الكلمتين ترى مدونة في معاجمهم ويقابلها في الفرنسية SAULE NAIN اي الصفصاف القزم . و Osier اي الوشيج وقد اخطأ الدكتور لكلمة حين كتب في ترجمته نيب في ملحق العدد ٢٣٢

الاسبانيين كثيراً ما ينطقون بالحرف V باء وثاء على المبادلة ومنه بلنسية وهي بلسانهم VALENTIA ووادي الكبير وبلسانهم GUADALQUIVIR والوادي الابيض وبلسانهم GUADALAVIAR والبركان VOLCAN وبليش VELEZ والبندقية VENETIA والبيرة ELVIRÁ وقلة رباح CALATRAVA إلى غيرها من الالكه التي لا تحصى . اذن الكلمة المنشودة والصحيحة هي (بَنْبِر) فصحت (بَنْبِن) في معجم غوليوس وفريتيغ والبستاني الاكبر (١) ولم يذكرها الشرتوني ولا صاحب البستان . وصحتها طابع المفردات لابن البيطار بصورة (البنين) كائنها جمع (ابن) وصحت ايضا في بعض النسخ الخطية : « تَنْس ، وتين ، وتبين ، ونبير ، ونبير ، ونبير ، ونبير ، إلى ما لا يحصى عدة . والصواب ما ذكرناه وعليه الاعتقاد ، فليحفظ . وذكر فريتيغ في معجمه في مادة (ب و ل) البالة فقال : « المُرْ » (كذا بهذا الضبط اي كقفل) الذي يعتمل به في أرض الزرع » والظاهر انه لم يفهم العبارة ، والصواب المراد بفتح الميم ، ويقابله بالفرنسية PELLE أو BÈCHE او نحو ذلك . ولو فهم ما كتب لنقل الكلام إلى اللاتينية ، فلم يتعرض لذلك .

« بنبر » بيا . مشتاة من تحت في الاولى . ووه ثانية حين كتب في ملحق العدد ٨١٠ Innbra وبالعرية بنبر . والصواب ما اوردناه لك وحققناه من آباءنا الاسبانيين الكرمليين في بغداد .

وقد ذكر لكثير بين تصحيقات (بير) في ملحق كلمة خلاف ، العدد ٨١٥ « بنبر » وسن « فتأمل » .

(١) نشر الدكتور سليم شمعون وجبران النحاس كراسة سميها « تنبيهات اليازجي على محيط المحيط » فطبعا ما يتعلق بذلك المعجم الاغلاط التي وردت في باب الحمزة . فطائعتها فاذا هي فارغة مما هناك من الاغلاط الشائنة المشحون بها محيط المحيط . ونحن نجل الشيخ اليازجي عن ايراد تلك الاقوال الطويلة الفارغة لتأييد صحة كلمة واحدة والسكوت عن اوهام شنيعة كثيرة وردت في باب الحمزة . فالصحح في تلك الكراسة هو دون العشر ، ومن الغريب انهما سكتا عن هفوات عظيمة كثيرة تصفر عندها ما اورداه من هذا القليل .

وذكر في مادة (ب الاون) ما هذا نقله بحروفه الاعجمية : « Secundus dies hebdomadis, -Gol. ad Alfery p. 17 ومعنى ذلك بلساننا » هو يوم الاثنين من الاسبوع نقل ذلك غوليوس عن الفرغاني ص ١٧ « فراجعنا هذا الكتاب فاذا فيه هذان البيتان :

أو مل ان اعيش وان يومي باول او بأهون او جبار
أو التالي دبار فان افته فمؤنس أو عروبة او شبار
فقرأ غوليوس بأهون المركبة من باء الجر و «أهون» كأوحد وهو يوم الاثنين عند الاقدمين كلمة واحدة وزان ناقوس فقال « باهون » فادخل في لغتنا كلمة لم يكن للعرب فيها عهد .

٣ غوليوس الالماني

هذا اللغوي الالماني كثير السقطات والعثرات . وقد اكتفينا بما نقلناه عنه في تقدنا لمعجم فريتغ فلا حاجة لنا الى الاطالة .

٤ الدكتور لكير ناقل مفردات ابن البيطار الى الفرنسية Dr. LECLERC في المفردات في مادة صفراغون (٢ : ٨٥ من النسخة المطبوعة في مصر) : اسم طائر يسمى بالافرنسية هكذا . وهو المسمى طرغلوديس وسنذكره في الطاء . اد . — ونقل اسم هذا الطائر بقوله Motacilla وقال في التعليقة التي علقها على الترجمة المذكورة ما هذا معناه بلساننا : « الكلام هنا على Phinis الذي ذكره ديسقوريدس وهو المعروف عند اللاتين باسم Ossifragus الذي نذكره بعد ذلك باسم طرغلوديس »

فهذا كلام فيه خبط وخلط . فالطرغلوديس طوثر معروف عندهم باسم Troglodyte واما الذي سماه فينس كزبرج باليونانية فهو الذي سماه العرب فيثة المصحف عن فيثة اليونانية بحذف علامة الاعراب من الاصل . وهو نوع من النسر سماه العرب باسماء مختلفة . وهو المسمى باللاتينية Ossifragus بالتذكير على ما قاله بليوس Ossifraga بالتانيث على ما قاله لكريتيوس Lucretius وقد كرر هذا الغلط الدكتور لكير في مادة طرغلوديس . — ولما كان الدكتور المذكور بني قصوراً شائعة على كلام ابن

البيطار فنحن ننقل هنا ما قاله في هذا الموضوع :

« طرغلوذيس (كذا ورد في النسخة المطبوعة اي بالذال المعجمة) الرازي سيف كتاب الكافي : انه عصفور صغير اصفر من جميع المصافير ، أكثر ما يظهر في الشتاء . لونه متوسط بين لون الرماد والصفرة . وفي جناحيه ريش ذهبي ، ومنقاره دقيق ، وفي ذنبه نقط بيض ، له حركات متواترة وهو دائم الصغير قليل الطيران له خاصية عجيبة في نقتيت الحصة المتكونة في المثانة ومنع ما لم يتكون . — الرازي في الحاوي : انه يسمى بالافرنجية صفراغون (كذا بفينين معجمتين والصواب صفراغون بفاء بعد الصاد) . — ديسقوريدس في الثانية : هو نوع من الطير يسمى بالافرنجية صفراغون . اذا شرب من جوفه (كذا) قليل فقت الحصة » اه .

فنقل الدكتور لكثير صفراغون بقوله Ossifrage ثم علق على قول ابن البيطار بالافرنجية ما هذا ترجمته الى لغتنا : « انه لا مرجدير بالملاحظة قوله « بالافرنجية » ونص ديسقوريدس اليوناني يقول « بالرومانية Pwpraisti . وقد أعلمنا ابن جلجل ان كتاب ديسقوريدس نقل الى العربية في خلافة المتوكل اي في منتصف المائة التاسعة للميلاد وكان ذلك بعيد احكام عرى الروابط بين شرلمان وهرون الرشيد . فلم تكن يومئذ رومية في رومية بل في مملكة الافرنج . فها اول شاهد على ظهور كلمة « الافرنج » في الآداب العربية بدون ادق ريب . وفي فصل الشمس نرى شاهداً آخر من هذا القبيل . وقد رأينا ان *Motacilla troglodytes* هو الذئعة في الرقم المعلم : ١٤٠١ . فهذا هو *Phinis* المذكور في ديسقوريدس . » اه كلام الدكتور لكثير .

قلنا : لما ذكر ابن البيطار اللغة « الافرنجية » لم يرد بها اللغة الفرنسية لعدم وجودها في عهد شرلمان وبعده ، انما كانت اللغة اللاتينية في انخطاطها . واللغة التودسكية كما ذكر هذه الحقيقة المؤرخون . فالمراد باللغة الافرنجية هذه اللغة اللاتينية المخلوطة بغيرها من اللغات ولا سيما التودسكية وغيرها والتي من جميعها نشأت اللغة الفرنسية بعد ذلك الى هذا الحين .

فالكلمة اللاتينية هي *Sparganium* وهو اسم الطرغلوذيس لو الصفراغون والكلمة من اصل يوناني لكن اليونانيين لم يستعملوها بمعنى هذا الطويش بخلاف اللاتين . ومعنى

الكلمة « ذو الجدة » او « الجدة » تصغير الجدة المذكورة ويراد بها ما نريد من معنى الشريط . وذلك خطط على ظهره وذنبه كأنها أشارير او جدد او قدد .

اما الاسفراغون Ossifragus وهو غير الصفراغون (وزان افلاطون كما قال في برهان قاطع ، وليس صفراغون بكسر الاول كما ضبطها الدكتور لكثير في مظنة المادة وفي مادة طرغلوديس ايضا) قال التبريزي الحيدرآبادي ما معناه : « صفراغون على وزن افلاطون ، بالغين المعجمة (قبل الواو) : لفظ يوناني هو اسم طوبثر بجثة العصفور اسمه بالعربية « عصفور الشوك » ويسمى في غير هذه الديار : طائر الشوك وبلبل الشوك ويسمى في هذه الربوع « بوقليجة بلبل » بسبب تغريده . ويدعى في مواضع اخرى عصفور الشوك « والطائر المفرد » وبعضهم سموا صفراغونا الطائر الذي هو من جنس الجوارح المعروف باسم « چاقر طغان » اي الصقرا . ومن هذا الكلام يتبين امران : الاول انهم ارادوا بالصفراغون طائرين الواحد صغير والثاني كبير . والصغير هو الطرغلودس او عصفور الشوك ، وبلسان العلم Troglodytes europens وبالفرنسية Troglodyte ordinaire وبالفرنسية العامية Térihot و Fourre buisson . واما الثاني الكبير فهو البلح وله اسماء كثيرة في العربية منها الهماي ، والهياي ، والاغثر ، والفينة (واصلا الفينة) والبلت ، والأبث ، وكاسر العظام ، والمكاف ، والاغثر والسئل الى غيرها ، فيكون الصفراغون : الاسفراغون نفسه وقول الدكتور لكثير هو Motacilla troglodytes للصغير يكاد يكون صحيحا . فليحفظ كل ذلك (١)

(١) لسان كلام ابن اليطار من الخطل ويصح كلامه يجب ان نصاغ عبارته هذه الصيغة في مادة صفراغون : (صفراغون : اسم مشترك بين طائر وطوبثر ، فالطوبثر هو المسمى ايضا طرغلوديس ، والطائر هو المسمى ايضا بالافرنجية صفراغون اي البلح وهو كاسر العظام Ossifragus — وفي مادة طرغلوديس يقال « الرلزي في الخاوي : انه المسمى بالافرنجية صفراغون وهو غير الصفراغون الذي يقع على البلح بل هو الطوبثر المعروف باسم طرغلوديس ايضا أي Sparganium ، ديسقوريدس في الثانية هو نوع من الطير يسمى بالافرنجية صفراغون اي SPARGANIUM اذا أخذ شيء من جوفه فتب الحصاة »

ونقل الدكتور لكثير المذكور في العدد ٢٢٦٢ ما قاله ابن البيطار في ممقاق ، إلا أنه كتب الكلمة ممقان بنون في الآخر كما جاءت مطبوعة في النسخة المصرية ، إذ جاء فيها ما هذا نقله بأوهامه : (ممقان ، أبو حنيفة : هو حب يشبه حب القطن يكون في جماعة (كذا) . كالتشخاش ، إلا أنها صلبة ذات شعب ثقلي وتؤكل للجماع وتكون في جبال بلغار (كذا) » اه — والصواب في جماعة : جماعة ، وبالفرنسية Capsule ، ومقان صوابها ممقاق بقافين كما قاله ابن سيده نقلاً عن اللبث في كتاب العين الموجود عندنا منه نسخة خطية ؛ وليس جبال بلغار هي الصحيحة ولا جبال بعلم (كجعفر) كما في لكثير ؛ إنما الصواب هو : بلعم بتشديد الميم كما في اللسان وقامح العروس ، وبلعم هم بنو العم وهم من العرب ومنزلهم الأهواز وجبالها ، وليس المراد بهم هنا بلعم التي في بلاد الروم ، إذ العرب لم تعرف يومئذ الفاضهم ولا تعباً بها ، ولا سيما لأن أهالي ديار الروم لا ينطق بالعين ، ولو نقلوا بعض الكم عن لسان العرب .

وقد علق لكثير على شرح كلمة ممقان ما يأتي معناه : (نجعل هذا الحب ، وبلعم — وضبطها كجعفر — بالأحرف العربية وشكلاتها كما ضبطناها هنا — على ما قاله صاحب مرصد الاطلاع : مدينة في بلاد الروم . وكتيبا فريغ : ممقاق . وصنمير Sontheimer مقال) اه كلام الدكتور لكثير . فترى فيه ما ترى من الخطأ .

وإذا كانت بين المستشرقين من يلحن في ضبط الألفاظ ، فإنك لا تجد في ذلك للدكتور لكثير مثيلاً ؛ فإن الظمخ مثلاً وهي بالطاء المشالة للمعجمة المفتوحة الميم والمكسورة الخاء للمعجمة ، ترى عنده في العدد ٥٣٩ : الطمح بالطاء للمهمل المفتوحة والميم المفتوحة وفي الآخر حاء مهمل ، وفي العدد ٥٤٠ و ٥٤١ و ٤٥٢ يضبط الجوز المفتوحة الجيم : الجوز كقفل ، ويضبط الجوهر وهي مشهورة بفتح الجيم : الجوهر بضمها ، ويضبط كذلك الجولق ، ويضبط جبل بارما وهو بفتح الباء وكسر الراء وتشديد الميم المفتوحة وفي الآخر ألف قائمة : بارما ، ويكتبها Barma وهذا الجبل لا وجود له ، إنما الموجود ما ذكرناه وهو المعروف اليوم عندنا في العراق باسم جبل حمرين Humrin ؛ ونحن لا نريد أن نتبع الدكتور لكثير في جميع

مزالقه فإنها لا تكاد تحصى ، ويجب أن يعاد النظر في كتابه من أوله الى آخره لتنتق منه وُبتقى منها .

٥ كليمان هوار Clément Huart الفرنسي

وضع الفرنسي كليمان هوار عدة كتب وتقل من التركية والعربية مؤلفات جمّة ، وهو أيضاً كثير العثرات والسقطات ، ونحن لا نريد أن نذكرها كلها ، فهذا صعب ويسلزم وقتاً طويلاً ، إلا أننا نذكر ما جاء في نقله كتاب البدء والتاريخ لمطهر ابن طاهر المقدسي ، فقد جاء مثلاً في الجزء السادس في الصفحة ٩٣ ما هذا صورته : « وكان (أبو مسلم) لا يطأ امرأة منهن في السنة إلا مرة واحدة » ويقول : يكفي الإنسان أن يمتن نفسه في السنة » هكذا روى الرواية أبي بقونه (يمتن نفسه) بلا أدب تصحيح ، وهكذا نقلها الى الفرنسية إذ قال في ص 93 من النص الفرنسي ما هذا عاداته بحروفه :

[Il suffit à l'homme, disait-il, de se circoncire lui-même une fois l'an]

فهذا كلام لا يتفق مع ما سبق ولا مع ما يلحق ، فلا جرم أن هناك خطأ من الناسخ ، ويجب أن يكون هكذا : (يكفي الإنسان أن يمتن في السنة مرة ، أو أن يمتن نفسه في السنة مرة ، أو : أن يمتن نفسه مرة واحدة) الى ما ضاع هذا التعبير ، وأما نقله (أن يمتن نفسه) فمن المضحكات ، إذ كيف يمتن نفسه في السنة مرة وهو لا يجد في جلده مادة لعمله هذا في كل سنة ؟ أفليس ذلك من أقوال المحال ؟ — فهذا ما بلغ اليه علم هذا المستشرق وهو في مقدمة المستشرقين الفرنسيين .

وقال في الصفحة التالية أي في ص ٩٤ : (وكان (أي أبو مسلم) أقل الناس طمعاً وأكثرم طعاماً ، يمتن في مطبخه كل يوم ثلاثة آلاف مأزف) كذا بهذا التعبير . وقال في الفرنسية ما هذا نقله بكلمه في ص 93 من النص الأجنبي :

[Il avait peu d'avidité, mais il était grand mangeur. Chaque jour, dans sa cuisine, on faisait cuire trois mille pains (?) appelés ma'âzif.]

وفي مختصر الدبل لابن العبري المطبوع في بيروت (١) ما هذا نصابه : (وكان من أشد الناس طمعاً وأكثرهم طعاماً يُخبز كل يوم في مطبخه ثلاثة آلاف قرف) ، فبين كلام المؤلفين فرق بين ؛ فالأول يقول : أقل الناس طمعاً ؛ والثاني يقول : أشد الناس طمعاً ، ولا جرم أن المصيب هو الأول ؛ لأنه لو كان أبو مسلم أشد الناس طمعاً لما أطمع الخلق ذلك الطعام الوافر . وفي قول الأول ثلاثة آلاف مآزف خطأ ظاهر ، فكان يجب أن يقول : ثلاثة آلاف من المآزف ، أو ثلاثة آلاف مازف ؛ لكن لا معنى للمآزف ولا للمآزف يدل على الخبز ، فالغلط ظاهر من النسخ ؛ وقول الثاني ثلاثة آلاف قرف مبالغة لا بقباها العقل ، لأن القرف في لغتنا وعاء يدبغ بقشور الرمان يُجعل فيه خم مطبوخ بتوابل ، والجمع قروف ، ولا يمكن أن يتصور عاقل أن هناك رجلاً يستطيع أن يخبز كل يوم ثلاثة آلاف قرف ليطعمها الناس لما في هذا العمل من النفقة ووجوب كثرة الرجال وإيجاد مثل تلك الأوعية كل يوم حتى يتمكن من طبخها وإطعامها الناس ، فلا جرم أن في الأصل المنسوخ عنه خطأ ظاهراً ، وتزبد على ذلك أن القرف لا يخبز بل يطبخ ، فوجب إذن أن يكون هناك لفظ يقرب من (قرف) ويعني الخبز ، وهذا اللفظ هو (قرص) بقاء مضمومة يليها راء ساكنة

(١) وقف على طبع هذا الكتاب الأب أنطون صالحاني اليسوعي وقد فاته أغلاط كثيرة هي أغلاط كلمات مصحفة لا غير ، إلا أن تلك الكلمات شوهت المعنى تشويهاً شائناً وهو ضعف البصر في ردّ الاعلام الى صحيحها . فقد جاء مثلاً في ص ١٩ في نحو آخر الصفحة هذا الكلام : « فلما جدوا في ذلك بأرض سنعار وهي السامرة » فقال في الحاشية : « وفي نسخة : سامرة » ولم يزد على هذا القدر . والصواب ان يقول : بأرض سنعار (بالسين المهملة لا بالشين المعجمة لانها مركبة من « سين » أي القمر . « وعار » وهي مقلوب « أراعاً » أي أرض . فيكون معناها « أرض أو ديار القمر لأن القمر كان يعبد فيها . والغلط الثاني هو السامرة . والصواب سامرة التي يكتبها بعضهم سامرة أو ساء من رأسه الى غيرها من الصور وقد ذكرناها في مقالة لنا في لغة العرب ٦ : ٧٢١ فلتراجع للاعتناء الى الحق والصواب . ومثل هذا الهم شيء كثير .

وفي الآخر صاد . قال في التاج : القرصة الخبزة ويقال هي الصغيرة جداً كالقرص ،
والتذكير أكثر ، وجمع القرص قرصة وأقراص مثل : غصن وغصنة وأغصان ،
وجمع القرصة : قرص كزُرْفَة وُغَرْف وسيف الحديث : فأنى بثلاثة قرصة من
شعر . انتهى

وقد قلنا إن المآزف لا تدل على أي نوع من الخبز كان ، والارجح ان الاصل :
(ثلاثة آلاف من المواقي) والمواقي جمع مقي ، والمقي : إبرة توسع خبز الملة . وقد
يراد بها خبز الملة نفسه من باب تسمية الشيء باسم مكانه أو ظرفه أو محله كما هو
معروف ، فيكون معناه انه كان يخبز في مطبخه كل يوم ثلاثة آلاف خبزة من خبز
الملة وهي الرماد الحار ، وهذا أمر غير بعيد بل معقول .

يقي هناك كليمان هوار نقل الى الفرنسية قول المؤلف : (. . .) وكان أكثرهم
طعاماً) بما معناه (انه أكلوا) ، وهو غريب ، والمعنى الظاهر هو انه كانت كثير
إطعام الناس . فلم يفهم العبارة ، فاذا كانت هذه العبارة الصغيرة على ظاهر معناها لم
يفهمها فكيف يفهم سائر التعابير العويصة التي تحتاج الى اعمال نظر وفكر ؟ مع أنه
لو تدبر قليلاً لانتبه إلى المراد بما يأتي من سياق الكلام ، فانه كان يعد تلك المعدات
من الاكل لا لنفسه بل للناس الذين كانوا يأتون اليه . فهذا علم اصحابنا المستشرقين
ينفرون في قطرة لا غير .

وقال كليمان هوار في ص ٧٤ من الجزء المذكور من كتاب البدء والتاريخ :
« وأمر ببناء حائط سمرقند (والباني أبو مسلم) ليكون حصناً لهم إن دهمهم عدو » —
كذا قال : (دهمهم) ونقلها الى الفرنسية بقوله :

Il ordonna de construire à Samarquand un mur d'enceinte
qui pût servir à ses habitants de citadelle si un ennemi (survenait
à l'improviste.)

فالنقل صحيح لكن النص العربي مغلوط فيه ، والصواب أن يقول : (دهمهم
عدو) بباء بعد الدال ، لأن معنى دهمه بالهاء : دفعه شديداً ، وأما دهمه بالهاء فمعناه :
غشيه وهو المطلوب هنا .

وورد في الصفحة ٦٣ من الكتاب المذكور ما هذا نقله : « وكثرت جموعه وهو

يظهر لكل واحدٍ منهما أنه معه ، ويعدّه النصر على صاحبه ؛ فلما قوي أمره وتكاشف يؤسه (هابه الفريقان) فلم يفهم العبارة وتقلها الى الفرنسية هكذا :

Quand sa position fut devenue très forte, et que le mal qu'il pouvait causer se montra à découvert, les deux partis le craignirent.

فترجم الى لغته تلك العبارة مع ما فيها من ظواهر الفساد والتدافع ، زد على ذلك ان (تكاشف) لم يرد في لغة الفصحاء بالمعنى الذي يشير اليه في الترجمة الفرنسية ، والصواب أن يقال هنا : « فلما قوي أمره وتكاثف بأسه » أي واجتمعت قوته وتضام بعضها الى بعض -

وفي هذا الكتاب شيء لا يحصى من هذا القبيل ، وجاءت ترجمته وتابعه لقراءته المغلوط فيها ، والظاهر أن الرجل لم يكن راسخ القدم في العربية ، فهو كثير العثرات والزلات فيما تولى طبعه أو ترجمته الى لغته ، وهذا أعظم دليل على أن المستشرقين يحتاجون الى عربي يصحح لهم مطبوعاتهم ويصلح ترجماتهم .

٦ م . ج . دي خويه M. J. de Goeje

دي خويه أرسخ المستشرقين قدماً في اللغة العربية وأعلام كعباً وأوفرهم اطلاعاً على لغتنا الميمنة ، ومع ذلك فقد فاته بعض أمور ؛ فقد جاء مثلاً في كتاب فتوح البلدان للامام أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري وقد تولى طبعه في لندن في سنة ١٨٦٦ في ص ٨ مائعه : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم من الشجر ما بين أحد الى غير وأذن لعاصب الناضح في الغضا وما يصلح به محارثه وعربه » . هكذا ضبطها بتحريك العين المهملة والراء والباء وفي الآخر هاء مضمومة . وفسر ما في المعجم الذي وضعه في آخر الكتاب ما هذا معناه بالعربية (وكلامه باللاتينية) « العرب بالتحريك جمع عربة وهي المركبة ، ثم قال : هذا ما ورد في النسخة الأولى التي اعتمدت عليها وفي النسخة الثانية : (عربة) بعين معجمة مفتوحة بإيها راء مهملة ساكنة . والعمدة على النسخة الأولى بتلوها قوله (محارثة) وهو جمع أيضاً لكلام الشارح أو الناشر . — قلنا : إن الناطقين بالضاد لم يعرفوا في عهد البلاذري (المتوفى في سنة ٢٤٧ للهجرة أو ٨٦١ للميلاد) كلمة العربة بمعنى المركبة ، والرواية الصحيحة هي

رواية النسخة الثانية أي غربه والمراد بالغرب الراهبة والدلو العظيمة التي يستقى بها من البئر لسقي الأراخي المزروعة ، ويكون لكل صاحب أرض غرب أو أكثر وعدة محارث .

ونشر دي خويه خزانة كتب البلدان لجماعة من مصنفي العرب ، ومن الجملة تولى نشر كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للبشارين كما يسميه العرب ، أو للمقدمي كما يدعوهم الأفرنج . وفي هذا السفر أوضاع علمية كثيرة أصاب الناشر في بعضها وأخطأ في كثير منها . من ذلك كلامه على أنواع الشعر في ص ١٣٠ فقال : « الهلباث والهبروم واليعضوض والمتحدر والجيشوان (الخيشوان في نسخة أخرى) والهيريز والغواني » . وصوابها : « الهلباث (بالباء الموحدة التحتية) والهبرون (بنون في الآخر) والتعضوض (بقاء مشتاة من فوق لا من تحت) والجيسوان (١) » . (وهي بحيم مفتوحة في الأول وياء مشتاة من تحت فسين مهملة مضمومة فواو فالف قنون) وقد صحف جميع الكتاب واللغويين هذه الكلمة فجاءت تختلف بين جيسران (بالراء) وجيشران (بالشين المعجمة والراء) واخيشران : الخيشوان . وكلها خطأ . والصحيح ما أوردناه . والشهير بالشين المعجمة وقد يقال بالهمزة أيضاً — والغواني وهو المسمى اليوم عندنا بالبرين وزان جعفر وأصله من الفارسية « بهار بانو » أي الغانية أو الغواني وهذه من التعريب المعنوي .

وفي ص ١٣١ ذكر بعض أنواع السمك في دجلة وعدد بينها : « البعن والساح والدباقة والرمين . البرسوح والاسبول والجواف والزجر (ذكر الزجر مرتين : مرة بعد الشيم ومرة بعد العين لا يمكن أن يذكر المؤلف النوع الواحد مرتين وفي كل مرة يجعله ضرباً غير الضرب الأول . والصواب أن الزجر الأول صحيحة والزجر الثانية هي الذكر بذال معجمة فكاف فراء .) والسحدان (؟ السحذان) المارماهي » . — والصواب

(١) في محيط المحيط في مادة (ج ي س ر) الجيسران جنس من أفخر النخل معرب كيسران بالفارسية ومضاة النوائب اهـ . وفي التاج في مادة (ج ي س) والمتصباح في مادة (ج س و) الجيسوان . فليحرر ما هناك من الخلل في اللفظ .

في ذلك : اليمعي والبياح ، والمنقاه أو المتقار ، والرُماني ، والترستوج ، ويقال فيه أيضاً الطرستوج ، والاسبور . (واليوم يسميه أهل البصرة الأصبور وزان العصفور وبصاد بدل السين) والجوفي والذكر ، والسيحان والمارماهيح ويسمى اليوم المرربيج وهو من الفارسية مارماهي .

وقد أصلحنا كل ذلك لان الكتب المصرية النافلة ما في هذا السفر الجليل وأشباهه نقلت هذه الاغلاط اعتماداً على علم المؤلف ووقوفه على مصطلحات السلف . وقد رأيت أن الجواد قد يكتبو والسيف قد ينبو .

ونحن لا نريد أن نكثر من هذه الشواهد فهي لا تكاد تحصى . وقد وجدنا مثل هذه الأوهام وأعظم منها في جميع مطبوعات المستشرقين . لكن الاتيان على ذكرها يحدو بنا الى وضع كتاب ضخيم كثير الجلدات لنوفي البحث حقه . فاجتزأنا بما ذكرنا ليكون ذلك مثلاً يفهمنا أن المستشرقين لم يوتوا فصل الخطاب في لغتنا ولا هم الخجة الثبت في لساننا . وليس ذلك سبة تلحقهم دون علمائنا فلا دبائنا مثل هذه الأوهام أيضاً لتبقى العصمة لله وحده . وهو العالم الحكيم .

بغداد

الأب انتاس ماري

السكرملي



جميل صدقي الزهاوي



مولده ونسبه

وُلد جميل صدقي يوم الأربعاء التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة ١٢٧٩ هـ (١٨٦٣ م) ؛ هذا ما أخبرني به الزهاوي نفسه وكتبه بقلمه أكثر من مرة . وبعد فلا محلّ للرجم بالغيب — كما ذهب بعض الكتاب — في تقدير عمره بأكثر مما ينطق به هذا التاريخ المضبوط بالسنة والشهر واليوم ، والذي حمل أولئك الكتاب على الخرص والتخمين ما كان يظهر

على بنية الراحل من التتابع ، وعلى صحيفة وجهه من سطور الشيخوخة المتراخية ، مما يحيل للرائي أنه مشفٍ على التسعين ، ونحن نرى ان هذه ظاهرة أسأرتها فيه الأوصاب التي كانت ثنتابه من داء عصبي نشب فيه إبان الشباب ورافقه حتى الموت :

والموت آخر علةٍ يعتلها البدن العليل

وجميل هو ابن العلامة الشهير ، الزهاوي الكبير ، محمد فيضي ، مفتي بغداد ، واحد مشايخها الأفاضل الذي تخرج به خلق كثير من مشايخ العراق ، وكان ينتمي الى أسرة عراقية عريقة بالمجد ترجع بنسبها الى خالد بن الوليد الخزومي .

دراسته

كانت مدرسة ابيه الزهاوي (١) الكبير في بغداد منجماً لرواد المعرفة ، ومعيناً عذباً لرواد علوم الشريعة الإسلامية ، والآداب العربية ، زاخرة بالطلاب من مختلف انحاء العراق ؛ نبت جميل في ذلك الجو العلمي ، وتلقى علوم الدين والعربية في تلك المدرسة ، مترسماً آثار النابيين من اهل العلم في ذلك العهد ، وكان ذكي الفؤاد ، متوقد القريحة ، جامع العزيمة ، فتوصل بالمدة القصيرة الى ما لا يصل إليه اقرانه ، إلا في المدة الطويلة .

وكان ذا ميل خاص الى الأدب ، والتوسع في أصوله وفروعه ، حتى أنه حاول صوغ القريض وهو في سن المراهقة .

وكان قد حذق الفارسية والتركية زيادة على الكردية ، التي كانت إحدى لغتي ابيه ، ثم حجب إليه التحلي بالعلوم الكونية العصرية ، ولكنه لم يجد الطريق إليها نهجاً ، لأن هذه العلوم بطبيعة مزاجها العصري تتطلب دراسة منظمة زيادة على التضلع بلغة أوربية ، ولم تكن البيئة التي نبت فيها المترجم مساعفة للوصول الى تلك الغاية من هذه السبيل ، فما كان له بدٌّ من الرجوع الى الصحف الموقوتة والكتب العصرية التي كانت تنشر بالعربية أو التركية ، يستفي بنورها ويلتقط شتيت شذورها ، وكان حسن التصرف بما يحدقه من تلك المباحث ، ولقوة ثقته بنفسه ، واعتداده بمواجهه ، كان يعتمد الى العويض منها وينظر أهله فيه ، وباحثهم حتى يكون له رأياً خاصاً ينافع عنه ، ويناضل دونه ، أخذ — مثلاً — رأية في الدافعة ، فإنه مع علمه بما يرتكن اليه موضوع الجاذبية من المقدمات الرياضية والحقائق الطبيعية ذهب فيه مذهباً خالف فيه جميع علماء هذا الشأن ، فهو يرى ان المادة لا تجذب المادة بل تدفعها ، فليس في الكون جذب وإنما هو دفع . ولشدة وثوقه بصحة رأيه هذا وضع فيه مؤلفاً خاصاً واخرجه للناس .

وله آراء كثيرة من هذا القيل انفرديها ، وقد اودع خلاصتها كتاباً اسماه :

(١) الزهاوي : نسبة الى (زهاو) قرية من اعمال كرمشاه .

« المجمل مما أرى » نشره قبل وفاته بضع سنين ، وفي شعره طائفة من آرائه مبثوثة هنا وهناك ، وهي أول ما يواجه الباحث في شعره .

الزهراوي الأدب

لا سرا في ان الزهراوي من افذاذ أدباء العصر ، في طبيعة المجددين من آحاده ، والبارعين من افراده ، وقد وفرت له بيئته العلمية ومواقفه العقلية النادرة جميع عوامل التفوق والنبوغ في هذا الشأن ، وفي الرجوع الى آثاره المنشورة ودواوين شعره المنشورة ما يغني عن الإطالة في تخطيطه والإطناب في الشئاء عليه .
وكان قد اطلعني على مجموع من الشعر اختاره من دواوين الشعراء وكتب الأدباء ، واسماه « عيون الشعر » فبهرتني بسلامة ذوقه وتفوذ بصره في دقائق الفصاحة وأسرار البلاغة ، وقد تأقيل في أبي تمام إنه في ديوان الحماسة اشعر منه في ديوان شعره ، وهذا القول يكاد ينطبق على ادبنا في مختاراته هذه اتم انطباق .

الزهراوي الشاعر

بعد الزهراوي في زمرة الطبقة الأولى من شعراء هذا العصر ، ويمتاز بوفرة الإنتاج ، فقد كان ينظم في الفترة القصيرة العدد الكثير من المقطعات والرباعيات ، بل القصائد مما يعسر على غيره - ولا سيما في مثل سنه - أن يباريه في بعضه ، وكان سريع الإنتاج فإذا بدأ بنظم قصيدة لا يكاد يقر له قرار حتى يأتي على آخرها ، كنت ربما أذاكره في موضوع وألمع انه يستحق العناية ، وعندما نجتمع في اليوم التالي لو الذي يليه يخرج من جيبه قصيدة او مقطوعة تتضمن ما نذاكرنا فيه وزيادة ، وإذا شعر بقصور في بعض نواحي الموضوع يقول : هذا لا يخضع للوزن والقافية . . على انه قد يحفي بعض القصائد ويعني بصقلها فتأتي آية في الإبداع والابشكار ، وإخال ان هذا هو السر في التفاوت البارز الذي يحده الناظر في شعره ، وهو ايضا السبب في عدم تقيده بوحدة الموضوع في الكثير من قصائده ، ومن ثم وجدناه عندما طبع ديوانه الطبعة الأخيرة اعاد النظر في الكثير من قصائده فهدب وشذب ، وبدل وحول .

وقد أودع نظمه الكثير من آراء الحكماء ونظريات العلماء ، كما أودعه معظم آرائه في الشؤون الكونية ، ففيه منها ثروة طائلة تتضمن له الجدة والخلود .
وفي شعره طائفة كبيرة أوقفها على الأحداث البارزة التي حلت ببلاد العرب خاصة ، والشرق عامة ، خلال نصف قرن على التقريب ؛ فهو من هذه الناحية تاريخ يحمل لما نتابع على هذه الأقطار من الأحداث السارة والضارة ، فيضحك لأفراحها ، ويبكي لأتراحها ، ففيه القصائد الباسمة اللامعة ، والحزينة الدامعة .

البارز من أخلاقه

كانت رحمه الله عصبي المزاج ، سريع الغضب سريع الرضا ، بعيداً عن الحقد والضعينة ، ولوعاً بلفت الأنظار إليه ، راضية أكانت أو غير راضية ، كثير التطلع الى معرفة آراء الناس فيه ، يظهر ذلك جليسه في طلائع كلامه .
يدين بالقومية ، ويناضل عن العربية ؛ سمعته يناظر أحد الأدباء في هذا الموضوع ، ويدعم آراءه بالبراهين ، وبالأخيرة مثل بقول الحماسي :
وهل انا إلا من غزية إن غوت غوبت وإن ترشد غزية أرشد
وكان شغوفاً بالحرية الى حد بعيد ، ويطالب بإطلاقها الى الحد القصي : حرية التفكير ، حرية الاعتقاد ، حرية القول ، حرية النشر . . . كل ذلك يريد به ويطالب به ، ولا يزعجه إلا حرية واحدة وهي حرية الذين يخالفونه في بعض ما يذهب اليه ، ولا سيما الذين يسميهم بالرجعيين أو الجامدين ، فإنه يرغب في كبح كبتهم وإسكات نأمتهم . اذكر انه اجتمع بي - وانا يومئذ مدير للمطبوعات - فشكا الي ما يلاقيه من بعض أقلام رجال الدين الذين يهاجمونه وينقدونه ، وأشار الي انه ينبغي ألا ينسح لهم المجال الى هذا الحد . قلت له : انت تدن بالحرية في كل شيء فهل رجعت عن رأيك فيها او تريد ان تفريق دين آخر . ولشدة ولوعه بالحرية ناضل كثيراً عن حرية المرأة الشرقية ، وطلب لها من الحريات اكثر بكثير مما حصلت عليه المرأة الغربية . ولكثرة ما كان يناضل عن الحرية قال له بعض الأدباء - على سبيل

التكيت — يا أستاذ : أردت ان تملك الحرية فملكتك ، فأنت الآن عبدها ، فأين حريتك ؟ .

وكان جريئاً في إبداء آرائه وإن ناقضت آراء الآخرين ، وجلبت عليه نقمة المغالين ، وقلما انتصر لرأي ورجع عنه او اعلن فكرة وتجلى عنها .
وكان جليلاً على العمل يطالع كثيراً ويكتب كثيراً ، حتى ان الإنسان ليأخذه العجب عندما يرى نشاط فكره ، وتناج قلعه ، مع انتكاث بنيتة ، واختلال صحته .
وكان يحفظ لأصحابه حقوق الصعبة حتى بعد الوفاة ، وقلما فارق الحياة حزين له إلا بكه ورثاه ، وفي شعره الكثير من هذا القليل .

وكان يحب النكتة ويعشق النادرة ، وله في ذلك غرائب وعجائب خليقة بأن تجمع في رسالة خاصة وانكثير منها مشهور بين الخاصة ، يتناقلونها ويتفكهون بها ، ومن امثلتها : انه حضر في مجلس بعض كبراء الأتراك في بغداد ، فدار الكلام حول اخراقة المشهورة ، وهي ان بعض المبتدعة يمسخون خنازير على اثر موتهم ؛ فأجمع الحاضرون على وقوع ذلك ، وتصدى بعضهم لسرد وقائع في هذا الشأن زعم انه رآها عياناً ، فالتفت صاحب المجلس الى المترجم وقال : ما رأيك في هذا يا أستاذ ؟ فأجابه : هذا امر مفروغ منه ، انا رأيت بعيني بشراً حياً — وأشار الى الحاضرين — مسخوا حميراً ، فكيف لا يجوز مسح الميت خنزيراً !!

سيرته الرسمية

اول منصب رسمي عهد الى المترجم العضوية في مجلس المعارف في بغداد وذلك سنة ١٣٠٣ هـ ثم عين مديراً لمطبعة الولاية ، ومحرراً للقسم العربي من جريدة الزوراء ، وهي الجريدة الرسمية في بغداد يومئذ ثم انتخب عضواً في محكمة الاستئناف في بغداد .
وفي سنة ١٨٩٦ سافر الى الآستانة فالتقى بالبعثة العلمية الاصلاحية التي أرسلت الى اليمن ، وهناك التقى بدروسا ثمينة في تفسير القرآن الكريم . وبعد سنة عاد الى الآستانة فانعم عليه السلطان بالوسام الحميدي . ورتبة (بلاد خمس الموصلة) . ثم رجع الى بغداد . ويقول الراحل : انه نقي اليها من قبل السلطان عبد الحميد وهذا نقي غريب إذ

لم يسمع من قبل أن الرجل بنفى من غير بلده الى بلده الا في هذه الحادثة . . وفي سنة ١٣٢٤ هـ عاد الى الآستانة وعين استاذاً للفلسفة الإسلامية في المكتب الملكي ومدرساً للآداب العربية في شعبة الآداب من دار الفنون . ثم نقل الى تدريس مجلة الأحكام العدلية في مدرسة الحقوق في بغداد . ثم عزل من وظيفته هذه على أثر نشره مقالا في جريدة اللواء في مصر بحث فيه عن حقوق المرأة، وبعده الجمهور في بغداد خروجا عن تعاليم الاسلام وثقاليد .

وبعد هدوء الخواطر أعيد تعيينه لتدريس مجلة في مدرسة الحقوق . ثم انتخب نائبا عن لواء المتنقي في مجلس النواب العثماني ، وبعد وصوله الآستانة بقليل انحل المجلس بسبب انهزام الاتحاديين أمام خصومهم السياسيين ، فرجع الى بغداد ، ثم بعد تغلب الاتحاديين على السلطة على أثر الحرب البلقانية انتخب نائبا عن بغداد .

وبعد احتلال العراق من قبل الانكليز عين عضوا في مجلس المعارف ، ثم رئيساً للجنة ترجمة القوانين العثمانية الى العربية . وفي تموز سنة ١٩٢٥ م عين عضوا في مجلس الاعيان العراقي وبعد أربع سنوات انفصل من العضوية نتيجة الاقتراع الذي تم لاجراج نصف أعضاء المجلس عملاً بحكم القانون الاساسي .

مؤلفاته

- للاستاذ مباحث كثيرة في مواضيع شتى . كتب فيها المقالات المسببة ونشرها في أمهات الصحف العربية في مصر والشام . والذي نشر من مؤلفاته على سبيل الانفراد :
- ١ - كتاب الكائنات - وهو من أوائل مؤلفاته وسميته بقول : هذه رسالة الفتح قبل أن قتلت مباحثها علما وتمحيصا .
 - ٢ - الجاذبية وتعليلها - رسالة ذهب فيها مذهبها خالف فيه حكاه العصر كافسة في نظرية الجذب
 - ٣ - الدفع العام والظواهر الطبيعية والفلكية - وهي رسالة بمعنى ما سبقها وتوضيح لما .

٤ — المجمل مما أرى — وهي رسالة أجمل فيها خاصة الرسائل السابقة . مع زبدة آرائه في أمور علمية كثيرة .

٥ — الفجر الصادق في اثبات الخوارق — وهو كتاب رد فيه على منكري المعجزات والكرامات . ونشره في مصر سنة ١٣٢٣ في آخريات أيام السلطان عبد الحميد

دواوين شعره

١ — الكلم المنظوم — وهو أول ديوان أخرجه للناس ويتضمن شعره الى حين اعلان الدستور العثماني .

٢ — رباعيات الزهاوي — طبعت في بيروت سنة ١٩٢٤ .

٣ — ديوان الزهاوي — وقد ضمنه جميع منظومه منذ اعلان الدستور العثماني الى سنة ١٩٢٤ م. وضم اليه ما يليق للضم من رباعياته وديوانه الاول (الكلم المنظوم) وبوبه تبويبا جديدا لم يسبق اليه .

٤ — اللباب — جمع فيه المختار من شعره وطبعه في بغداد سنة ١٩٢٨ م

٥ — الاوشال — ويتضمن القسم الاخير من شعره نشره سنة ١٩٣٤ م

٦ — رباعيات عمر الخيام — وتحتوي ١٣٠ رباعية من رباعيات الخيام ترجمها الفقيده

الى العربية شعراً ونشرها في بغداد سنة ١٩٢٨ م

وأخبرني قبيل وفاته أن لديه مجموعاً من شعره الأخير أراد نشره باسم (الثالثة) .

ويزعم بعضهم أن لديه قصائد ومقطعات . تتضمن آراء تصطدم بالديانات .

وتنافي مشهور الاعتقادات وأنه أسماها (نزغات الشيطان) والله أعلم بحقيقة هذا

المزعم . . . والذي أعرفه من خلق الزهاوي الراحل أنه لا يصبر كثيراً على كتاب ما

تنتجته قريحته . وأصحابه كلهم يعرفون منه هذا الخلق . كان رحمه الله بنشد أصحابه

الكثير مما يخالف معتقد الجمهور على زعم أنها من الأسرار التي لا يجوز نشرها ثم

لا يلبثون أن يقرؤوها منشورة في الصحف فلا يعجبون لما يعرفون من عدم تمكنه من

تغطية أسرارهم وكتبان بنات أفكاره . . . وقصيداته (على السراط) و (ثورة في الجحيم)

أوضح برهان على صحة ما ذهبنا اليه .

وقد حاول الراحل تأليف الروايات ، فوضع رواية وجد جمهور القراء (وهو معهم) أنها لا تتناسب مع شهرته في العلم والأدب ، ولهذا لم يعد إلى تجربة ثانية .
وله مجموع يشتمل على زهاء (٢٠٠٠) بيت من الشعر اختارها من دواوين الشعراء ، ومؤلفات الأدباء ، وقد نشر بعضها في بعض الصحف البغدادية اليومية مع تعليق على طائفة منها .

وفاته

في يوم ٢٣ شباط سنة ١٩٣٦ م رُوع الأديب وأنصاره والعالم وأخباره بمنعى الأستاذ الكبير ، وأنه أجاب داعي ربه على أثر مرض لم يُمهله إلا سويقات ، وهكذا انطفأت تلك الجذوة المتأججة وغاض معين تلك المواطن الفياضة والأفكار الجياشة .
وقد شيع جثمانه إلى مرقد الأخير تشييعاً مهيباً ، مشى فيه عظماء المملكة وكبرائها ، ينقدمهم رئيس الوزراء ورجال حكومته ، ولم يعقب ولداً ، وقد شرعت الحكومة الهاشمية قانوناً خاصاً بإعطاء زوج الراحل الراتب الذي كان يتقاضاه في حياته كاملاً ، بينما كانت القوانين المرعية في البلاد تقصرها على النصف منه فقط ، وهذه مآثرة للحكومة سيحفظها لها التاريخ .

طه الراوي

عضو انجمن العلمي العربي

بغداد :

تصحيح نهاية الأرب

جزء العاشر

صفحة ٧ سطر ٧- (ديزج) ضبط بكسر الدال ، وصوابه فتحها ؛ كما ضبطها التاج واللسان ، أما هو بالفارسية فيكسر الدال وهاء في آخره (ديزه) .

صفحة ٢٢ سطر ١- قوله في صفة الفرس الجواد (إذا اشتدَّ نَفْسَه) ، لعل صوابه : (إذا امتدَّ نَفْسَه) يعني في الصهيل ، وإلا تكرر مع قوله بعد (واشتدَّ حَقْوُهُ) .

صفحة ٢٣ سطر ١- قوله في صفة الفرس أيضاً : (وقَوَدُ العنق لينها) صوابه طولها : إذ لم نجد في كتب اللغة من فسر القَوَد بـلين عنق الفرس ، وإنما فسروه بطول العنق وطول الظهر أيضاً ، والوصف منه : أقود وقوداً ، وقيدود ، وإذا وُصف الفرس نفسه بـكونه أقود كان المراد أنه سَلس ذلول مُنقاد ؛ لكن الاسم منه إذ ذاك القيادة لا القَوَد .

صفحة ٣٠ سطر ٨- في تعريف الفرس الشَّحوس (هو الذي يندم الدرَج والمَس) في قوله (المَس) بالميمُ بعد ، ولعل صوابه (الحَس) بالحاء من حَسَّ الفرس إذا نفَضَ عنه التراب بالحسَّة .

صفحة ٣١ سطر ٣- قوله في صفة الفرس (والعَدُوم) بالدال المهمل صوابه (والعذوم) بالدال المعجمة وهو الفرس العضوض أي الذي يعض .

صفحة ٣٢ سطر ١٠ - عَدَدُ عيوب الفرس فقال : (والتوجي ما يصيب الخافر من الخشونة) قوله (من الخشونة) فيه نظر : لأن اللغويين إنما يفسرون (الوَجَى) بالخفا

أو هو أشد الخفا وفسروه بأن يرق الخافر وينسجج أي يتقشر فلعل صواب (الخشونة)
(الخفا) أو (الرقة) لكنه تحريف كبير ، وقد يقال : إنه يلزم من الانسجج (الذي
معناه التقشر) أن يصبح الخافر خشناً ، فالخشونة صحيحة بهذا الاعتبار .

صفحة ٦٠ سطر ٦ - قوله يصف الفرس (أو صوب الحيا إذا احتمل) والحيا انظر
فلعل صواب (احتمل) انهمل أو همل .

صفحة ٦١ سطر ٤ - قوله يصف فرساً أحمر (حمل الزبرجد منه جسم عقيق)
ضبط بالشكل بنصب (الزبرجد) ورفع (جسم) والأظهر العكس أي نصب جسم
على المنعولية والفاعل هو الزبرجد : إذ المراد بالزبرجد حوافر الفرس فهي التي تحمل
الجسم في الظاهر . أما إن المراد بالزبرجد الحوافر فتأمله ما في صفحة ٢٢ سطر ٩
يصف الحوافر الجيدة : (وأن تكون الحوافر صلاباً سوداً أو خضراً) . وما هو أصرح
من ذلك قوله في (صفحة ٢٦ سطر ١٤) يصف فرساً (زبرجدي الخافر . لؤلؤي
الأديم)

صفحة ٧٨ سطر ١١ - قوله في وصف دواء لأحد أمراض الخيل (يؤخذ خمسون
طائراً من الدراريج تسحق بمحجر ولا تمس باليد) صواب (الدراريج) بالبدال المهملة
والجيم (الدراريج) بالبدال المعجمة والحاء المهملة : أما الأول فهو جمع (دراج) ضائر
كبير ولا يتصور سحق خمسين منه وأما الثاني (أي الدراريج) - فجمع ذراح :
دويبة حمراء منقطة لها جناحان تطير بهما . وهي من السموم القاتلة . وهي التي يمكن
جمع خمسين منها فتجفف وتسحق ولا تمس لأنها من السموم التي تدخل في الأدوية
صفحة ٨٦ سطر ٩ - قوله في وصف بغلة (شديدة الغلوة ، بعيدة الخطوة) الغلوة
شوط جري الفرس . وهي (أي الغلوة) لا توصف بالشدة فصواب (شديدة) إذ
(مديدة) أي أن تلك البغلة ممتدة الشوط طويلة مدى السير .

صفحة ١٠١ سطر ١ - قوله (وأي قدم أحق بولوج الركب من قدميه) (الركب)
ضبطت بفتح فسكون وهو جمع راكب ولا معنى له هنا ، فصوابه (الركب) بضم
الراء والكاف جمع ركاب ككتب في جمع كتاب ، والركاب - وتؤنث العامة
فيقولون ركابة - هي ما يضع الراكب فيه قدمه ، وتكون من حديد غالباً .

صفحة ١٠٢ سطر ٦ — قوله في صفة الحمار (تعرفه ظهور السوابك ، وتألفه سباطات المبارك) لا معنى للسوابك هنا وصوابه (السوابل) باللام جمع سابلة وهي الطريق المسلوك ويكون صواب (المبارك) بالكاف (المنازل) باللام والمعنى : أنت الفرس الجواد تعرفه ميادين الحرب لمعرفة الكر والفر ، كما تعرفه السهول والحزون لصبره على السير فيها ؛ أما الحمار فإنما تعرفه الطرقات المطروقة التي يتيمسها ، وكناسات المنازل التي يتقمسها .

صفحة ١١٣ سطر ٦ — قوله (ما خلق الله شيئاً من ظهر النبي صلى الله عليه وسلم إلا خلفه وراء ظهري ، واستنقذته منهم) هذا قول الصحابي سلمة بن الأكوع رضي الله عنه الذي استنقذ لقاح النبي من المغيرين عليها ، والأفصح في قوله (من ظهر النبي) أن يقال (من ظهر للنبي) والمراد من (الظير) هنا لقاح النبي صلى الله عليه وسلم وهي النياق ذوات اللبن ، سميت بالظهر لأنها يركب ظهرها ، وهكذا كل ما يتطلى ظهره من الركائب يسمى (ظهراً) تسمية لكل باسم الجزء كما سمي العبد بالرقبة والغنم ليست من الظهر كما لا يخفى .

صفحة ١١٦ سطر ٥ — قول أبي تمام في الناقة :

بدت كالبدر في ليل بهيم وآبت مثل عرجونٍ قديم

صواب (بدت) (سرت) ليتسق مع (وآبت) : أي إنها سارت في سفرتها سميئة ثم رجعت بعد طول السفر نحيفة هزيلة ، ويشهد له قوله قبله : (وبدلها السرى الخ)

صفحة ١٢٠ سطر ٦ — قوله يصف سرعة تحريك الناقة يديها أثناء السير

(حسبها غيري استنفر عفلها أنبي التي كانت تخاف بعلمها)

ضبطت كلمة (أنبي) بفتح الهزة وسكون التاء ونصب الياء على أنها مصدر والأقرب أن تكون فعلاً ماضياً متأنقاً في جملته واقعاً في جواب سؤال مقدر : كأن سائلاً يسأله : ولماذا حسبتها وهي تحرك يديها امرأة غيري طار صوابها فأجاب : (أني التي كانت تخاف بعلمها) أي إن بعلمها أني وارتكبت الخطأ أو الخصلة التي كانت تخافها تلك

المسكينة وهي الاضرار والتزوج عليها فهي من أجل ذلك تضطرب وتحرك يديها
شأن المرأة الصاخبة الساخطة .

صفحة ١٣٧ سطر ٤ — بذكر رؤية حيتين طائرتين في جو مدينة الرملة . وكان
الأمر مشاهداً لذلك معه القاضي وجماعة من الناس قال (وفيهم عدولي وغيرهم) وضبط
(عدولي) بفتح العين والدال ثم واو ساكنة ولام بعدها ألف مقصورة : وهذا خطأ
لأن (العدولي) اسم لقربة بالبحرين و (العدولي) ياء النسب هو الملاح المنسوب
الى تلك القرية ولا معنى لها في هذا المقام وانما صوابه (عدول) جمع عدل وهو الرجل
يعتمد عليه القاضي في تحمل الشهادات يقال فلان من عدول القاضي . وذكر القاضي
في عبارة المصنف يشهد لهذا المعنى كما يشهد له أيضاً قوله في آخر القصة (فسطرنا بذلك
محضراً على عدة نسخ)

صفحة ١٩٠ سطر ٣ — قوله في وصف البازي (كأنما يزهي جبار) صوابه (كأنما
يزهي زهو جبار)

صفحة ١٩١ سطر ١٨ — في صفة الباشق (عظيم السلاح بالنسبة الى جسمه) ضبط
(السلاح) بكسر السين وصوابه ضمها والسلاح نجوه أي أن جثة الباشق صغيرة
وإذا نجما نجواً عظيماً على خلاف العادة في الطير أو في الحيوان . ولو أراد بالسلاح مخالبه
أو منسره لقال (حاد السلاح) مثلاً . أما قوله عظيم فيشعر بما ذكرنا . نعم يقال :
(سلاح الثور) يريدون روقيه أي قرنيه . ولم نره قالوا ذلك في غيره .

صفحة ٢٠٥ سطر ١٤ — قوله في صفة جوارح الطير (بعيدة المرامي والمطارح)
لا تتسق مع السجعة التي قبلها وهي قوله (طامحة الأخطا والمناظر) والجل كلها مسجوعة
ما عدا هذه فلعل كلمة (المطارح) محرفة عن (المطامير) من طمر إذا وثب ها وبها إلى
أفضل وهو شأن جوارح الطير حينما تهوي على صيودها . على أن (المطارح) تناسب
(المرامي) ولكن ماذا نعمل بالسجع الذي كان مثلهم الأعلى في ذلك العهد .

صفحة ٢٤٢ سطر ١٢ — قوله (يقرعه مصقع خطيب) أي يقرع المنبر ، كذا
بالقاف ؛ وصوابه بالقاف يقال قرع الجبل إذا صعد ، واخطيب يقرع المنبر ، ولا معنى
لكونه يقرعه كما يقرع الباب .

صفحة ٢٤٤ سطر ٢ — رسالة مستملحة أنشأها الوزير أبو القاسم بن الجدة الأندلسي في رجل يعرف بالزُرَيْر وقد أثبت أن تصغير اسمه ليس للتحقير ، ثم استشهد على ذلك بأشياء جاء تصغيرها للتهويل والتعظيم من ذلك قوله : (لئن سمي بالزُرَيْر ، لقد صغر للتكبير ، كما قيل : حَرَبَقِصْ وَسَقَطْهُ يَحْرِقُ الْحَرَجَ الخ) ، فالضمير في قوله (وسقطه) يرجع إلى (حَرَبَقِصْ) ويربطه به ربطاً وثيقاً ، والسقط ما سقط من الشرر بين الزندين ؛ فعلى هذا ينبغي أن يكون لكلمة حَرَبَقِصْ معنى فيه شرر ينفصل منه حتى يمكنه أن يحرق (الحَرَج) ، والحرج جمع حَرَجَةٍ مجتمع الأشجار . مع أن (الحَرَبَقِصْ) تصغير (حرقوص) ولا معنى له في اللغة إلا دويبة من جنس القراد أو البراغيث تندس في الأرفاغ فتلسع وتؤلم . وجواري الأعراب في معاتبة هذه الحراقيص وملاحقتها لطائف ومذبح ، فإذا اردنا أن يكون للكلام معنى يناسب السياق وجب أن يوثق في مكان (حَرَبَقِصْ) بكلمة أخرى ذات معنى له شرر فيقال مثلاً « خَنَيْتِصْ وسقطه يحرق الحَرَج » والخَنَيْتِصْ تصغير « خنوص » وهو كما في اللسان وغيره ما سقط بين القداحة والمروة من سقط النار ، وقال ابن بري : الخنوص الشررة تخرج من القداحة اد لكن منشئ الرسالة لم يقل « خنَيْتِصْ » وهل تراه قالها ثم حرقها النساخ إلى « حَرَبَقِصْ » ؟؟ على أن خَنَيْتِصْ من غريب اللغة بل حوشيتها لعري ؛ ونرجع إلى كتب الأدب التي هي معادن يستخرج المسجعون القدماء منها سجعاتهم ، ومستملح نكاتهم ، في أمل ترسلاتهم : فنجد فيها ما يروي الغلة ويكشف الخيرة .

قال الأصمعي : بينا أنا بجى ضريبة إذ وقف علي غلام من بني أمد في أطار ما ظننته يجمع بين كلمتين « أي ما ظننته يحسن النطق بكلمتين لظهور البذاذة عليه » ، فقلت له : ما اسمك ؟ فقال : حَرَبَقِصْ ، فقلت : أما كنى اهلك أن يسموك حرقوصاً حتى صغروا اسمك ؟ فقال : إن السقط ليحرق الحَرَجَ اه . فالوزير الذي ينشئ لنا رسالة في صفة الرجل المسمى « زُرَيْراً » اقتبس هذه الحكاية من أدب الأصمعي وادخلها في كلامه ملبحاً فقال : « حَرَبَقِصْ وسقطه يحرق الحَرَج » ، لكن جاءت جملة هذه ركبة لا معنى لها والتلميح بعيد فيها : فإن ضمير « وسقطه » يرجع إلى

حريقيص كقلنا ، وسواء أكن للمراد به البرغوث اللساع ، أم الغلام البرزاع — فإنهما كليهما لا شرر لهما يحرق الخرجات ، وهذا الغموض أو الرككة في التركيب جاء من منشى الرسالة أو من مؤلف نهاية الأرب أو من ناسخ كلامهما ؟ لا نر كن . تبعته لاحقة بن ؟ وإذا اردنا ان نصحح الكلام ليحسن التلويح فيه الى حكمة الأصمعي والغلام وجب ان تؤول الجملة تأويلاً نرجع فيه ضمير « وسقطه » إلى الغلام المسمى « حريقيصاً » لأدنى ملاسة ، ونفرض ان في الكلام حذفاً والتقدير هكذا : كقيل في اسم ذلك الغلام الأعرابي حريقيص بالتصغير مع انه ذو خطر كبير وسقطه « اي سقط حريقيص المذكور الوارد على لسانه في حكايته مع الأصمعي » شرر يحرق الخرج الخ . وهذا كما يرى القارئ تأويل في تصحيح الجملة بشعذر فهمه ، فلم يبق إلا ان نقول : إن صواب (حريقيص) (خنيتيص) أو أن الجملة محرقة عن اصل صحيح مجهول لنا ، أو أن منشئها أساء فيها . والسلام .

صفحة ٢٥٠ سطر ١٦ — قوله : (فيجد النوفرة وهي طافحة على وجه الماء) صوابه (طافية) وبؤيده قوله بعده « فإذا طلعت الشمس طفت النوفرة على وجه الماء » .
صفحة ٢٥٣ سطر ١٣ — قوله « نتردتم بمائلة القدود » لعل صوابه (بمائلة)
بدليل سياق الكلام . ولا داعي للتغيير « اتحد » بتوحد لأن اتحدوا تكون بمعنى انفقوا وهو مناسب هنا .

صفحة ٢٦٢ سطر ٧ — قوله في صفة القطاة « سكاء مخطوبة في ريشها طرق » صوابه « مخطوبة » من الخضاب يؤيده ما في صفحة ٢٦٣ سطر ٣ « مخطوبة المنقار الخ » و صفحة ٢٦٥ سطر ١١ « خواضب بالخاء منها الأصابع » وكلاهما في صفة القطاة ، وقد يقال : إن مخطوبة بالطاء وصف من الخطبة وهو لون فيه خضرة ، ومنه الأخطب من الحمير ومن الخنظل ، ولا نخفه لأن الوصف من هذا أخطب خطباء . لا مخطوب مخطوبة .

صفحة ٢٦٦ سطر ٢ — قوله « واخيري » وهي الخزامى . ضبط اخيري بفتح الخاء بالشكل تبعاً للسان ، وصوابه كسر الخاء كما هو صريح (مصباح) الفيومي .

صفحة ٢٦٦ سطر ٣ — قوله :

كأنما عِبَ في سود غالية وحل من تحته الكافور فانتقعا
« حل » ضبط بفتح الحاء من الخلول ، وهو النزول ، وصوابه ضم الحاء مجهولاً
من الحل وهو إذابة الجامد : إذ أنت الشاعر يصف منقار الحمام وهو أسود مبطن
ببياض فسواده جاء من كون الحمام عِبَ « أي غطس منقاره » في طيب الغالية الأسود
ومن تحت هذا الطيب الأسود حل وأذيب الكافور الأبيض فانتقع أبى استقر
الكافور ورسب . فالانتقاع هنا من تقع الشيء في المائعات .

صفحة ٢٦٦ سطر ١٢ — قوله :

تخذ الأراك أريكةً لمنامه فله الى الأسعار فيها موضع
لعل الأصوب « موقع » إذ يقال : وقع الطائر على الشجرة فحيث يقع يحسن أن
يسمى موقعاً لا موضعاً على أن قوله « منامه » و « الأسعار » يرجع أن يكون صواب
القافية « مضجع » كما لا يخفى .

صفحة ٢٧١ سطر ١٧ — يصف أفحوصة الحمام وأنه يجعل لها حروفاً غير مرثمة
لتحفظ يفض من السقوط « ولتأزم كتنفي الجؤجؤ » قوله (كتنفي) كذا بالتاء والجؤجؤ
صدر الحمامة ولا كتفين للصدر وإنما له كتفان بالنون ، فالصواب « كتنفي الجؤجؤ »
أي جانبيه وناحيته .

صفحة ٢٧٢ سطر ٣ — قوله « مع الحضانة والوثارة » صوابه « الحضانة » بالصاد
المهملة كما لا يخفى لأن الكلام في صفة أفحوص الحمام وإحكام بنائه حتى لا تقع
القراخ منه .

صفحة ٢٧٢ سطر ٦ — قوله « بقرعها رعد » صوابه « يفزعها » أي يفزع
الحمامة ويخيفها صوت الرعد فإنها إذا ذاك ترمي ببيضها خارج الأفحوص ولا معنى
ليقرع الحمامة رعد بمعنى أنه يعسكها ويضربها إلا بتكلف .

صفحة ٢٧٩ سطر ١٣ قوله يصف حمامات :

نظير بأمثال الجلام كأنها جنادل تدحوها ثلاثاً وأربعاً

شبه اجنحتها في شكلها ولطافتها بالجلام جمع جَلَم وهو النقص ثم شبهها بالجنادل جمع جندل وهو الصخر وانها في طيراتها تدحرو اي تبسط تلك الجنادل المرة بعد المرة . ولا يخفى ان الجنادل لا تبسط : فهي محروقة عن منادل بالميم جمع مندل كبير ، ومثله (مندبل) بزيادة الياء وهو معروف ، وتشبيه الجناح — والطائر يطير — بالمندبل الذي يطوى ثم ينشر ، ويقبض ثم يبسط دواليك — معقول مقبول كما لا يخفى .

. صفحة ٣١١ سطر ١٠ — قول البحري يصف سمكات في بركة ماء (كالطير تنفض في جوف خوافيها) لعل الاصول (كالطير تنقض) من انقضاخ الطائر وهو هويته الى السفلى . ونسب الانقضاخ الى اخوافي لانه يكون بها ؛ أما رواية (تنفض) بالقاء فمستبعدة معنى : لان الطائر انما يمكنه ان ينفض جناحيه وهو على الارض واقع لا في الجو طائر — ولفظاً وهو ان « خوافي » مفعول به — والفنحة تظهر على الباء ، فتسكينها ضرورة والاصل عدمها . على ان ما في ديوان البحري المطبوع « هو تنقض » بالقاف .

. صفحة ٣٢٠ سطر ١٤ — قوله يصف ضفدعاً وجلدها المرقش (دنتك في فاضة مدثرة الخ) الفاضة الدرع ومدثرة عايبها تدوير كلدنانير ، وقوله « دعتك » بالذال خطأ صوابه « راعتك » بالراء اي راقنتك واعجبك ومنه قولهم جمال رائع .
. صفحة ٣٢٤ سطر ١٠ — قوله يصف البندق الذي يرمى به عن القسي (كأنما خرط بالجره . فجاء كبنات الفهر) قوله (بالجره) خطأ صوابه (بالجرخ) والجرخ بالفارسية الدولاب والمخرطة التي يُخرط بها الخشب وغيره . وقوله كبنات الفهر بتقديم الباء الموحدة جمع بنت والفهر الحجر بقدر ما تكسر به الجوزة . وكلمة (بنات) تضاف الى أشياء كثيرة سردت في المعاجم : بنات الدهر . بنات وردان . بنات بحر الخ ولو كان المراد بنات الفهر الحجارة الصغيرة لقال (كبنات الصخر) لأنها منها تنحت لا من الفهر فلهل صوابه « كبنات المرخ » بتقديم النون على الباء « والمرخ » شجر صلب جداً يقتدح به ومنه قولهم « في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار » ويكون الكاتب قد شبه البندق المتخذ من الطينة الشديدة العليكة في استدارته وصلابته بخشب المرخ المخروط

بالجرخ أي الخرطة . « والجرخ » بالفارسية تكتب بثلاثة نقط تحت الجيم ثم عرّبت
بالجيم العربية .

صفحة ٣٢٥ سطر ١ — قال في وصف الطين الجيد الذي اتخذ منه البندق « فهو
كالكاغور المصاعد في اللبس والمنظر » قوله « المصاعد » من اصاعد بمعنى صعد وارتقى .
وصوابه المصعد كمعظم من التصعيد وهو إذابة الجامد فهو يقول ان هذا الكافور قد
صعد أي أذيب فأصبح نقياً مصفى ومنه اتخذت البنادق الجيدة .

صفحة ٣٤٠ سطر ٢ و صفحة ٣٤٨ سطر ٥ — قوله يصف طائر الكركي (لقوادمه
في الجو هفيف) صوت اجنحة الطائر أثناء طيرانه يقولون فيه « هفيف » بالحاء . اما
« الهفيف » بالهاء فيستعمل في صوت الريح وحركة السير . فلعل الحاء حرفت الى هاء
وهي قريبة منها . والقوادم كبار الريش في جناح الطائر .

صفحة ٣٤٤ سطر ١٢ — قوله يصف انواع الصيد والقنص « واحسن انواعه الذي
جمع لمعانيه بين روضة ورياضة الخ » . معانيه بتقديم الياء على النون اسم فاعل لفعل « عاين »
وهو تحريف وصوابه (لمعانيه) بتقديم النون اسم فاعل من فعل (عاى) الشيء إذا زاوله
ومارسه وكبدته وفعله بشيء من المشقة . وكذا الصيد فإن المولعين به يعانونه معاناة .
ولا معنى لكونهم يعانونه معاناة كما لا يخفى .

صفحة ٣٤٥ سطر ١٩ — قوله (رأيت الطير وهي لدى محارب) صوابه اسقاط
« وهي » لثلاث تكرار مع قوله بعد « وهي سجد » .

صفحة ٣٥٤ سطر ١ — قوله يصف شكل الصنارة في الماء : « كما طوت هلالها
السماء » الا صوب « كما حوت » بالحاء .

محاضرات في تاريخ لغة العرب

١

٩ = الألفاظ الإسلامية

جاء الإسلام والأُمة فاشية في العرب . والجهل ضارب بجرانه فيما بينهم ، فأمدهم بما لا عهد لهم به من العلم الكثير ، والانقلاب العظيم . فتكاثر المعاني . وبذلك تكاثر المصطلحات الجديدة وعب عباها . فتمطت اللغة عند ذاك ، وفتحت صدرها الرحيب لضم تلك المصطلحات الجديدة بمعانيها الجديدة . ولم تضق ذرءاً بتحمل ما حملته في هذا السبيل بل نهضت بكل ذلك نهوض القادر الأمين . بعد أن كان العربي لا يفقه من شؤون دينه ودنياه إلا النزر البسيط جاء القرآن والسنة بالفيض الفائض منها ؛ ثم جاءت الفتح و اتسم سلطان القوم ، فازدحمت اللغة بالمصطلحات الكثيرة التي اقتضتها الأوضاع السياسية والإدارية ، والتطورات الاقتصادية والاجتماعية ؛ ثم لم تزل الأحداث تتوالى والأحكام تتجدد وتكاثر بتجدد الأحداث وتكاثرها إلى أن استوى لدى القوم من المصطلحات الشيء الكثير ، حتى أنهم أفردوها بالتأليف و كثرت فيها التصانيف .

وليس معنى هذا أن تلك المصطلحات كلها ارتجلت ارتجالاً أو ابتدعت ابتداءً ، وإنما جُلها معان جديدة نقلت إليها ألفاظ من اللغة كانت مستعملة في معان أخرى لتناسب مع المعاني الشرعية ، وربما عربت الشريعة بعض الألفاظ بمعانيها .

ومن أمثلة المصطلحات الإسلامية « الصلاة » ، وأصلها في لغتهم الدعاء والترحيم ، ثم نقلها الشرع إلى المعنى المعروف للمناسبة الظاهرة . ومن ذلك « الركوع » وأصله الخضوع ، فنقله الشرع إلى الهيئة المخصوصة . ومن ذلك « السجود » فأبى أصله النظام والدلة ، وهو في الشرع عبارة عن الهيئة المخصوصة . ومن ذلك « الزكاة » لم

تكن العرب تعرفها إلا من ناحية البناء . ومن ذلك « المحرم » لشهر المعروف ، فإنه لم يكن معروفاً في الجاهلية وإنما كان يقال له ولصفر : الصفران ، وكان أحد الصفرين من الأشهر الحرم ، وكانت العرب تارة تحرمه وتارة تقائل فيه ، فلما جاء الإسلام وأبطل النبي (ص) شهر الله الحرام . ومن ذلك « الجاهلية » فإنه اسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة . ومن ذلك « الفاسق » أصله خروج الشيء من الشيء على وجه الفساد ، يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها ، وكذلك كل شيء خرج عن قشره فقد فسد ؛ ثم نقله الإسلام إلى الخروج عن الطاعة ، والأمثلة في هذا أكثر من أن يحاط بها ، ومن أراد التوسع في هذا الباب فليرجع إلى الكتب الشرعية من التفسير وغريب الحديث وأصول الدين والفقه وأصوله ، فإنه يقف على فيض من تلك المصطلحات المنبثقة هنا وهناك ، وتجدهم هناك يقولون لهذه اللفظة معنيان معنى في اللغة ومعنى في الشريعة ؛ وإنما أفردت الألفاظ الإسلامية عن سائر مصطلحات العلوم كالعربية وغيرها لما للشرع من معنى الشمول ، فإن الألفاظ الشرعية تستمتع من الانتشار والشمول بما لا تستمتع به سائر العلوم الأخرى ، فإن الذين يعرفون الصلاة — مثلاً — بمعناها الشرعية ، أكثر بكثير من الذين يعرفونها بمعناها اللغوية ، أما مصطلحات العلوم المختلفة فإن معرفتها بمعانيها الاصطلاحية مقصورة على أهل تلك العلوم ، فمصطلحات النحو — مثلاً — لا يعرفها سوى النحوي ، ومصطلحات العروض لا يعرفها غير العروضي ، بخلاف المصطلحات الشرعية فإنها مشاعة بين جميع أفراد الأمة عامة بهم وخاصتهم .

واستعمال الألفاظ الشرعية من قبيل الحقائق عند أهل الشرع ، واستعمالها بمعانيها اللغوية من قبيل المجازات عندهم ، والأمر عند اللغويين بالعكس ؛ فالصلاة بمعناها الشرعي حقيقة عند الشرعيين مجاز عند اللغويين ، وهي بمعناها اللغوي مجاز عند الشرعيين حقيقة عند اللغويين ، ولهذا يقول علماء البلاغة : إن الحقيقة أقسام منها : اللغوية ومنها الشرعية ، وكذلك المجاز منه الشرعي ومنه اللغوي .

١٠ - الاصطلاح

قلنا إن الألفاظ الشرعية لا تخرج عن كونها مصطلحات ولكنها أوسع شمولاً من مصطلحات سائر العلوم ، لأن أتباع الشرع أكثر عديداً من أتباع كل علم من العلوم الأخرى على حدته ، ولما اتسع نطاق المعارف ، وبسقت دوحتها وتبارت العقول في خدمتها وتسميتها ، وانماز كل علم منها بقواعده ومسائله : من علوم شرعية ، إلى لسانية ، إلى كونية ، وتكاثفت أغصانها وفروعها ، احتاجوا في كل فرع منها إلى وضع مصطلحات كثيرة ، للمصطلحات الكثيرة التي زخرت بها تلك العلوم ، فمصطلحات العلوم اللسانية تختلف عن مصطلحات العلوم الشرعية ، وهذه تختلف عن مصطلحات علوم الفلسفة : فالعامل عند النحوي — مثلاً — غيره عند الفقيه والفيلسوف ، وكذلك الكلام والتمييز والحال والإعراب والبناء ، إلى غير ذلك من الكلم التي اصطلح عليها أهل كل علم في علمهم ، وكانت أرباب العلوم إذا جدد لهم معنى وضعوا إزاءه لفظاً يناسبه ، فإن أعوزهم فزعوا إلى الاشتقاق والنحت أو نحوهما ، وقد ينصرفون في اللفظ تصرفاً يغضب اللغويين أو الصرفيين ، ولكنهم لا يبالون بذلك إذا أرضوا المعنى الذي يريدونه ، فقالوا : اللأ أردية ، أو العندية ، والمثى ، والأين ٠٠ الخ وإذا ضنت عليهم العربية أو بالأصح إذا لم يتوقفوا للوصول إلى بغيتهم منها ، فزعوا إلى التعريب ، فقالوا : (سفسطائية) و (اسطقس) و (إيساغوجي) و (اقرباذين) ٠٠٠ الخ .

وقد تمايزت مصطلحات كل علم عن غيرها ، وإذا ضمنت مصطلحات العلوم المختلفة إلى بعضها يتوفر لديك معجم ضخم له شأنه ، وقد فعل ذلك بعض المتأخرين فتم لديهم الشيء الكثير ، ومجموع ذلك يؤلف لغة قائمة بنفسها هي لغة العلم ، وعليها المعوّل في كل لسان .

وأنا أرى أن معجم المصطلحات يجب أن يسبق المعجم اللغوي لأنه ألزم والانتفاع به أكثر .

١١ - الألفاظ المولدة

قلنا : إن التابع الكبرى التي استقيت منها اللغة العربية إنما هي القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، وكلام العرب الموثوق بعريبتهم ؛ ومن المعلوم أن القرآن تم قبل انتقال الرسول إلى الملاء الأعلى بزمن يسير ، وإن الحديث النبوي ختم بانتقاله عليه السلام ، بقي كلام العرب الموثوق بعريبتهم واستمرت الثقة به إلى أن اختلفت سلائق القوم واضطربت ألسنتهم على أثر اختلاطهم بحمراء الأمم وصفرائها ، فما كد ينطوي بساط القرن الأول الفجري حتى انقضى عمر الاعتماد على كلام المتحضرة من العرب ، أما العرب المتبدية فامتد أجل الثقة بكلامهم إلى ما بعد القرن الأول ، ولكنه لم يطل إلى ما بعد القرن الثالث ، إلا في قبائل قليلة كانت معصمة في شعاف بعض الجبال المنقطعة عن العمران ، أو الضاربة في بعض البوادي النائية التي لا تتصل بالمدر إلا في القليل ، وهم شراذم لا يعتد بهم ، فالأخذ عن حاضرة العرب وما يتصل بها أو يكثر التردد إليها من أهل البادية ينتهي بجزير والفرزدق ومن في طبقتهم ، ومن هناك تبدأ طبقة المولدين من مخضرمي الدولتين ، وعلى رأسها : بشار ، وحماد عجرد ، وروالة بن الحباب ، ومن في طبقتهم ؛ فما حدث في عهد هذه الطبقة وما بعدها من الألفاظ يسمى مولدًا ، وبعبارة أخرى ما أحدثه المولدون من الألفاظ يسمى المولد ، ويقابله العربي ، فيقال : هذه لفظة مولدة ، وهذه عريية ؛ كما يقابل العرب والدخيل بالعربي الصميم ، فيقال : هذا لفظ معرب ، وهذا من الصميم .

وأمثلة الألفاظ المولدة كثيرة تكاد تفوت الحصر ، من ذلك (التحرير) كان الأصمعي يقول : إنه ليس من كلام العرب وإنما هو مولد . و (أخ) كلمة يقال عند التألم والتأوه ، والعربي (أح) بالخاء المعجمة . ومن المولد (الكابوس) وهو ما يشعر به النائم من الشغل . ومنه (الفطرة) والعربي : صدقة الفطر أو زكاة الفطر ، وفي من الألفاظ الإسلامية . ومنه (التفرج) قال النووي : ولعله مأخوذ من انقراج النعم . ومنه (الجبرية) و (القدرية) من مذاهب المتكلمين ، الأول يطلق على من يقول : الإنسان مضطر في أفعاله غير مختار ، والثاني يطلق على من يقول : بأن الإنسان فاعل

باختياره . وخالق لأفعاله ، ويقال للأولين أهل الجبر ، وللآخرين أهل القدر . ومنه (الطفيلي) وهو من يأتي الولايم من غير أن يدعى إليها ، وطفيل رجل كوفي كان يغشي الولايم من غير دعوة . وبالع في ذلك فنسب اليه كل من يفعل مثل فعله ، وعربية الضيفن ، لمن يجي مع الضيف من غير دعوة ، والوارش من يدخل على القوم في طعامهم فيأكل من غير دعوة ، والواغل : لمن يدخل على القوم في شرايبهم فيشرب معهم من غير أن يدعى الى الشرب . ومن المولد (الحرقه) وهي الافتعال والاحتفال . ومنه (البحران) وهي أعلى ما يصل اليه المرض من الشدة وليس بعده إلا الموت أو البدء بكسر سوره المرض شيئاً قشياً ، وهو اصطلاح طبي . ومنه (تبغدد) اذا تشبه بالبغداديين وليس منهم . ومنه (بس) بمعنى حسب ، وقيل هو عربي مأخوذ من البس وهو القطع ، وأنشدوا :

يُحَدِّثُنَا عَيْدَ مَا لَقِينَا فَبِكَ يَا عَيْدَ مِنَ الْكَلَامِ

وانت ترى ان البس بمعنى القطع ثلاثي . ولفظ بس المستعمل بمعنى حسب ثنائي . وشتان بينهما . نعم لو قال قائل لاخر بساً اي بس كلامك بساً بمعنى اقطعه قطعاً لكان صواباً . ومنه (التخمين) وهو القول بالحدس . ومنه « الفشار » للهبان والاقذاع في القول .

تغيير :

يعد من المولد كل لفظ كان عربي الاصل ثم غيرته العامة تغييراً ما ، بان كان ساكناً فحركته ، او متحركاً فسكته . او مهموزاً فحركت همزه ، او بالعكس ، او قدمت بعض حروفه على بعض ، او حذفت وما الى ذلك . مثال ذلك ان العرب نقول : في رجل « سَمَحَ » وفي اسنانه « حَفَرَ » وفي بطنه « مَغَسَ » و « مَغَصَ » وحدث في الناس « شَغَبَ » . وجمل « وَغَرَّ » . وبلد « وَحَشَ » . وجلس في « حَلَقَة » القوم ، كل ذلك بسكون العين والعامة تحركها .

ونقول العرب : اصيب فلان « بِاللُّخْمَةِ » . وهو من « اللُّخْبَةِ » اي الخيار . وهذه « لُقْطَةُ » وهي « لُخْمَةُ » وتناول « الصَّيْر » للدواء المعروف . وظلمت « الزُّهْرَةَ »

للكوكب المعروف « وسَعَف » النخل « والسَحَنَة » للهيئة — كل ذلك بالتحريك
والعامة تسكنه . والعرب تقول : « حَنَأَني » الطعام و « مَرَأَني » . و « طَرَأَت » على
القوم و « تَرَأَسَت » عليهم — كل ذلك بالهمز والعامة تتركه .

والعرب تقول : رجل « عزب » وهذه « كَرَة » . و « تَعَسَ » الله و « كَبِه » : لوجهه .
والعامة تزيد فيه الهزة فتقول : رجل اعزب . وهذه اكرة . وأتعسه الله واكبه .
وامثلة ذلك كثيرة تجدها مبثوثة في ثنايا معاجم اللغة ودواوين الآداب وقد افردته
بالتأليف جماعة . منهم الموفق البغدادي في ذيل الفصيح . والحريري في درة الغواص
في اوهام الخواص (١) . وقد عقد له ابن قتيبة في باب الكتاب اكثر من باب .
وعقد له الجلال السيوطي بابا خاصا في الجزء الاول من كتابه (الزهر) في علوم اللغة
وانواعها .

« ينبع »

طه الراوي



(١) المجمع : والجواليقي في كتاب (التكملة في إصلاح ما نغلط فيه العامة) وهو
الذي نشره المجمع في الجزء الماضي وطبعه على حدة مع الفهارس العديدة المفيدة .

وضع علم النحو

إن الذي يعتقد علماء العرب هو أن الإمام أبو الأسود الدؤلي هو واضع العلم ؛
وللناس المحدثين من مشاركة ومستشرقين آراء كثيرة في هذا ، فلا نريد أن نقول
شيئاً قبل أن نستقصي النصوص القديمة واخذيشة في هذه المسئلة فلعلها تهدينا سواء
الصراط .

فأما ابن قتيبة الدينوري ٢١٣ - ٢٧٦ هـ فإنه لم يذكر أباً الأسود ولا تلامذته
حين عد في كتابه « المعارف » رجال النحو وطبقاته وإنما بدأ بعبد الله بن أبي اسحق
الحضرمي وأبي عمرو بن العلاء .

وأما ابن النديم - ٣٧٥ فيقول في الفهرست إنه شاهد بأمر عينه في مكتبة لرجل
معاصر فطراً فيه نحو ٣٠٠ رطل من فليجان وصكك وقرطاس مصري وورق صيني
وورق تهايمي وجلود وأدم وورق خراساني وفيها خطوط بعض الصحابة وفيها أربع
أوراق قال أحسبها من ورق الصين ترجمتها هذه : فيها كلام في الفاعل والمفعول من
أبي الأسود رضي الله عنه بخط يحيى بن يعمر وتحت هذا الخط بخط عتيق هذا خط علان
النحوي وتحت بخط هذا خط النصر بن شميل ثم لما مات الرجل فقدنا القمطر (١) .
ويقول الزبيدي الإمام أبو بكر محمد بن الحسن الإشبيلي - ٣٧٩ هـ (٢) : « وأول
من أصل علم النحو أبو الأسود وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج وعنبسة الفيل ونصر بن
عاصم وميمون الأقرن ، وكان لأبي الأسود فضل السبق والتقدم » .
وقال أبو سعيد عبد الكريم بن السمعاني في كتاب الأنايب الكبير (ويقال :
هو أول من تكلم بالنحو وروى عنه الناس) .

(١) الفهرست ص ٤٠ (٢) في كتابه « طبقات النحاة واللغويين » وهو مخطوط
بالمكتبة المصرية ومكتبة الجامعة المصرية ، ومنصفه حين كلامنا على تراجم النحاة .

ويقول ابن الانباري - ٥٧٧ في نزهة الألباب : (روي عن ابي الأسود انه دخل على علي فوجد عنده اوراقاً كان فيها بعض مسائل النحو فقال : انحُ نحو هذا) .
ويقول باقوت ٥٤٧ - ٦٢٦ في معجم الادباء « والاكثر على انه اول من وضع العربية ونقط المصاحف . . . روى عاصم قال جاء ابو الاسود الدؤلي الى زياد ابن ابيه وكان يعلم اولاده وقال « اني لوى العرب قد خالطت الاعاجم وفسدت السنتها افتأذن لي ان اضع للعرب ما يعرفون به كلامهم » فقال زياد « لا تفعل » قال فجاء رجل الى زياد فقال « اصلح الله الأمير مات ابانا وترك بنون » مات ابانا وترك بنون !! ادعوا ابا الاسود فلما جاء قال له « ضع للناس ما كنت نبيتك عنه » ففعل وروي في وضع العربية غير ذلك .
وقال الحافظ الذهبي الدمشقي ٦٧٣ - ٧٤٨ في طبقات القراء « انه (يعني ابا الاسود) اول من وضع مسائل في النحو باشارة علي عليه السلام فلما عرضها علي علي قال ما احسن هذا النحو الذي نحوت » فمن ثم سمي النحو نحواً .

وقال ابن حجر العسقلاني ٧٧٣ - ٨٥٢ في الاصابة : وقال ابو علي القالي حدثنا ابو اسحق الزجاج حدثنا ابو العباس المبرد قال اول من وضع العربية ونقط المصاحف ابو الاسود وقد مثل ابو الاسود عمن نهج له الطريق فقال تلقيته من علي بن ابي طالب .
وقيل كان الذي حدها علي ذلك ان ابنته قالت له « يا ابت ما اشد الحر » وكانت في شدة الحر « فقال مانحن فيه » فقالت « انما اردت انه شديد » فقال « قولي ما اشد الحر »
فصل باب التعجب . وروي عمر بن شبة بإسناد له عن عاصم بن بهدلة قال : اول من وضع النحو ابو الاسود استأذن زياداً وقال له : ان العرب خالطت العجم ففسدت ألسنتها فلم يأذن له حتى جاء رجل فقال : اصلح الله الأمير مات ابانا وترك بنون ، فقال الأمير : مات ابانا وترك بنون !! ادع ابا الأسود فأذن له حينئذ . وروي ابن سعد ان سبب ذلك انه مرَّ به فارسي فلحن فوضع باب الفاعل والمفعول فلما جاء عيسى ابن عمر الثقفي تتبع الأبواب فهو اول من بلغ الغاية فيه . وقال ابن حجر ايضاً في تهذيب التهذيب . « وقال العجلي هو (اي ابو الاسود) كوفي تابعي وهو اول من تكلم في النحو » .

ويقول الامتاز زيدان « أما واضع العربية او مدونه فهو بالاجماع ابو الاسود .

الدؤلي ٠٠٠٠ واختلفت الروايات في ما بعث ابا الاسود على وضع النحو لكنهم مجمعون على انه واضع كما قدمنا وهو يقول انه تلقى ذلك عن علي بن ابي طالب ٠٠٠ ويؤكد ذلك ما ذكره ابن النديم في الفهرست « ثم يسوق القصة القمطرية (١)

ويقول الأستاذ الرافعي (أول ما كتب في الأدب صحيفة أبي الأسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ (وقيل إنه توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز من سنة ٩٩ الى سنة ١٠١ عن ٨٥ سنة) وهي المعروفة عند النحاة بتعليقة أبي الاسود وفيها اختلاف بينهم نذكره في محله (٢) . أقول : وقد علق الأستاذ هذا بقوله في أسفل الصحيفة نفسها (لم يكتب أبو الأسود إلا هذه الصحيفة وكان أصحابه يكتبون عنه) ثم يذكر قصة القمطر عن ابن النديم ويقول (أول كتاب وضع في النحو على التحقيق هو الكتاب الذي وضعه نصر بن عاصم الليثي النحوي من أصحاب أبي الأسود وتوفي سنة ٩٩ ذكره ياقوت) ويقول الأستاذ الرافعي أيضاً (أول إسناد عرف بالأدب كان علمياً بحثاً ذلك إسناد نصر بن عاصم إلى أبي الأسود الدؤلي في كتابه الذي وضعه في العربية (٣) ويقول الأستاذ الزيات (أجمع المؤرخون أن أبا الأسود الدؤلي المتوفى سنة ٩٩ هو واضع النحو ، وأن السبب الذي حداه إلى وضعه هو نشوء اللحن وهجوم العجمة) ثم ذكر قصة أبي الأسود مع زياد ٠٠ ثم قال : « فوضع ابو الأسود باب التعجب ثم باب الفاعل والمفعول ، وأخذ كلما سمع لحنه وضع القاعدة التي تصلحها ٠٠ والغالب في ظننا أن ابا الأسود لم يضع النحو والنقط من ذات نفسه وإنشائه ، وإنما نظن أنه أم بالسريانية وقد وضع نحوها قبل العربية او اتصل بقساوستها (٤)

ويقول الأستاذ « فلوجل » صاحب فهرست القرآن « ان الواضع للنحو هو ابو الأسود » ولا يزيد الاستاذ على أن يذكر بعض أقوال المتقدمين دون أن يذكر رأيه . أما دائرة المعارف الإسلامية ، فيقول فيها الأستاذ لشتنر Lichtenstadter

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٢٢٥ (٢) تاريخ الادب العربي ج ١ ص ٢٨٧، ٢٨٨ (٣) الرافعي ج ١ ص ٢٨٢ (٤) تاريخ الادب العربي ص ٢٠٠ من الطبعة السادسة .

في مادة (نحو) ما ترجمته « إن المادة الأولية لعلم النحو العربي ، جاءت من المنطق الارسطوطاليسي الذي انتهي إلى العرب عن طريق السريان . وإن مسألة وضع العربية ووضع كلمة (نحو) نفسها مسألة محوطة بكثير من الغموض . ثم يذكر قصة أبي الأسود وعلي وقصته وزباد ، ويرجح الأستاذ أن قصة أبي الأسود وزباد أقرب إلى الصحة من قصته مع علي عليه السلام ، ولكنه لا يذكر سبب الترجيح ثم يقول : « فلما تم عزم أبي الاسود على وضع العربية أحضر خطاطاً وقال له : إن رأيتني أفتح فمي بسعة فضع نقطة على الحرف ... وهكذا نسب إلى أبي الاسود وضع النقط ونحن نؤمن بأن أبا الاسود له ضلع في المسألة لكثرة الروايات وتضافرها ، ولكنه لم يصلنا من آثاره شيء . وأبو الاسود بعد رأس المدرسة البصرية) .

بعد أن ذكرنا طائفة كثيرة من أقوال العلماء من محدثين وقدماء ، نعقب على ذلك بقول استاذنا اخليل إبراهيم مصطفى استاذ العربية وتاريخها في الجامعة المصرية ونعتقد أن رأيه حفظه الله رأي ناضج لم يقله إلا بعد بحث وتمحيص دقيق ، وإليك ما يقول :

يقول الأستاذ : ان الذي نفهم من هذا الاضطراب في أقوال العلماء من أمر علي لابي الأسود (بعلم النحو) وبعضهم يقول : « وضع العربية وتقط المصاحف . ثم أننا نرى أن ابن قتيبة لا يذكر أبا الاسود ولا تلاميذه حين مررد من لهم ضلع في وضع النحو وإنما بدأ بعبد الله بن أبي إسحق ، وهذه مسألة جد مهمة لا بد أن يكون وراءها شيء فالذي نراه أن أبا الاسود لم يضع قاعدة من قواعد النحو ولا أصل أصلاً من قواعده ، وإنما وضع النقط الذي يضبط به أواخر الكلمات بحسب ما تقتضيه السليقة العربية . ودليلنا على هذا أن أقدم كتاب نحوي بين يدينا هو (كتاب سيديويه) وهو حريص كل الحرص على أن يسند كل رأي فيه إلى صاحبه ، فهو كثير النقل جداً عن اخليل ، بل إن أكثر الكتاب منقول عنه ، وهو ينقل عن أبي عمرو بن العلاء وعن يونس بن حبيب وعن عبد الله بن أبي إسحق ولكنه لا يتجاوز عبد الله صاعداً فإذا يمكن استنتاجه من هذا سوى أن أبا الاسود لم يضع قاعدة ولا أصلاً ، وإنما أول

من وضع القواعد والأصول هو ابن أبي إسحق ، وإن أبا الأسود نقط المصحف تقط الشكل بأن وضع على الكلمة نقطة فوقها دلالة على الفتح ، ونقطة تحته دلالة على الكسر ونقطة بين يديها دلالة على الضم . وبهذا صرح بعض الروايات التي نقلناها . وفي المكتبة المصرية بعض المصاحف التي تقطت على طريقة أبي الأسود كما أن لدينا في مكتبة آل طلس قطعة من مصحف صغير كتب بالكوفي وتقط بنقط أبي الأسود ، ويظهر أنه كتب في المئة الثانية أو الثالثة .

إن النصوص النحوية التي بين يدينا تعرفنا أنه لم يكن قبل عبد الله بن أبي إسحق شيء من البحث النحوي ، وإن الذين كانوا قبل ابن إسحق كانوا قراء يروون القرآن وقراء أنه ليس غير . إذن فمسألة الصحيفة التي يزعم ابن النديم رحمه الله ووافقها عليها الأستاذ الرافعي مسألة ليست صحيحة لما بيننا ، ولأنه من البعيد جداً أن يضع أبو الأسود في ذلك العهد البعيد ألفاظاً (فاعل ومفعول وتعجب الخ . .)

ونحن إذا تتبعنا كتب التراجم نجد مذكروا عن ابن أبي إسحق جملة هي « إنه أول من علل النحو ومد القياس » وهذا ليس معناه إلا أنه أخذ بعلم ما يجد في كلام العرب من ضم ونصب وكسر وإنه أخذ يرد ذلك إلى أقبيسة وعلل ، ثم إنه مد ذلك حتى كان هذا العلم . ثم لما جاء بعده تلميذه عيسى بن عمر صنف كتابين جليلين في النحو ، قيل فيهما :

ذهب النحو جميعاً كله غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك « إكمال » وهذا « جامع » وهما للناس شمس وقمر

إذن فالذي وضعه أبو الأسود ليس إلا نقط الشكل والضبط ولا حاجة إذن لما يقوله الأستاذ الزيات من أنه اقتبس ذلك عن السريان أو الكلدان كما يقول الأستاذ زيدان أيضاً لأن هذا الذي وضعه أبو الأسود أمر تدعو إليه الطبيعة العربية ويحسن بنا أن نشير هنا إلى غلطة ذكرها الأستاذ زيدان حين يقول : « والحقيقة أنه وضع نقطاً لتمييز الاسم من الفعل ومن الحرف وليس لتمييز الباء من التاء » . فقد علمنا

أن عمل أبي الأسود ليس إلا لتمييز المرفوع من المنصوب لا لتمييز الباء من التاء.
كما يقول .

بعد أن عرفنا شيئاً في مسألة وضع النحو ندرس في الأعداد المقبلة ان يسر الله
(مصادر النحو) و (مذهب البصرة) و (مذهب البغداديين) و (مذهب العلماء
المتأخرين) ؛ ثم ندرس (كتب النحو) ، فنسأل الله التوفيق والإعانة .

محمد أسعد ظلس

مجاز في الأدب العربي

دمشق



الالفاظ الدخيلة في اللغة

ومابنا اليها

١ - تحديد الدخيل وحاجة العربية اليه

الدخيل في اللغة ، كل من دخل في قوم وانتسب اليهم ، وليس منهم ، يقال : « هو دخيل في بني فلان » . - والدخيل أيضاً - وهو المقصود هنا - ما استعمله العرب من الالفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها ، مثل الدرهم والدينار ، الخ
أما أن العربية في حاجة الى الدخيل ، فأمر لا ينكره العارفون : لان العربية أصبحت في حاجة كبيرة الى أسماء لم يسبق للعرب عهد تسمياتها . ولا يسعنا أن نصوص من جذور العربية أو بواسطة اللواحق (affixes) فقط ، أسماء لآلاف تلك التسميات الجديدة ، إلا بمجهودات تنوء بها الأئمة ، ويقضي إيجادها زماناً طويلاً .
والعربية أصبحت في حالة لا تأذن لها بالسير على لغة من ينتظر . حتى أن أرباب الجامعات العلمية العربية ، لا يسهل عليهم أن يوجدوا من جذور العربية أسماء لآلاف التسميات العربية فقد زحمت الغرب بمخترعاته وفتونه ، وهجمت على لغتنا آلاف أسماء لتلك التسميات وتناقلت وشاعت على السنة معظم المتعلمين والمتكلمين بالعربية فأصبح استبدال ذلك جمعاً ، بل مستحيلاً !

٢ - في ان العرب قد لجأوا الى الدخيل

ان العرب ، حتى في أرقى عصور اللغة ، كعصر المأمون وعصر الامويين في الإندلس ، قد استعانوا بالدخيل فاقبسوا من اللغات الأجنبية عدداً كبيراً من الالفاظ

الإدارية والفنية والمصطلحات العلمية ؛ بل ان العرب سبغوا جاهليتهم نفسها ، لم يستكفوا من قبول الفاظ الروم والفرس وغيرهم . واليك شيئاً من الشواهد على اقتباس الجاهليين للالفاظ الاعجمية :

قال ذو الرمة :

كأنما اعتمدت ذرى الاجيال بالقز والابريسم الملهال
فالقز والابريسم غير عربيتين .

وقال عدي بن زيد العبادي :

ودعا بالصبح يوماً ، فجاءت قينة ، في تينها ابريق
فابريق غير عربية

وقال امرؤ القيس امير شعراء الجاهلية :

اذا راعه من جانبيه كنيهما مشى المربذى في دفر ثم فرورا
فالمربذى مشية المربذ وهو خادم النار عند الفرس .

واذا راجعت معاجم اللغة والشعر القديم ، وقفت على مئات من هذه الشواهد .
ونحن هنا اثبات جدول صغير ، نذكر فيه شيئاً من الالفاظ الاعجمية التي دخلت في العربية من عدة لغات :

من اليونانية : ايريز ، أبئوس ، أثير ، ارغن ، درايزون ، فندق ، كئارة ،
نوتي ، انجيل ، الخ

من العبرانية : سوسن ، صبوت ، فريسي ، كروب ، لاوي ، اسرائيل ،
يوسف ، صريم ، يسوع ، الخ

من اللاتينية : اسطبل ، دينار ، قنصل ، فسقية ، قيسارية ، الخ
من السريانية : يرشان ، تلميذ ، دير ، اشبين ، شحيم ، شماس ، ملغان ، يويل ،
نيسان ، أيار ، الخ .

من التركية : آغا ، باشا ، بك ، يشاك ، يوغاز ، تنك ، الخ .
وقد دخل من الالفاظ الفارسية الى العربية شيء كثير ، منها : الخز ، الديباج ،

الياقوت ، البثور ، القفل ، القرقة ، الترجس ، البنفسج ، العنبر ، الكافور ، القرنفل ،
انسك ، الخ ...

ومن المعلوم أن الالفاظ الاعجمية دخلت في القرآن ، ووردت في أخبار رسول
المسلمين والصحابة والتابعين ، من مثل السجيل ، والمكان ، واليم ، والطور ، واباريق ،
واستبرق الخ ...

٣ - في ان ارقى اللغات لا تستغني عن الدخيل

ان اللغة العربية لم تنفرد في قبول الدخيل ، بل ان جميع اللغات ، حتى الراقية منها ،
تفترض من غيرها الفاظا تدل بها على ما لا عهد لها به من فنون المعاني .
وهذه اللغة الفرنسية ، فقد اقتبست من غيرها مئات الفاظ ، وهي ، على غناها ،
لا تزال نقبس ؛ واليك امثلة على ذلك : Théâtre مأخوذة من اليونانية ، Piano من
الاطالية ، Curaço من البرنغالية ، Bolchevique من الروسية ، Mosquée (مسجد)
من العربية ، Wagon من الالمانية (١) الخ .

فاذا كانت اللغة الفرنسية ، وهي الآن من ارقى اللغات ، لا تنفرد من الدخيل ، فما
يكون شأن العربية ، وقد اصبحت في حاجة الى الوف اسماء جديدة ؛ ان أعظم التجار
والصيارف هم ، في الغالب ، اكثر الناس اقتراضا للمال ؛ اما الفقير ، فلا يستدين ، بل
لا يكاد يجد من يدينه .

فهما تبجح البعض ونعتوا رافضين الدخيل ، فلا يسعهم إنكار وجوده . حبه
العربية ، وحاجتنا اليه ، ولا سيما في عصرنا هذا . وهيئات ان يستطيعوا تبديل شيء
منه ، لشيوعه في الكتب والجرائد والاندبة ، على ما اقتضاه التمدن الحديث من العادات
والآداب والعلوم الجديدة : مثل مكروب ، دفنارية ، مالارية ، كوليرا ، تلفراف ،
تلفون وغيرها .

(١) في ذيل معجم Littre الشهير نحو من الف كلمة فرنسية مأخوذة عن العربية
والفارسية والعبرانية والمالطية ، على ان اكثرها من العربية .

ثلاث ملاحظات

وهنا لا بد من ذكر ثلاث ملاحظات

الاولى : يريد بعضهم نقورا من الدخيل ، ان يوجد الفاظ عربية من جذور اللغة ، فيقولوا مثلا : « تصوير شمسي » بدلا من Photographie ، ولكن فاتهم اننا في مثل هذا الایجاد ، لانزال ايضا في حاجة الى الحال والصفة من تلك الكلمة . فاية كلمة عربية يوجدون للكلمة ، Photographiquement ; Photographique ، فهل يقولون في الاولى « مختص بالتصوير الشمسي » وفي الثانية « تصويرا شمسيا » ويؤثرون كلمتين أو ثلاث كلمات على كلمة واحدة ؟ .

ثم قاب ، ايها القارئ الكريم ، بين قولهم « مقياس ثقل الهواء » وبين الكلمة « بارومتر » (Baromètre) وبين قولهم « عرفنا بمقياس ثقل الهواء اننا على ارتفاع كذا » وبين قولنا « عرفنا بارو متريا » ، وانظر فيما بين الاسمين من الخفة والایجاز . فضلا عن اننا بقبول امثال هذه الكلمات الدخيلة ، نستطيع صوغ الفعل منها أيضا ، فنقول مثلا : « تلفن » (Téléphoner) و « رَدِّف » (Radigraher) اي صور بالاشعة المحبولة . وتلغف (Télégraphier) .

وان العرب لم يستنكفوا من التصرف بالالفاظ الاعجمية وصوغ الافعال منها وتصريفها ، وان كانت غير مصرفة في الاصل ؛ فقالوا من « فلسفة » تفلسف ، ومن « زنديق » تزندق ، ومن « طراز » طرز ، ومن « دهقان » تدهقن . وما جاز لهم ، جاز لنا فنحن ورثة اللغة ، ويحق للوارث التصرف في ميراثه ، ولا سيما بما يعود عليه وعلى ذلك الميراث بالنفع والخير .

الثانية : من اللازم أن يكون الدخيل مصوغا صيغة عربية ، بقدر ما يمتد الامكان اليه ، على شريطة الا تشوه الصياغة تلك الكلمة الدخيلة ، فبدلا من « بارومتر » نقول « يرمتر » وزلن « زنجفر » وتلفن وزان دحرج الخ . وان تغير الكلمات الاعجمية فنبدل الحروف التي ليست من حروفنا ، الى اقربها مخرجاً ، كما فعل العرب عن قبل .

الثالثة: بهذه الوسطة نفني اللغة العربية ونخدم طلبة الطب وسائر العلوم والفنون لان تلك الالفاظ الصناعية والعلمية والنفسية شائعة في جميع اللغات الاوروبية التي يقرأ ابناؤنا كتبها ، ومصلحتنا تقتضي علينا بان نسير في الطريق الاقرب . والا بقينا منحطين عنهم . وحين كان اهل أوروبا دون العرب في الفلك والكيمياء ، اقتبسوا كثيراً من كلام العرب .

أما اذا أوجدنا أسماء عربية لجميع المسميات الحديثة ، فيضطر الطلاب الى استظهار آلاف الفاظ جديدة ينوون بها ؛ وخصوصاً في هذا العصر الذي تكاثرت فيه انواع الصناعات والعلوم والفنون .

الخلاصة

ان الدخيل يحسن الاكثار منه في اللغة العربية ، تمكيناً لها من مجازاة اللغات الحية . وطريقته لا تقتضي طويلاً زمان ولا وافر مال . وليس من الصواب حساب الدخيل مفسداً للعربية .

ذلك رأينا في هذا الشأن ، نسطه لائمة اللغة وادبائها . وما نحن ، في كل حال ، ممن يرغبون عن الانقياد لذوي الآراء السديدة . فما غابتنا من هذه المباحث صوة خدمة هذه اللغة ومعاونة الآخذين بنصرتها . فإن اخطأنا فنحن أول الخطئين ؛ وإن أصبنا ، فمع الخواطي سهم صائب .

الطوري مارون عيسى

(المجمع) اصحاب المقالات هم الذين يتحملون تبعة ما ينشرونه في مجلة المجمع ولا يكون ذلك معبراً عن رأي المجمع العلمي بوجه من الوجوه ، وانما غاية المجمع في نشر هذه الابحاث ان تكون مجالاً للمناقشة العلمية الحرة توصلاً الى الافصح والاصح من الالفاظ والتراكيب العربية .

ولذلك كنّ المجمع العلمي لا يميز التساهل في قبول الدخيل الى هذا الحد الذي ذكره الاستاذ غصن ، كما أنه لا يميز جميع ما كتبه في المجلد الثالث عشر ، والجزء السادس ص ٣٠٠ بشأن النحت والحقاق كلمة اعجمية مثل (خانه) في آخر الكلمات العربية فيقال (صورخانه) ، بل ان مجمعا العلمي وبعضه بجمع اللغة العربية يرفضان كل كلمة اعجمية او دخيلة اذا أمكن الاستغناء عنها بكلمات اللغة الفصحى ، على انه ما عاد يسوغ لاحد منا ان يكون قوله فصل الخطاب في وضع الكلمات الجديدة ما دام هناك مجمعان لغويان يرجع اليهما في شكل هذه الاوضاع ، ولأحد اعضاء المجمع كلمة في هذا الموضوع تثبتها في عدد آخر .

ح

الفوتنج والفوذنج والفودنج

نشرنا في مجلة مجمعنا العلمي كتاب إصلاح ما تغلط به العامة للامام الجواليقي ثم نشرناه بالطبع مستقلاً ، وصر فيه (١) ذكر الفوذنج والفوتنج فعلقنا عليه تعليقاً بحملاً واعدنا بتفصيل هذا الاجمال في أحد أعداد هذه المجلة فنقول :

أعرية أم معربة ؟ — يذكر صاحب الناج في الفوتنج أنه معرب بوتنك ، وفي الفوذنج أنه معرب بودينة ؛ وكذلك اختلف من المتأخرين صاحب محيط المحيط فقال : الفوتنج دواء فارسيته فوتنك ، وذكر في مادة الفوذنج انه معرب عن بودنة ؛ كما أشار الى ذلك صاحب (٢) كتاب (الالفاظ الفارسية المعربة) ، وأما المعاجم الفارسية فقد ذكر البرهان القاطع لفظة بودنه (٣) وانها انبثت المسمى ياربوز ، فالاقوى اذن أن تكون فارسية وان العرب عربوها بالفوتنج والفوذنج أو الفودنج باهمال الدال وضم الاول والرابع (٤) .

ماهية الفوتنج . — والفوتنج أو الفوذنج قد اطلق في كتب العرب على أنبت هو الحبق ثم على دواء مركب منه ، قال دلود الانطاكي في تذكرته المشهورة في مادة (فوتنج) ويقال فوذنج : هو الحبق وهو أنواع كثيرة ، وترجع الى بري وبستاني وكل منها اما جبلي أو نهري ، أما النهري منه فهو الفوتنج المطلق وقد يسمى حبق

(١) ص ٢٠٣ و ٢٠٤ من العدد السادس من مجلد هذه السنة ، وفي الكتاب المستقل ص ٣٨ و ٣٩ . (٢) للاستاذ ادتي شير (٣) في مادة حبق (٤) انظر تاج العروس مادة فوذنج

التمساح ، وهو يقارب الصعتر البستاني ٠٠٠ والبستاني منه هو النعنع ، وكل له يزر يقارب يزر الريمان ويذهب الكزاز والحيات ولو مرخا ، والثآليل والنسا والنقرس واخكة والجرب طلاء وشربا ونطولا ٠٠٠ وقال بعد ذلك في النعنع البستاني : وماؤه اذا طبخ بالسكر كان شرايا قاطعا لانواع الصداع ، وأحد البصر ونقى الصدر من جميع الامراض ٠٠٠ ويفرح خصوصا مع العود والمصطكي . فهذا الكلام يدل على أن الدواء مركب من الحبق أو القودنج بالدال المهمة (١) .

وقد اذكرتني لفظة فودنج العربية عن بودنه بجلوى بودنغ Pudding الانكليزية فبحثت عنها في المعاجم الانكليزية فوجدتها تطلق على هذه الحلوى المشهورة التي اقتبست اسم الغرب صنعها واسمها عن الانكليزية ، وقد سررت حين وجدت (وبستر) اللغوي الانكليزي الثقة يذكر في معجمه نبت البودنغ Pudding grass ويذكر في تعريفه انه الحبق الصادق واسمه اللاتيني (Mantha pulegium) وانه يستعمل للطبيب اللحم المشوي ، وذكر أيضا اطلاقه على الحلوى الانكليزية المشهورة ، وعلى نوع من الصخور المكثلة . وبذلك اطمأن القلب بما بين القودنج العربية والبودنغ الانكليزية من صلة النسب الوثيقة ، وتبادر الى الذهن أن الانكليزية اقتبست هذه اللفظة من كتب العلم العربية المنقولة اليها .

أما المعاجم الفرنسية فيذكر لاروس في معجمه الكبير أن لفظة بودنغ انكليزية الاصل ولكنه لم يذكر لها ولا للملحة الفرنسية الكبرى معنى غير الحلوى والصخر المكثل ، ولتبت القودنج أو الحبق اسم فرنسي Pouliot فكأن الفرنسية قد استغنت بكلماتها القومية عن اللفظة الدخيلة ، وأطلقت Boudin على المعنى (٢) المحشي لحمًا مبهراً ، وأبقت القودنج أو البودنغ للحلوى المركبة من الدقيق والسكر والبيض والزبيب وغيره ، ولذلك الصخر المؤلف من حصاه المنتشر في طينه الشحير تأليفًا شبه

(١) في آخر الجزء الثالث ص ١٢٠ من كتاب الجامع لمفردات الادوية والاعذية

طبع مصر . (٢) ما يسمى بالعامية سجو وتقاني .

حلوى الفودنج ، ولعله لم تذكر الانكليزية ولا الفرنسية دواء الفودنج لان أساس الطب قد انقلب رأساً على عقب بالنظر الى الطب الحديث فاستعاض عن دواء الفودنج القديم بدواء آخر أشد منه نفعاً .

وقد ذكرنا الآن أن اللغات الغربية قد اقتبست عن الانكليزية صنعها واسمها معاً فإن لفظة بودنج الانكليزية المراد بها الحلوى قد انتقلت بصيغة Podding الالمانية و Puddig الجرمانية السفلى و Puding الاسبانية و Pudim البرتغالية و Budino الابطالية و Poten الولشية و Podding الدنيمركية إلى غير ذلك .

تعريب البودنجات . - فإذا أردنا أن ننقل هذه البودنجات الافرنجية من لغاتها الى العربية يجب علينا تعريبها بالفودنجات كما صنع أجدادنا من قبل ، وكذلك نعرب من كتب طبقات الأرض الفرنسية مثلاً لفظة Pudingue الموضوعة لبعض الصخور المسكولة أو الفودنج أو الفوتنج ونطلق هذه الاسماء أيضاً على الحلوى والنقائق ، ولا نطلق عليها فطيرة الزبيب كما فعل الاستاذ محمد البخاري في قاموسه .

وأما صاحب (١) القاموس المصري ، فقد ذكر في ترجمة بودنج ما نعه (بودينة عجينة مخبوزة ، مقاتق ، سجا ، سجق)

وأغفل المعجم الفرنسي العربي للاستاذ Belot اليسوعي لفظة بودنج كما أغفلها قاموس الدكتور محمد شرف مع أنها لفظة علمية مستعملة في كتب الجيولوجية . ان هذا البحث عن الفودنج ليدلنا على وجوب الاتئاد والاستقصاء في البحث عن الكلمات العربية أو المعربة المنبثة في كتب السلف العلمية ، فإذا لم نجد ما حدونا حدوهم في التعريب والوضع وهو ما يجذب اليه العقل والطبع أبداً .

التوضي

لغة المتنبى

لمؤتاز عبد القادر المبارك

قال فيها البليغ ما قال ذو اله
ي وكله بوصفها منطق
وكذاك العدو لم يعد أن قا ل جميلاً كما يقول الصديق (١)

أبو الطيب المتنبى الذي تمت بنسبه إلى قحطان من العرب العاربة ولد وترعرع في الكوفة مدينة الشعر والعروبة في الإسلام بعد أن مضى على تمصيرها في عهد ثاني الخلفاء الراشدين ثلاثة قرون ظلت فيها مقراً لأقطاب اللسان العربي ورجالات اللغة الفصحى من عرب وأعراب . فلا غرو أن يكون أبو الطيب المتنبى الذي ولد ونشأ فيها معرقاً في عروبه اللسانية إعرافه في عروبه القحطانية . على أن الكوفة التي صارت بعد الإسلام من أعظم الحواضر العربية كانت بقعتها قبل إنشاء المباني فيها بادية مأهولة بعرب الجاهلية وأعربها من سكان الوبر الذين كانت وفودهم لا تبرح غادية رائحة بين منازل ملوك العرب من اللخميين والناذرة إذ ليس بين الخيرة عاصمة ملوك العرب في الجاهلية وبين الكوفة سوى ثلاثة أميال .

وفي جوار الكوفة الخورنق الذي ذكرته العرب في أشعارها وضربت به الأمثال في أخبارها كما قال ياقوت ونقل أيضاً عن الهيثم بن عدي (٢) أنه لم يقدم الكوفة أحد من ولائها إلا وأحدث في قصرها المعروف بالخورنق شيئاً من الأبنية . وقال ياقوت أما ظاهر الكوفة فإنها منازل النعمان بن المنذر والخيرة والنجف والخورنق والسدير والغربان وما هنالك من المنتزهات والديرة الكثيرة اه فحق لأبي الطيب أن يكون

(١) هذان البيتان لأبي اليداء اسعد بن عصمة الرياحي (٢) وهو كوفي ابناً

من أعرق الشعراء في عروبه ومعرفته بلغة أولئك الذين يقول الأسود بن يعفر فيهم :
أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرقات من سنداد

وما من بقعة في الكوفة وما جاورها إلا وهي معهد من معاهد العروبة التي يحن أبو
الطيب إليها حنين الأسد إلى عربته ولبوته ومن أحق من عباقرة الشعراء بحب وطنه
ولغته قاله أعلم بما احتاج في نفس أبي الطيب من طرب حين نغنى بقوله :

تذكرت ما بين العذيب وبارق بحر عوالينا وبحر السوابق

ولئن كان أبو الطيب قد حيل بينه وبين وطنه فقصى معظم سني حياته بعيداً عنه
فإنه ما حيل بينه وبين لغته العربية التي لم ينزع إلى لغة سواها ولم يهو شيئاً هواها تلقنها
طفلاً وشمر بها مساهقاً وتضام منها يافعاً واستحوذ عليها فتى وبذ فحول شعرائها
مكتهملاً . ولو أراد أبو الطيب أن يكون كاتباً لأنسانا الصولي والجاحظ ولو أراد
تدوين اللغة العربية على مثال معاجم أئمتها لما سبقه الأزهري في تهذيبه والفارابي في
دبوانه والصاحب في محيطه وابن فارس في مجملد وابن دريد في جمهرته وأبو علي الفارسي
في تذكرته وغلام ثعلب في بواقيته وابن جني في مقنضه وخصاً نصره على أن شاعريته
التي أحمل بها فحول الشعراء أفادتنا عشرات الكتب التي ألفها علماء اللغة العربية من
كبار أدباؤها ومسرة نوابغها بسبب ديوان شعره شرحاً وبحثاً وتقداً وسيظل شعره مدعاة
لرجال الأدب العربي إلى خدمة هذه اللغة ما دام أهلها غيارى عليها

ولقد كان لأبي الطيب من الشهرة بالنبوغ والعبقرية في حياته ما كان للجاحظ كما
يظهر مما ذكره ياقوت في معجم الأدباء من أن الخطيب أبا الوليد بن عسال حج فلما
انصرف تطلع إلى لقاء المتني واستشرف ورأى أن لقيته فائدة يكتسبها وحلة فخر
يحتسبها فصار إليه فوجده في مسجد عمرو بن العاص ففاوضه قليلاً ثم قال ألا تنشدني
للمليح الأندلس يعني ابن عبد ربه فأنشده :

يا لولؤاً يسي العقول أنيقاً الخ فلما أكمل إنشاده استعادها منه ثم صفق ثم قال يا ابن
عبد ربه لقد تأتيتك العراق حبواً

وليس غرضي من هذا الشاهد أن أبحث عن كنه ما أظهره المتني من استحسان لهذا

الشعر وإنما غرضي أن الاندلسي شق عليه أن يعود إلى الأندلس دون أن يلقى عظيم
أدباء الشرق .

ومن غرام أبي الطيب باللغة العربية حسن تخريجه لولده محسد الذي أجاز هذا البيت
زارنا في الظلام يطلب سترًا فافتضحنا بنوره في الظلام
بقوله :

فالتجأنا إلى حنادس شعر سترتنا عن أعين اللوام
وليس بمعجب على من نشأ تلك النشأة بين عرب الكوفة حضراً وعرب كلب بادية
مع ما فطر عليه من ودية وشاعرية أن يصبح أستاذاً في اللغة للجاحظ الثاني أبي
الفضل ابن العميد الذي قرأ عليه كتاباً في اللغة من تصنيفه وكان يدهش لما يرى من
مسابقته لا يراى الشواهد وإفاضته في بيان أسرار القضايا اللغوية .

واستظهاره كتاباً عرض عليه في سوق الوراقين بنصف يسير وجوابه للفارسي عما
جاء على فلي ولا بن خالويه عن أشجى في قوله :
وقاؤكم كالربع أشجاء طاسمه
وليف الدولة لما انتقد عليه قوله :

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جنن الردى وهو قائم
تمر بك الأبطال كل هزيمة ووجهك واضح وثغرك باسم
كل ذلك من دلائل تبرزه في قوة الحافظة وامتلاك زمام اللغة التي ملكته كـ
ملكها وعنايته بالغوص على المعاني لا يبلغ في التعريف بفضل معشار ما يبلغه فيه شعره
الشاعر . فكان اللغة العربية في شعره غيرها في شعر غيره . والبيان كالجمال في كونه
يملك القلوب ولا يحيط بكنه أسرارها إلا علام الغيوب . فلا جرم إنه لجدير أن
يسمى طوراً شعراً وتارة سحراً ، وتبارك الله أحسن الخالقين الذي خلق الإنسان
علمه البيان .

وأبو الطيب إنما كان نسيج وحده ببهاء بيانه وعبقري خياله إذ هو فيها كالشاعر
الذي يقول :

إني وإن كنت صغير السن وكان في العين نبوءة عني
فإني شيطاني أمير الجن يذهب بي في الشعر كل فن
وإنك لترحم الشاعر أو الخطيب إذا أطل خوقاً عليه من أن ينهر أو يصير إلى
الإسفاف ، أما أبو الطيب فكما أطل ازداد تحليفاً حتى يجعل مكان الرحمة من سامعه
حسداً ، كما يحكى عن زياد بن أبيه وهو في شاعريته الغنية بثروته اللغوية أجدر من
أبي العتاهية الذي نشأ في الكوفة بأن يقال فيه : لو أراد أن يجعل كلامه كله
شعراً لفعل .

فلسانه كلسان عبد الملك المنكدر الذي قال فيه ابن المعدل : كلما تذكرت أن
التراب أكل لسان عبد الملك حقرت الدنيا في عيني ، وكلاهما أقام ردحاً طويلاً في
البادية بين بني كلب ؛ وكان عبد الملك إذا حاور الإمام الشافعي ظل من يسمعها
مبهوراً من فصاحتهما لأن الإمام تأدب في البادية بهذيل كما أن ذاك تأدب بخوولته
من بني كلب .

وكان أبو الطيب طبياً بوضع الكلم في مواضعه أكثر مما كان عترة الفلحاء طباً
بأخذ الفارس المستلثم ، فهو كما قال امرؤ القيس :

يذود القوافي عنه ذبادا ذباد غلام غوي جرادا

ومن مزاياه العربية غيرته على شعره أن ينتجع به من لا يفقه أمر لوالغة ، وكانت
هذه المزية من أشد البواعث على رغبته في إثبات سيف الدولة الذي كان يود أن لا
يفارقه حتى يفارق دنياه .

ولولا ذلك لانتجع من نبغ في زمن خلافتهم من ملوك بني العباس وهم : المقتدر ،
القاهر ، الراضي ، اللثي ، المستكفي ، المطيع ؛ لكنه رأى السلطة في بلاطهم ، بله
ملككتهم لطماطم الموالي وأقزام المماليك ، فكانت بغداد عنده كشعب يوتان في
طمطمانية المتحكمين فيها :

ملاعب جنة لومار فيها سليمان لمار بترجمان

وكل ما قاله في مدح غير سيف الدولة ليس إلا إغراء له بطلبه ومعانبة له ، وهل
يستطيع من ولد وترعرع في مدينة المنبر العلوي منجبة الألوف من فحول البلغاء ، وهو

بارت بلغته إلا أن يكون كأبي الطيب اعتزازاً بعربيته وإعزازاً لها ، وإشفاقاً عليها من آفات اللحن ، وإشفاق ذلك الأعرابي الذي سمع أحد الخلفاء من العباسيين يلحن فصره أذنيه وقال : أشهد أنك ما وآيت الخلافة إلا بقضاء وقدر .

وإليك مثالا من فقه اللغة في الكوفة من محاوره بين كوفي واثنين من الأعراب في القرن السادس للهجرة ، بينما كان الكوفي عمر بن إبراهيم العلوي بغرم فسيلاً في حائط له إذ مر به أعرايان فقال أحدهما للآخر : أيطمع هذا الشيخ القحل أن يأكل من جني هذا الفسيل ، فسمعه الشيخ وقال : يا بني كم من كبش في المرعى وكم من خروف في التتور ، فسمع أحدهما دون الآخر الذي سأله رفيقه عما يقول العلوي ، فقال له إنه يقول : كم من ناب تسقى في جلد حوار ، فعلم الأعرابي ما قال وأعجبه ذلك .

هذا بعد عصر المعري الذي استنبط فيه العرب ، فما بالك بالعصور الأولى في عكاف الإسلام مرصد البصرة وظاهر خدة العذراء التي كانت من أكبر مدن العرب العرباء وفي مدرسة أبناء أشرافها أو كتابهم تلقى المتنبي دروسه الأولى باللسان العربي المبين الذي جرى على لسانه الطليق الذليق شعراً مبشراً بعقريته وهو ابن عشر سنين . وبعد فإني أقول في لغة أبي الطيب ما قاله بونس بن حبيب في ابن العلاء البصري : لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله في كل شيء لكان ينبغي أن يؤخذ بقول أبي عمرو ابن العلاء كنه في العربية ، ولكن ما من أحد إلا وأنت آخذ من قوله وتارك إلا أفصح من نطق بالضاد نبينا محمداً عليه الصلاة والسلام .

وحب المتنبي اللغة العربية حداً به إلى الإمعان في تعرف أمرارها والحرص على تصفح خيرة معاجمها الكثيرة التي أولها العين للفراهيدي ، وآخرها المحيط للصاحب ، والصحاح للجوهري ، وكتاب العالم واللغة للفتش بالفلك والختم بالذرة لأحمد بن أبان الأندلسي المتوفى سنة (٣٨٢) وهو مائة مجلد ، ولقد بلغت كتب اللغة في القرن الرابع للهجرة من الوفارة والكثرة ما يكفي في الدلالة عليه قول صاحب ابن عباد كما في الزهر : أحتاج إلى متين جملاً أتقل عليها كتب اللغة التي عندي . فهل يصح بعد هذا أن يقال : كل ما في كلام المتنبي من الغريب المصنف سوى حرف واحد هو

في كتاب الجهرة وهو قوله : تطوى المجلحة العقد كما يدعي صاحب كتاب إيضاح
مشكل شعر المتنبي ، على ما نقل صاحب الخزانة الكبرى ، وأنا يمكن الوقوف على سند
صحيح يثبت أن أبا الطيب لم يطلع على كلمة المجلحة أو العقد إلا في كتاب الجهرة
لابن دريد المتوفى سنة (٣٢١) ، وأبو الطيب طالما أحيا اللبالي درساً حين لم يكن له
سوى الكتاب سميراً رجاء أن يقف من طريق الصناعة على محاسن لغة أنقنها من طريق
الطبيعة في مدرستها العالمية حضارة وبدادة .

ومثله بترفع أن يقول : إني أطلع كتاب فلان وأدرس دهبان كذا ، وكلمة
مجلحة جاءت في شعر بشر بن أبي حازم وفي شعر ليلى وفي شعر امرئ القيس وفي
شعر بنت وثيمة في رثائها لأبيها كما في بيان الجاحظ في الباب الذي أوله (وكانوا
يمدحون شدة العارضة) . وكلمة انمقد التي هي جمع الأعمد لها شواهد أوفر وأكثر
من شواهد المجلحة ، والأليق بالصواب والأقرب إلى المعقول في مثل المجلحة أن يقال
استفادها من لغة الأعراب الذين كان يرحل برحيلهم وينزل بتزولهم من أهل البوادي -
والتجليح لفظاً ومعنى بآبن الوبو أليق وأعلق منه بآبن للدر وقلما تراه في كلام أهل
الخير ، ومعناه الذي هو أن يركب المرء رأسه ويحمل حملة الحيوان الضاري فلما
يستغي عنه سكان الصحاري .

وكأن صاحب كتاب إيضاح المشكل أراد الغض من أبي الطيب الذي قدّر
عليه أن يكون محسداً كما قدر عليه أن يكون أباحسداً بكونه قليل الاطلاع على
كتب اللغة وأنه لم يطلع إلا على غريب أبي عبيد وعلى أقل من القليل من جهرة
ابن دريد والمتنبي يقول له بلسان الحال : حرف في قلبك خير من ألف في كتبك ،
ورحم الله أبا ذؤيب إذ يقول :

وعمرها الواشون أني أحبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

والمجلحة في كلام المتنبي جاءت في القصيدة التي مطلعها :

« أقل فعالي بلة أكثره سجد »

في هذا البيت :

وأمضي كما يمضي السنان لطيتي وأطوي كما تطوي المجلحة العُقد
وجاءت في التي مطلعها :

« أيدري ما أراك من يريب »

إذ يقول :

مجلحة لها أرض الأعادي وللسمر المتاحر والجُتوب
وكان الأولى بالأصهباني إذا ادعى معرفة مصادر غريب اللغة في شعر المتنبي أن
يقول : إنما أخذ المجلحة من بائية امرئ القيس التي أولها :
أرانا موضعين لأمر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب
عصافير وذبابت ودود وأجرأ من مجلحة الذئاب
لأن أبا الطيب فحل شعراء العراق من سلائل عرب اليمن حقيق أن يحفظ شعر
امرئ القيس فحل شعراء نجد من أبناء ملوك كندة من اليمن لا سيما الشعر الذي قيل
بسبب معركة حمي الوطيس فيها قرب الكوفة وكان يومها عصيباً من أشد أيام العرب
هولاً ، وهو يوم الكلاب الذي عم امرئ القيس شرحبيل من قتلاه . ومثل
أبي محمد من يعني بدراسة أخبار العرب لا سيما أيامها ، على أن ذلك كله تحكم ليس له
مبرر ، ومن يستطيع أن يحكم عليه أنه لم يسمعها ويحفظها في منزل أسرته في كندة بين
أحياء الكوفة في مدرسة الحياة الأولى التي يكون التعلم فيها بالفطرة ، ولكن
يا أبا الطيب :

بحسبك اني لا ارى لك عائباً سوى حاسد والحاسدون كثير
كما قيل في شأن معاصرك المفضل علي بن عيسى بن داود بن الجراح ، وليس هذا
التحكم عليك في دعوي أنك لم تعرف كلمة المجلحة إلا من الجمهرة بأغرب من تحكم من
ادعى أنك سرفت قولك :

ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى
من قصة قصار كان يعمل على شاطئ نهر ، وكانت كل يوم يرى كركياً يجيء
فيلتقط من الحماة دوداً يقتصر في القوت عليه ، حتى رأى ذات يوم صقراً حلق ثم انقض
على حماة فاصطادها واكلها . فقال الكركي مالي لا اصطاد الطيور كما يصطاد هذا

الصقر وأنا اكبر منه جسماً ، فارتفع في الجو واتقضى على حمامة فأخطأها وسقط في
الحماة فتلطمخ رأسه وريشه ولم يمكنه ان يطير ، فأخذه الصياد ورجع الى منزله ،
فقبل له ما هذا : فقال « كركي بتصقر » ، فسمع المتنبي هذه الحكاية ، فأخذ منها معنى
هذا البيت :

ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى
قال ابن نباتة شارح رسالة ابن زيدون بعد هذه الحكاية : وهذا من نادر التعصب
على هذا الرجل الفاضل المحسود .

عبد القادر المبارك



أبو الطيب والنحاة

للمؤلف: محمد محي الدين عبد الحميد

المجمع : لقد ألقى صاحب الفضيلة ممثل الجامع
الأزهر في المهرجان الأستاذ محمد محي
الدين عبد الحميد بحته الممتع في أبي الطيب
المتنبي ، تنشر منه خلاصة درسه عن :
« أبي الطيب والنحاة » ، وقد أبقينا كامل
بحته لسفر الذكرى .

ليس يسوغ لي في مستهل هذا البحث أن أغفل أن أبا الطيب كان قد أخذ من
العربية بأوفو حظ فهو حافظ لغربها حفظ الباحث المستقصي حتى ليسأله أبو علي الفارسي
« كم لنا من الجوع على وزن فعل » فيبادره بقوله « جعلى وخرى » ويبحث أبو علي ليلته
في كتب اللغة لعله يعثر لها على ثالث فلا يجد ، ويقول أبو علي في شأنه « ما رأيت
رجلاً في معناه مثله » وهذه الشهادة من أبي علي الذي كان يناصبه العداوة ويتحامل
عليه ، كافية للدلالة على قدره ، وكان مع اطلاعه على مفردات اللغة وغربها عالماً
بمواطن استعمالها متمكناً من قواعدها خبيراً بلغات القبائل ، وله شعر جزل لا نظير
له في شعر أحد من شعراء العربية ، وقد خلا كثير من شعره من كل مأخذ وتجانس
كل انتقاء ، ولكن له مع ذلك شعراً قد جانب الطرق المشهورة في العربية إلى طرق
لا يقرها النحاة الذين جعلوا مهمتهم تتبع المعروف الجاري على الألسنة ورسومه

قواعد أرادوا أن تكون هي لسان الناس عامة ، وإن أحد قد نال من أبي الطيب في حياته وبعد موته مثلاً له وجه صحيح ، وقد بقي أثره والدليل عليه فأولئك هم النحاة ، ولنا تعني بالنحاة علماء الأعراب فحسب ، وإنما نريد بهم كل من كان يتكلم في فرع من فروع العربية ، فهؤلاء هم الذين كان أبو الطيب يضيق بهم ذرعاً ، وثألم نفسه إذا وجه واحد منهم خطابه إليه ، وكيف لا يضيق صدره وشعره هو وسيلته التي يكتسب بها رضا الناس ، وهم يعمدون إلى هذه الوسيلة فيضعفون من شأنها ويحاولون أن يقللوا من قيمتها ، ولم يكن النحاة فيما نعتقد قد اقتصروا في تعقبه والجملة عليه لوجه العلم ، ولا انتصاراً للحق ، وإنما كان ذلك منهم سلاحاً من أسلحة السياسة التي وجهت إلى الرجل ، وليس يعنينا بحث ذلك الآن ، ولكننا نذكر أنه — مع عدم توغر حسن النية — قد أمكن للنحاة أن يجدوا في شعر أبي الطيب ما يستمسكون به عليه ويتخذونه ذريعة للثنى منه ولا لرضاء سادتهم ، وكانوا يجهلون بذلك أحياناً ، وكانت تأخذه العزة فيسب وبقدح في سبابه أحياناً ، شأن المغيظ المحقق الذي يداخله الشك في أمرهم ، وكان ربما ضن عليهم بالإجابة فأحاطهم على بعض أصدقائه من النحاة : حدثوا أن ابن خالويه وجه إلى أبي الطيب تقدماً في حضرة سيف الدولة ، فقال له أبو الطيب « اسكت ويحك فإنك أعجمي فما بالك وللعربية ، وكان مع ابن خالويه مفتاح ، فضربه به فشج رأسه ، وحدثوا أن سائلاً سأله عن قوله في مطلع قصيدة مدح بها أبا الفضل بن العميد :

بادر هواك صبرت أم لم تصبرا وبكأك إن لم يحور دمعك أو جرى

فقال له « كيف قلت لم تصبرا ، فقال : لو كان أبو الفتح حاضراً لأجاب ، يريد أبا الفتح عثمان بن جني وكان صديقاً حميماً له ، وبعض المأخذ التي أخذها عليه النحاة تافه أو لا وجه له ، كالذي حدثوا أن ابن خالويه سمعه ينشد سيف الدولة :

وفاؤ كما كالربع أشجاء طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاء طاسمه

فقال له « يا أبا الطيب إنما يقال شجاء يتوهمه فعلاً ماضياً ، فقال له أبو الطيب : اسكت فما وصل الأمر إليك ، يعني أنه أفعل تفضيل .

وبعض المأخذ التي أخذوها عليه صحيح لا شبهة في أنه أخطأ فيه الجادة كالتعقيد اللفظي والمعنوي واستعمال الغريب الوحشي والعدول عن سنن القياس وقبح بعض

المطالع وقبح بعض المقاطع وامثال اللغات المهجورة ، وأمثلة ذلك كله ميسورة
قريبة التناول .

وفي كتب علماء البلاغة أمثلة وشواهد كثيرة من شعر المتنبي يعدون بعضها في
عيون الشعر ومحاسنه ويعدون بعضها الآخر في رذيل الشعر ومستكرهه .

أما علماء الأعراب فقد جروا على قاعدتهم في عدم الاحتجاج بشعر المولدين مع
أبي الطيب ، ولكن كثيراً منهم من يذكر آياتاً من شعره في موطن من ثلاثة مواطن :
موطن التمثيل لا الاستشهاد وموطن مخالفة القياس وموطن التطبيق ، وذلك في
المعقد من شعره ، وقد ذكر العلامة رضي الدين في شرح الكافية بعض آيات المتنبي
على أنها مخالفة للقياس ، وللعلامة المحقق جمال الدين بن هشام صاحب مغني اللبيب ،
ولأبي السعادات ابن السجري في أماليه شرح وتخريجات لآيات كثيرة من معقد
آيات أبي الطيب ، وقد كان لأبي الفتح عثمان بن جني صديق المتنبي اليد الطولى في
توجيه أنظارهما إلى هذه الناحية بما بذله من جهد في تخريج شعر المتنبي ، حتى كان
أبو الطيب نفسه يقول له « إني لم أقل هذا الشعر لهؤلاء النحاة وإنما أقوله لك » .

أيها السادة هذه كلتي التي كتبتها على عجل وإني لسعيد بأن أنشرها بإلقائها
بين يديكم وأشكر لجنة المهرجان التي أتاحت لي هذه الفرصة النادرة للتعرف إليكم ،
والسلام عليكم ورحمة الله .



مهرجان المتنبّي الألفي

ما فتىّ المجمع العلمي العربي يهتم بما يعلي شأن اللغة العربية والأدب ويفلي قيمة العرب ، ومن أبين مظاهر هذا الاهتمام مجلته العلمية وما نشر فيها من الأبحاث عن علوم العرب وعلمائهم ، وما خلفوه من تركة مؤلفاتهم الممتعة ودواوين شعرائهم ، وما يتن للناس فيها من مناهج الكتابة المستقيمة ، وطرائق التعبير الصحيحة ، وعثرات الأقسام ، ونبوات أسنة الكلام ؛ ومن مظاهره الجميلة أيضاً مكتبته الظاهرية العامة التي كان الفضل في جمع متفرق قضاها ، وتأليف شوارد مخطوطاتها ودفاتها من آثار اللف النادرة ، وتراث حضارتهم العلمية المستبصرة ، لأحد أعضاء المجمع العلمي ، وهو باعث نهضة دمشق العلمية وروحها القومية الشيخ طاهر الجزائري ، جادت الرحمة ثراه !

ومما بعين على جمع شمل العرب وتأليف قلوبهم اهتمام المجمع العلمي بالخفلات الترحيبية التي يقوم الحين بعد الحين بها في ردهة محاضراته لمن ينزل حمى دمشق من أعلام علماء العرب ، ولئن يجنلي مشاهدنا ويزور معاهدنا من أئمة الأدب ، وقد تكون هذه المحافل تأيينية يتبارى بها أعضاء المجمع العلمي في تأبين العالم أو الشاعر العربي الراحل وفي الاشارة بآثره العلمية والأدبية وفضله على العربية .

ومن قبيل التأبين اهتمام المجمع العلمي بإحياء ذكرى الخالدين من علماء العرب وكتابهم وشعرائهم ، كما أحياء مندمنين من ذكرى إمام المصلحين ابن تيمية بمحاضرة ممنعة ألقاها أحد أعضائه (١) ، وما هو ذا يجي في هذه السنة ذكرى شاعرنا العربي

(١) الاستاذ محمد بيجة البيطار في سنة ١٣٤١ هـ = ١٩٢٣ م

الكبير أبي الطيب المتنبي بالمهرجان الألفي الذي أقامه له إبان معرض دمشق وسوقها الصناعية في مدرج الجامعة السورية الفخم الرحيب ، وسيجي كذلك في معارض دمشق المقبلة ذكريات عظماء العرب في العلم والأدب فتلتقي كما حدث في هذا العام أسواق عكاظ الأدبية بأسواق دمشق الصناعية والزراعية .

فوائد المهرجانات . — إن لإقامة المهرجانات القومية منافع لا تحصى فإنها فضلاً عن «باراة أمم الغرب التاهض في التباهي بالخللدين من علمائهم وأدبائهم — تحبب الخلف بعضاً رجال السلف وذلك بتعريفهم بما كان لهم من فضائل خلقية ومحامد قومية وآثار علمية وأدبية خالدة ، فإن التألف ما برح وليد التعارف ، والجهل بالآباء يورث وحشة الأبناء ، ويقطع أواصر الرحم القومية ، ويمهد السبل إلى الإعجاب بعضماً الأجانب ، ومن جملة هذه الفوائد والعوائد على العلم والأدب اشباع الأبحاث عن أئمتهم ، وانضاج ما لم يتم نضجه أو يتكامل استوائه من درس آثار نحيي بالمهرجانات ذكرها ونشيد بما كان لهم من مآثر ومفاخر .

اقترح مهرجان المتنبي . — لقد كثرت الداعون من أدباء العرب في المشرق والمغرب إلى هذا الاقتراح الأدبي المبارك ، والذي نعلمه أن المجمع العلمي العربي اقترح ذلك قبل إقامة المهرجانات بنحو سنة على وزارة المعارف السورية ، مشافهة ومراسلة رسمية وكان وزير المعارف يومئذ السيد حسني البرازي فصاف هذا الاقتراح هو من قلبه فاستحسنه ووعد للمجمع بمؤازرته مادياً وأدبياً ، وبعد نحو شهر من ذلك اجتمع كثير من أدباء دمشق للمذاكرة في إقامة هذا المهرجان فذكر لهم أحد المجتمعين أن المجمع العلمي مهتم بهذا المشروع الأدبي الجليل ، وأنه يمهده مع وزارة المعارف السبل ، فأجمع الرأي على التخلي عن هذا الأمر إلى المجمع العلمي إذ هو من أعماله وخصائصه .

وبعد أن توفرت للمجمع الأسباب الأولى لإقامة المهرجانات ، وأهمها وعد معالي الوزير بمعونة المعارف المادية ، أرسل المجمع العلمي إلى نخبة من علماء دمشق وأدبائها رسائل الدعوة إلى الاجتماع في داره بالمدرسة العادلية الكبرى وذلك مساء يوم

الأحد الواقع في ١٥ أيلول سنة ١٩٣٥ ، وفي اليوم المذكور لبي المدعوون نداء المجمع وترأس معالي وزير المعارف هذه الجلسة الميمونة الأولى ، بمالوزراء المعارف من حق سيرة رئاسة المؤتمرات والمهرجانات العلمية والأدبية ، واقترح أن ينتخب الحاضرون لاقامة للمهرجان لجنة عاملة عامة ورئيساً وكاتبين للسرا ، فانتخبوا في ذلك اليوم لجنة تتألف من أعضاء المجمع العلمي المؤازرين وهم الأساتذة : محمد كرد علي وعبد القادر المغربي وفارس الخوري والأ مير مصطفى الشهابي و خليل بك المردمي وعبد القادر المبارك ومحمد بهجة البيطار ومسلم الجندي ورشيد بقدونس وشفيق جبوري وأسمد الحكيم ومرشد خاطر ومعروف الأرناؤوط وعز الدين التتوخي وانتخبوا من غير أعضاء المجمع العلمي الأساتذة : محمد البزم ومحسن البرازي وجميل صليبا ومنير العجلاني وأنور حاتم وأسمد طلس ؛ وتألقت لجنة تنظيمية قوامها الأساتذة : منيف العائدي والأ مير جعفر الحسني والأساتذة المردمي والتتوخي وأسمد طلس ويوسف العش . ثم انتخبت اللجنة من أعضائها الذين حضروا هذه الجلسة المذكورة الأستاذ عبد القادر المغربي رئيساً لها ولكتابة سرها الأستاذان عز الدين التتوخي ومنير العجلاني ، وبعد أن تم انتخاب لجنة المهرجان العامة ورئيسها والقائمين بكتابة سرها وعدم وزير المعارف بمعاونة وزارته المادية والمعنوية ، ثم أيد وعده الشفهي بكتاب رسمي شدة من أزر اللجنة وحملها على المضي في مشروعها الأدبي الجليل .

وقد والت اللجنة اجتماعاتها واستنجزت وزارة المعارف وعدها فقررت بأخرق إعانة لجنة المهرجان بمبلغ ثلثائة ليرة سورية ، وتذرعت اللجنة بمستشار معارف المفوضية المسيو بنونور ومستشار المعارف السورية المسيو كوله عضو لجنة المهرجان الفخري لمعاونتها من مال المصالح المشتركة ، فقررت المفوضية أن تعين اللجنة اقتداء بالمعارف بمبلغ ثلثائة سورية أخرى ، كما أن مديرية معرض دمشق الصناعي بفضل مديرها السيد عارف النكدي عضو المجمع العلمي قد قررت إعانة لجنة المهرجان بمبلغ مائتي ليرة سورية ، وأن تكون التسهيلات السفوية للمشاركين بالمعرض من حقوق المشتركين بالمهرجان ، وقد ظل تبادل المرافق الأدبية والمادية مشعراً بين المعرض والمهرجان من مبتدئهما إلى منتهاهما ، وكما كان معرض دمشق سوقاً صناعية

مادية لبلدان الشام ، كان مهرجان أبي الطيب سوقاً عكاظية أدبية لبلاد العرب .
وبعد أن وثقت اللجنة من توفر المال لديها شرعت في إرسال دعوتها المتأخرة
للاشتراك بالمهرجان الى علماء الأمة العربية وأدبائها في بلاد الشام ومصر والعراق والحجاز
واليمن وتونس والجزائر ومراكش ، والى المستعربين من علماء تركيا والهند والأقطار
الأوربية والأمريكية ، كما أرسلت دعوتها الى جامعات الأقطار العربية والشرقية
كالجامعة السورية بدمشق والجامعتين الأميركية واليسوعية ببيروت والجامعة المصرية
والجامع الأزهر والجامعة العراقية وجامعة عليكرة الهندية والجامعتين التركية
والإيرانية .

ثم أخذت رسائل التلبية تتوارد إلى مكتب سر اللجنة العامة ، وبعد انتهاء الأجل
المضروب لقبولها في ١٧ تموز ١٩٣٦ ، أخذت اللجنة في وضع البرنامج لمهرجان اسبوع
المتنبي فكان إنقاذها على الصورة التالية :

يوم الافتتاح

الخميس ٢٣ تموز ١٩٣٦ ٤ منذ الساعة ١٧

عشر قرآن : للشيخ أحمد زرتوق ، كلمة الافتتاح : لصاحب الفخامة المفوض
السامي مع تعريبها ، كلمة وزارة المعارف العامة يتلوها بالنيابة صاحب الفخامة السيد
محمد عطا بك الأبوي مع نقلها الى الفرنسية ، كلمة أمانة السر : لكاتب سر المهرجان ،
كلمة الاستاذ زرتستن المستشرق الاسوجي ينوب بها عن المستشرقين ، قصيدة الشاعر
الفارسي خسرو دارائي نقلها إلى العربية الاستاذ أبو عبد الله الزنجاني وأنشدها السيد
مصطفى الطباطبائي أستاذ الأدب الفارسي في الجامعة الأميركية ببيروت ، خطبة
الاستاذ أحمد أمين مندوب الجامعة المصرية ، اقتراح الاستاذ عبد المتعم رياض
جائزة المتنبي على نمط جائزة نوبل .

يوم المتنبي الثاني

الجمعة ٢٤ تموز ؛ من الساعة ١٧ - ١٩

في العاشرة صباحاً : الاحتفال بفتح شارع المتنبي : كلمة الاستاذ نوفيق بك الحبابي محافظ مدينة دمشق الممتازة ، وكلمة الشكر لكاتب سر المهرجان .

وفي المساء : خطبة الأستاذ أنيس انخوري في المقدمي مندوب الجامعة الامريكية (المتنبي والفتوة العربية) ، خطبة الدكتور عبد الرحمن شهبندر (المتنبي شاعر نهضتنا القومية الحديثة) تلاها ابن أخته الاستاذ صلاح الدين الحائري ، قصيدة الأستاذ خليل مردم بك ، (أبو الطيب المتنبي) أنشدها نجله الشاعر السيد عدنان ، خطبة الاستاذ عبد الوهاب عزّام (البداوة في شعر المتنبي) ، خطبة الاستاذ نجيب الارمنازي (عصر المتنبي السياسي) .

يوم المتنبي الثالث

السبت في ٢٥ تموز ؛ من الساعة ١٧ - ١٩

خطبة الاستاذ محمد محي الدين عبد الحميد مندوب الجامع الازهر : (أبو الطيب والنحاة) ، كلمة الاستاذ معروف الرصافي مندوب العراق : (المتنبي وحساده) ، قصيدة الاستاذ رضا الشبيبي (ذكرى شاعر) أنشدها شقيقه الشاعر السيد حسين ، قصيدة الاستاذ علي الشرقي (صوت الكوفة) ، خطبة الاستاذ طه الراوي ، قصيدة الاستاذ عز الدين التنوخي كاتب سر المهرجان (صوت دمشق) .

يوم المتنبي الرابع

الاحد ٢٦ تموز ؛ من الساعة ١٧ - ١٩

خطبة الدكتور نقولا فياض : مندوب لبنان (هل كان المتنبي مجدداً ؟) ، خطبة الاستاذ أمين الريحاني (المتنبي رسول العروبة) ، خطبة الاستاذ فؤاد البستاني : مندوب الجامعة اليسوعية ، قصيدة الاستاذ حلیم دموس (ذكرى المتنبي) ، خطبة الاستاذ سامي الكيال (المتنبي في بلاط سيف الدولة)

يوم المتنبي الخامس

الاثنين ٢٧ تموز ٤ من الساعة ١٧ - ١٩

خطبة الأستاذ أحمد رضا : (روح الطموح في المتنبي) ، قصيدة الأستاذ سليمان ظاهر : (المهرجان الألفي لأبي الطيب المتنبي) ، خطبة الأستاذ حبيب شماس مندوب المدرسة البطريركية ، خطبة الأستاذ أديب التقي (المتنبي وصيف الدولة) ، قصيدة الأستاذ باقر الشبيبي : (تحيةة المتنبي) أنشدها شقيقه السيد حسين الشبيبي .

يوم المتنبي السادس

الثلاثاء ٢٨ تموز ٤ من الساعة ١٧ - ١٩

خطبة الأستاذ خليل الخالدي : (شعر المتنبي في محاكم النقد) ، ترجمة خطبة الأستاذ زترستن لكاتب سر المهرجان ، خطبة الأستاذ عبد القادر المبارك (لغة المتنبي) ، قصيدة الأستاذ محمد البرم .

يوم المتنبي السابع

الأربعاء ٢٩ تموز ٤ من الساعة ١٧ - ١٩

خطبة الأستاذ فائز الخوري مندوب الجامعة السورية (المرأة في شعر المتنبي) ، خطبة الأستاذ سليم الجندبي ، قصيدة الأستاذ عمر أبي ريشة : (الشاعر) ، خطبة الأستاذ جميل صليبا (فلسفة المتنبي) ، كلمة الأستاذ محمد إسماعيل الناشبي في المتنبي ، كلمة الختام لكاتب سر المهرجان .

ولا حاجة بنا إلى تقرير ما تكلم به الخطباء أو أنشده الشعراء ، فإن نشر ذلك في سفر الذكر الذي نحن شارعون في تصنيفه هو كافٍ في تقريره وبيان ما اشتمل عليه ، ثم إن اللجنة العامة لأجل جهر الصوت وإسماع جميع من في مدرج الجامعة السورية ومساحات المعرض معا قد أعدت مذابحاً جهورياً لذلك مما زاد في جمال

المهرجان وكمال الانتفاع بخطبه وقصائده .

وقد اقترح الاستاذ فائز الخوري في خطبته على المجمع العلمي العربي أن « يُمهرج »
الناس في كل عام بإحياء ذكرى أحد الاعلام ، وكانت الاستاذان : أحمد أمين
وعبد الوهاب عزام قد اقترحا في حفلة وداعهما على كاتب سر المهرجان أ.ف. نعد
القاهرة ودمشق العدد منذ اليوم للمهرجة الناس في السنة المقبلة بمهرجان « الجاحظ »
وقد وافق على هذا الاقتراح أحد ممثلي العراق الاستاذ خ. الراوي وممثل الجامع الازهر
الاستاذ محمد يحيى الدين عبد الحميد ، فأعلن كاتب السر ذلك على الملأ في كلمة الختام ،
وانقضت حفلات المهرجان بنجاح وسلام .

كاتب سر المهرجان العام

عز الدين التوضي

خاتمة المهرجان

وعلى أثر انقضاء أسبوع أبي الطيب ورد الى المجمع العلمي طائفة من رسائل التهناني
نكتفي منها لضيق نطاق المجلة برسالة المفوض السامي الى رئاسة المجمع العلمي العربي ،
واليك تعريبها :

سيدي الرئيس

اني مع شكري لكم على رسالتكم المؤرخة في ١ آب ، أعزز مرة ثانية هذا
الشكر لكم ولزملائكم من أعضاء المجمع العلمي ولجميع أعضاء لجنة المهرجان ولا سيما
كاتب سرها المخلص ، معرباً لكم عن تهاني الحارة على ذلك الزوئق الذي عرفتم كيف
تفرغونه على موسم ذكرى الشاعر الكبير المتنبي .

إن مثل هذه الحفلات ، التي برهنت على ما أوتيته شعراء الشام وكتابتهم وعلماؤهم
من نشاط باهر ، قد أيدت العمل (الدور) التاريخي الذي قامت به دمشق ، ذلك
المركز العقلي الذي انتشر شعاعه فم الشرق بأسره ، فللعاصمة الشامية إذن أن تفاخر بحق
في هذا اليوم بمهرجانها الجميل .

التوقيع

وتفضلوا ، يا سيدي الرئيس ، بقبول

م.ب.

أبو الطيب المتنبي

للاستاذ خليل مردم بك

بقي الزمان وذكره بتجدد
لم تألف الايام أصحبة غيره
الشعر والنفس الاية والحجى
أما انطموح نخل عنك حدوده
وسع الورى بيانه أقلم يجد
فكانه فلك تلوح نجومه
أنظر تجد في كل بيت قبة
آمنت أن (ابن الحسين) مغلد
أس البعيد وبومنا ذا والغد
جمعت له فعلام لا يتفرد
من دونه يدنو السعى والفرقد
كل امرئ في شعره ما يتشد
للمبصرين وكل بيت مرصد
كالنور في مكانه يتوقد

سقى لبادية الشام فقد نضت
مدت له بأملأ كرحب فضائها
طبعه مرآة يريك صفاؤها
وحى البداوة صادق ما شابه
بالشيخ والقيصوم يعقب شعره
محض (ابن حمدان) هواه لانه
سيفاً وشبت شعله لا تخمد
وورث زمام عزيمة لا تصد
صور النفوس عوارياً تتبعد
زور الكلام ولا عراه تزيد
والعنجهية فيها تنمرد
سيف بوجه المعتدين مجرد

يا مالى الدنيا وشاغل نامها الدهر راوية لشرك منشد

ضمن الزمان بقاءه فكأنه
آياته لا تنقضي وعظاته
له رأبك في السياسة انه
العرب ما صلحت على يد اعجم
اخذوا عليك قساة ولو انهم
شكواك ما زلنا نحائي مثلها
اقامه في صدره تتردد
كالبحر زاخر موجه لا ينفد
مهم الى كبد الصواب مسدد
حكم الاعاجم للعروبة مفسد
خبروا النفوس كما خبرت لا يدوا
كف مخرجة ووجه اسود

ساموه خطة عاجز فأبت له
عرضوا حمايتهم عليه يجزية
اترى الفتي العربي يعطي جزية
ياأبي له أنف أشم وصفحة
شرف حماه بنفسه ووجيده
لو دافع المستضعفون دفاعه
ما ضمه قبر وكيف يضمه
نفس مشيمة وعزم أبى
امران ذا فكك وذلك انك
ام كيف يرضى بالحماية سيد
تزور من صر وعنق اصيد
لما هوى وتلا خطاه (محمد)
ما كانت ثم تعالبت تستأمد
أرأيت حيا في الفرائح بلعد

لو قال ما ينبغي لك انت دولة
ولسن فيها للانام سياسة
الحق فيها لا يغالب انه
تأبى التسلط والخنوع فأيها
فلما كرون اذل من ان يمكروا
امدى الى سبل الصواب وارشد
ما للخديعة والرياء بها يد
بظبي السيوف اذا استبيع مؤيد
متعبد عات ولا متعبد
والمعتدون اقل من ان يعتدوا

يا جامعاً شمل العروبة بعد ما
فاخو العراق بسحره متلمش
الشعر في كف الزمان درام
ذهب (ابن اوس) و(الوليد) بسحره
امسى بايدي الحادثات يبدد
واخو الشام بآبه متفدد
يرى يهرجه ويبقى الجيد
لكن بمجزه قرد (احمد)



صوت دمشق

لرؤساز عز الدين التروحي كاتب سر المهرجان

خالدًا في قلوبنا المثني
شاعر اللفظ والعلی والحرب
كافلاً أن يشب نار الشعب
وهو بالطمع هائم والضرب
غمزات الهوى وسحر القلب
وة قلب من عاذل غير صبة
ن على أنه صريع الحب
ويرد الأنبياء طوعاً بلي
ورق في الروض غب جود السحب
ن شغاف من القلوب وخلب

عاش فوق الثرى وتحت التراب
ظل ألقاً من السنين يسمي
رب بيت من شعره يتماظي
يصف الحرب للعجبات فيمدو
يا لعين من شعره العذب فيه
ذاب من رقة الخلود ومن قد
غزل حن صوغه حمل الظ
يذر الفافل الخلي شجياً
ساحر الشعر فاتناً كمدبل
رائد من مسالك الروح ما ي

مام والبحترية بنسج العصب
طبع حيناً وياقنعاد العصب
قماه بالقهر حوله والغصب
قداه العي من صخور صلب

يحنذي في البدع حذو أبي ن
إن يعييه بالغريب وضعف
فهو شبه الجبار يأخذ ما يا
شعره فيض طبعه لا ككشر

لم يؤول دهبان شعر كدهوا
هو سرّ على الأعاديه وعذب
لست أنسى رؤياه وهو ملك
وحواليه دولة الشعر قامت
من رعابه سيف حمدان من كا
والسري الرفاء أندام له
وابن جنى رأيه يشرح الد
لو حسبتهم من الطير كان
بنشد الشعر بينهم قترام
كسكاري ومأم بسكاري
سموا لحنه فهاوا جميعا
برخيم 'بنسك' مزار داو
فهو فيهم ذاك الطبيب المرجى
حفظ الناس شعره فهو درس

كم وردنا ماء فلم يرو منا
وتلونا من آبه سور الج
حكمة بهز العربى منها
حالفه منذ الشيبة حتى
لم يذرها يوم الصريخ ولا هو
بنظم البيت غاديا وهو في الشر
حلب قد غدت بأحمد شها
مادح السيف كان يدعى فأسى
إن مجدا أوتيه أخله الده
ضامه أن يرى بني العرب في ضيه

ظأ غير مستقاه العذب
د وشمنا يرق المنى لبس ينجي
فهو صوب النهي وذوب اللب
أن توارى فؤاده في الترب
م نشيد الألحان بين الصحب
ق فيمسي لسحره سيف الغرب
شعر له خلود الشهب
سيف يدعى أمدوحة المثاني
ر خلود الآداب مجد الشعب
م علوج بنير عهد ولب

وبنو العرب ليس تطلع إلا
 لا يالي الشرق المضيماً إذا ما
 يثب الليث ابن أنير وليث الـ
 أبي يوم أرى الطلائع منا
 يهجر الطرس والبراع فنانا
 لا يرى المجد غير فذكرته البكا
 ذاك يوم محجل فيه تحط
 ذاك يوم بقر عين أبي الطيب
 إنما شعره الشعور المروى
 حسنه يستر الشوائب حتى
 وقصيد الفحول يهرم إلا
 فالمباني مختارها مل عيني
 ينتمي كل شاعر لهما
 شعراء الأجيال يمشون فوق
 ملا المكون شعره شغلنا
 سار في الكون جاثياً كشعاع
 فهو مسمار ثورية وهدى قلا
 شعره صورة الحياة لهذا

يملوك منهم أباق عرب
 اتحد العرب ساعة بالغرب
 مرب في الناس رابض للوثب
 غارات على الجياد القب
 ليراع من القنا والقضب
 رونيل استقلاله بالفضب
 م قيود وفيه تهتك حجب
 يب بالعرب وهو تحت الترب
 بسلاف من البلاغة عذب
 لا ترعى غير سالم من عيب
 شعره فهو في شارب رطب
 والمعاني أبكارها بل قاي
 وهو للعرب ينتمي والشهب
 أرض طراً ومشييه في السحب
 من بأحوال جدم واللعب
 شمس بذكو في كل قطر وشعب
 ب ولحن الهوى وحدو الركب
 يمشي مع الحياة الجنب

مطبوعات حديثة

التعليق الصريح على مشكاة المصابيح

لمؤستاذ الشيخ محمد ادريس الكاندهلوي

طبع بمطبعة الاعشال بدمشق سنة ١٣٥٤

من دواعي الفخر والشكر أن تقوم في أرجاء الهند تلك النهضة الدينية المباركة ، ونرى من آثارها كتب الدين والعلم نطبعها الجمعيات الإسلامية بلغة القرآن ، وهذا المجلس العلمي الإسلامي الشهير بمجلس إشاعة العلوم الكائن بمجيد آباد دكن يقوم بطبع كتاب في مدينتنا دمشق الشام من أجل كتب السنة ، وعليه تعليق من أقص التعليل ، الأول هو (التعليق الصريح على مشكاة المصابيح) .

اشتهر كتاب (مصابيح السنة) للإمام حسين بن محمد الفراء البغوي الشافعي المتوفي سنة ٥١٦ هـ ، واحتق بشأنه العلماء بالفراة والتعليق ، وذكر له في كشف الظنون شروحاً كثيرة (ص ٤٤٢ - ٤٤٥ ج ٢) .

ثم إن الشيخ ولي الدين أبا عبد الله الخطيب التبريزي أكمل المصاييح وذيّل أبوابه ، فذكر الصحابي الذي روى عنه ، وذكر الكتاب الذي أخرجه عنه ، وزاد على كل باب من صحاحه وحسانه ، وسماه (مشكاة المصابيح) فصار كتاباً كاملاً ، فرغ من جمعه آخر يوم الجمعة من رمضان سنة ٧٣٢ هـ وله أسماء رجال المشكاة ، وشرحه العلامة حسن ابن محمد الطيبي المتوفي سنة ٧٤٣ هـ ، وسماه الكاشف عن حقائق السنة «

بعد هذا التمهيد أقول : إن كتاب (التعليق الصريح على مشكاة المصابيح) لمؤلفه الأستاذ الفقيه المحدث الباحث النظار مولانا الشيخ محمد ادريس الكاندهلوي يقع

في نحو ستة مجلدات بالقطع الكبير ، وقد تم طبع متن أربعة منها بالشكل الكامل ، على ورق أبيض ناصع ، مع شرحه الذي يبلغ نحو خمسين الأصل ، ومجموع الصفحات يزيد على (١٦٥٠) صفحة .

أما طريقة المؤلف في شرحه ، فقد أوضحها بقوله : وأكبر عنايتي ، وغاية اهتمامي في هذا التعليق بشرح الأحاديث وإبراز نكاتها ، ولطائفها ، وبيان أسرارها ، ومعارفها ، وكشف حقائقها ، ودقائقها على ما يقتضيه علم المعاني والبيان بعد تتبع كتب العلماء الراسخين المعروفين بهذا الشأن ، اهـ

وهذا الوصف منطبق على هذا الشرح الجليل تمام الانطباق ، فقد عني الأستاذ المؤلف بالكشف عن مخدرات معاني الأحاديث النبوية ، واستخراج النكات البلاغية منها ، واستنباط دقائق الأحكام ، وبدائع القوائد ، ولطائف الأسرار ، وهذا هو الذي جعله يؤثر الاقتباس من شرح التوربشتي والطبي للمصاييح والمشكاة ، ومن كتاب اللغات ، وهو شرح للمشكاة مخطوط ، ومن كتاب حجة الله البالغة لشيخ ولي الله الدهلوي ، وهؤلاء ممن عرفوا باستقلال الفكر ، وإبراز لطائف المعقول من المنقول . وفي الشرح نقول جليلة عن حكماء الإسلام وحفاظه الأعلام كالغزالي وابن رشد وابن تيمية وابن قيم الجوزية وابن حجر العسقلاني وغيرهم ، ومن مباحثه النفيسة ما يهم أبناء هذا العصر كمقيدة الإيمان بالقدر ، فقد كتب فيها صفحات ، ونقل شذرة عن المحقق ابن القيم رد بها خلاصة الاعتذار بالقدر ، وإليك مثالا مما قاله - وهو يحكي أقوال من تزعموا أنهم ، ونسبوا الظلم إلى الله سبحانه وتعالى - قال رحمه الله : وقال الآخر ، ابن آدم كرة تحت صولجانات الأقدار يضربها واحد ويردها الآخر وهل تستطيع الكرة الانتصاف من الصولجان ؟ ومن له أدنى فهم وبصيرة يعلم أن هذا كله تغلظ وشكاية وعتب ! فبما له ظالما في صورة مظلوم ، وشاكيا وجنابا منه ، وقد جد في الاعتراض وهو بناديه طردوني وأبعدوني ! ولي ظهره الباب بل أغلقه على نفسه وأضاع مفاتيحه وكسرها : ويقول :

دعاني ، وسد الباب دوني ، فهل إلى دخولي سبيل ؟ يتنوا لي قضيتي !
بأخذ الشفيق بحجزته عن النار وهو يجاذبه ثوبه ويغلبه ويقنحمها ويستغيث ما حيلتي

وقد قدموني الى الحفيرة وقذفوني فيها : والله كم صاح به الناصح الحذر الحذر ، إياك إياك
وكم أمسك بثوبه ، وكم أراه مصارع المقتحمين وهو يأبى الا الاقترام :

وكم سقط في آثاركم من نصيحة وقد يستفيد البغضة المتصم
الى آخر ما ذكره الامام ابن القيم ، بهذا الأسلوب الشائق المؤثر ، وفيه مقنع لمن وعى
وتدبر ، فقد سدت فيه على الجبري منافذ القول ، ورد عليه خلاصة الاعتذار بالأقدار .
وبعد فقد عاد صديقنا المؤلف الى الهند ، ليسعى في اتمام طبع الكتاب بدمشق ،
فنسأل الله تعالى أن ييسر له انجاز طبعه ، ويشكر لجمعية اشاعة العلوم حسن صديقه ،
ويثيب الاستاذ المؤلف وجمعيته المباركة افضل الثواب .

محمد بهجة اليطار

مقام ابراهيم

خطبة للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي من أعضاء المجمع العلمي ،
ألقاها في حفلة التأين الكبرى التي أقيمت في دمشق لأبطل المجاهد :
ابراهيم هنانو .

عرف الاستاذ النشاشيبي في علمه بسعة الاطلاع ، كما عرف بأسلوبه البياني ، فقد
لا تتضع شخصية كاتب فيما يكتب وضوحها في أسلوبه الذي يكثر فيه الاستشهاد
بالكتاب المبين وشعر العرب الاولين ، وأقوال العلماء منهم والباقياء الالبناء ، ولا أدل
على ذلك من مطالعة كتابه « مقام ابراهيم » المشتمل على حواش أدبية ولغوية وتاريخية
قبسة ، وعلى دعوة زعماء العرب الى التساهل الحزبي ، وعلى شكواه من ملوك المسلمين
وأمرائهم ، وتمجيده للبطولة والابطال .

و كتابه هذا مؤلف من شذرات يمانية ينتهي معظمها بآيات قرآنية ، ويفصل بين
شذراتها هذا القول الكريم :

سلام على ابراهيم كذلك نجزى المحسنين

الحيرة

المدينة والمملكة العربية

تأليف الأستاذ يوسف رزق الله غنيمه بقطع متوسط غدد صفحاته ٣٥٢ ورسومه ٦٣ . طبع بمطبعة دنكهور الحديثة بغداد ١٩٣٦

أضاف الأستاذ الى مؤلفاته هذا الأثر المميز ، أنتجته بوصف لوضع العراق وجيرانه في عهد ملوك الحيرة ، ثم ذكر اخبار تزوح العرب الى العراق منذ العصور القديمة وأضاف الى ذلك ثمرات أبحاثه فأجاد بإمتهانه واجتهاده كما احسن باصطفاء مصادره ، واختتم كتابه بفهارس وجداول زادت الانتفاع بهذا الكتاب .

ذكر المؤلف أن بدء خراب الحيرة كان منذ أنشأ المسلمون الكوفة عام ٦٣٨ م ؛ والحقيقة أنه بدأ خرابها وانحطاطها يوم تطلب المنذر النسائي على قابوس سنة ٥٨٠ م ، فنزاه الحيرة وأحرقها ، كما أن ازدهار الحيرة كان عقب سقوط مملكة تدمر العظيمة التي كان يحيط بها القرس والرومان ليتخذها كل منهما هوناً على الآخر في حراسة حدود البادية ولما أفل نجم تدمر وفقدت مكانتها الحربية أهمل أمرها ففني القرس بالحيرة وملوكها فاتخذوهم أنصاراً لم يبرؤ بهم وغزواتهم . وتقل الأستاذ نبذة عن الخط العربي ونشأته في الحيرة مما لا تقرأ عليه بعد الاكتشافات الحديثة والوقوف على سير تطور الخط العربي في جميع مراحلها . وتقل ما ذهب اليه بعضهم بأن قصر الأخيضر هو بقايا حصن الأكيدر مع أنه من الثابت إسلامي عباسي ومملوك ومحروبه يشهدات بذلك . ووقع بعض الخطأ في نقل كتابة امرئ القيس فقال « وأخضع قبيلتي أسد ونزار » وصوابه « وأخضع قبيلتي أسد وقبيلة نزار وقال « وهزم يذحج » وصوابه « وهزم محج وقال « وقاد الظفر الى أسوار نجران » وصوابه في حصار نجران وقال « بكسول » وصوابه كسول ، وههنا في هذا الكتاب على طائفة من الأغلط المطبعية لا تنحى على القارى .

جعفر الحسيني

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

النشأة سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تشرى ومشرق مرة في الشهر

أيلول وتشرين الأول سنة ١٩٣٦ م

جمادى الثانية ورجب سنة ١٣٥٥ هـ

دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ١٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً { وفي جميع الاقطار ٤٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

من السنة الاولى	٢٥٠	في الداخل
من السنة الاولى الى السابعة	٢٠٠	في الخارج
من السنة الاولى الى السابعة	٢٢٥	في الخارج

نظرة في النحو

للمؤلف: طه الراوي

قالوا: أن العربية مفتقرة إلى معجم لغوي يتحلى بخصائص المعاجم المصرية في اللغات الحية وحق ما قالوا ، ولكنهم نسوا أن إلى جانب هذا الاعتقاد افتقاراً آخر لا يقل عنه مسيئاً ، أن لم يُرب عليه . ذلك هو وضع كتاب في النحو يتحلى بأكمل ما يتطلبه العصر من جودة في التهذيب ، واتقان في التبريد والترتيب ، ليكون معتمداً لجمهرة المؤدبين ، ومورداً لمن لم يتأهل لخوض غمار الاسفار البسوط من التعللين .

ولا يتأتى ذلك إلا على يد فئة من اعلام العصر احاطت علماً بما ثقل عليه هذا العلم في اطواره المختلفة من رفع وخفض و ابرام ونقض ، زيادة على الاحاطة بذهاب الله ، والالبيهم في تثبيت آرائهم . تنظر هذه الفئة فيه نظراً بعيداً عن التعصب لمذهب والتعيز إلى رأي ، فتخفض قواعده ومسائله مخففاً علمياً ، وتخرج زبدته خالصة فتودعها كتابها .

والا فإن ابقاء هذا العلم على ما هو عليه من التدافع في المذاهب ، وللتضارب بين الآراء ، وانتشع في القواعد والمسائل — يدعو إلى اخلاق يد القوضى فيه ، وانحلال النفس عن تعاطيه ، او بالاكل يشزرونه ويستقلون ظله ، هذا في الوقت الذي نجد فيه الامم الراتية دائبة كل الدأب في تسهيل لغاتها على ابناءها وغيرهم وتحييها اليهم . تهذيب مسائلها وحقل قواعدها ، وتقريب فوائدها ، مما يدعو لنمائها وتنشيطها .

ولعمري لو جدد أولونا على ما وضعه لهم أسلافهم من حدود واستخرجوه لهم من قوانين - جمودنا اليوم لما وصل هذا العلم الى ما وصل اليه من الثروة في القواعد والبسطة في المسائل ، ولكنهم جدوا ، وبذلوا الوسع ، وجددوا في هذا الشأن بقدر ما تسمح به طبائع ازمانهم ، والوان بيئاتهم (وكن سعيهم مشكوراً) .
وبقي علينا اليوم أن نأخذ بحظنا من الخدمة في هذا الباب بمقدار ما يتطلبه مزاج العصر من اصلاح وما تسخو به الطاقة من جهد .

واريد ان ألم في هذا المقال بتشخيص بعض العاهات التي عرضت للنحو (اريد به ما يشمل الصرف) والآفات التي منبت بها كته ، ولا بد لا يضح ذلك من تقديم كلمة في نشأته وافتراق مذاهبه .

تمهيد تاريخي :

عند ما اتت لاجدادنا رقة الفتح ، واتسعت لهم الدولة ، ضربوا في الارض وانبطوا في الآفاق ، وخالطوا صفراء الامم وحمرها ، واحتكت لغتهم بلغاتهم ، ولم تكد تستقر بهم الحواضر حتى آتسوا فارط اللحن يتمشى في حواشي لغتهم ، يدب على السنة احداشهم ، فراعهم ذلك ، وعز عايبهم ان تغطي العجمة على لغتهم ، ولغة دولتهم بل لغة ملتهم ، التي هي مرنهفتهم ومصدر عزتهم ، فحفزت الحمية القويصة والخيرة الدينية رجالا منهم لنصرتها ، والذب عنها .

وكان مجلى الحلية في هذا المضمار ابو الاسود الدؤلي الكناني ، احد اعلام التابعين بارشاد من الامام علي رضي الله عنه ، وكان من ارباب انبعاث الحية ، فاستعرض طائفة من كلام العرب ، وتوصل الى استخراج طائفة من المسائل ، واستنباط بعض القواعد اسمائها (النحو) ، ودونها في صحيفة له ، عرفت عند النحاة بالعلية ، وهي اول كتاب دون في علم اللسان العربي .

وبهذا نعلم ان النحو سبق علوم اللغة وضعاً وتدويناً ، والسبب في هذا ان بوادر اللحن واعراض الفساد هجمت على الاعراب ونظام التركيب ، قبل هجومها على مفردات الكلام وموضوعاتها ، ولذلك احتاجوا الى وضع قوانين تعصم اللسان والقلم عن الخطأ في

نظام التركيب ، و اصول الاعراب ، قبل احتياجهم الى ضبط مفردات الكلام وتحديد موضوعاتها .

البصريون والكوفيون

وابو الاسود وان كان كوفي المولد ، الا انه بصري النشأة ، وفي البصرة وضع - حجر الزاوية في أساس نحو ، وكان تلامذته من اهلها ، ولذلك بقي النحو رئيساً للبصريين ينتقل في حجبور ائمتهم ، الى ان كان عصر الخليل بن احمد الفراهيدي ، فجمع متفرقه ، وفصل قواعده ، وهدب مسائله ، واكمل ابوابه ، وتقدم الى سيبويه - وكان من انبه تلاميذه ، وأسماء همة - أن يجمع ذلك في كتاب ، ففعل وابدع ما شاءت له قوة درايته وسعة روايته .

وانقل بعض البصريين من النجاة الى الكوفة ، واتخذوا دار اقامته ، واخذ ينشر النحو بين ظرائرها ، وكان في الطليعة من هؤلاء ، عبد الرحمن التميمي (المتوفى سنة ١٦٤) ، ثم ابو جعفر الرؤاسي ، وعمه معاذ بن مسلم الهراء ، مبدع علم التصريف . وأشهر من تخرج بهؤلاء ، وأنهبهم علي بن حمزة الكسائي ، وكان ممن يحضر في حلقة الخليل ، ثم ضرب في البوادي سنين كثيرة ، يأخذ عن الصحيح من اهلها ، ولم يزل يدأب في الجمع والتحرير ، حتى انتهت اليه امامة العربية في الكوفة ، ولم يتقيد بمذاهب من سبقه في التأصيل والتفريع ورسم للكوفيين الحدود التي احتدوا امثالها وخالفوا فيها البصريين ، فهو عند الكوفيين بمكانة الخليل عند البصريين وعلى يده انماز نحو الكوفة عن نحو البصرة ، واحتدم الجدل ونظائر شبرر المناقشة بين الفريقين .

البغداديون والأندلسيون

ولما أنشئت بغداد ، وصارت حاضرة خلافة ، وراجت فيها سوق الآداب ، وكان الكوفيون أسبق الناس اليها لمكانة الكوفة منها من الوجهتين السياسية والجغرافية فكان علماءها أشد الناس اتصالاً بقصور الخلفاء والأمراء ، والصدور من حلق التدريس ومحافل الآداب فيها ، فكانت للكسائي عند الرشيد وتلميذه يحيى بن زياد الفراء ، منزلة مغبوطة ، وقد كان المأمون رسم أن يفرد للفراء مكان خاص في

دار الحكمة ، وكل به من يكفيه كل حاجته ، وعين له الوراقين وألزمه الأمناء والمنفقين ، وأسره أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العرب ، فكان يلي والوراقون يكتبون حتى أتم تصنيف كتابه المعروف بكتاب (الحدود) .

وتخرج يهؤلاء الكوفية جماعة من البغدادية ، ولعوا بالتوسع في الروايات ، والتباهي في الترخيصات ، والتفاخر بالنوادر والطرائف ، حتى ابتعدوا عن أصول أسيادهم ، واستوى لديهم مذهب اثنان عن مذهب أسلافهم ، عرف بمذهب البغداديين وازدحت أقدام الأعلام حول مناهل هذا العلم ، واكثرت التصانيف فيه ، ما بين مطولة ومختصرة ، وبين عامة شتلة على جميع أبوابه ، وخاصة في باب او بضمة أبواب ، وكثر الأخذ والرد بين البصرية والكوفية والبغدادية ، واختلط اللجاج بالحجاج ، وبيننا الناس في هذا التسابق في المشرق كانت النشاط آخذاً مأخذه في بناء الدولة الأندلسية في المغرب على أرض الأسس وأقواها ، وكان لملوك تلك الدولة ولوع عظيم في رفع معالم العلم وإقامة أسواق الأدب ، اقتفاء لآثار أوليهم في شامهم ، وإحياء لما أثرهم في زهر أيامهم ، ومباراة لآبائهم في بغدادهم ، فكان همهم الحذب على أبناء الأدب ، والحرص على تكريمهم وتبجيلهم وادرار أخلاف النعم لهم حافلة ، فأقبل الناس على الآداب يردون حياضها ويرتادون رياضها ، فكان من آثار ذلك أن أنجبت تلك المملكة نخبة من الأعلام ، رجعوا الى ما أصله العراقيون وما فرعوه على اختلاف المذاهب ، فأطالوا النظر فيه ، ووقفوا على ما بين تلك المذاهب من خلاف ووفاق ، وما يستند اليه كل فريق من رواية ودراية فشقوا لهم طريقاً سوياً ، كان عمودهم فيه مذهب البصرية ، لم ينحرفوا عنه إلا عند ما يجدونه منحرفاً عن حكم الرواية ومنهج الدراية . كما قال أبو حيان : نحن لم نعبد بمذهب البصريين ، وإنما نتبع الدليل . ولما طغى سيل الإفريقية على تلك الديار ، ونجعت سماؤها بشمسوها والأقمار ، اتجهت أنظار الكثير من أعلامها إلى الهجرة نحو المشرق ، فوجدوا أن مذهبهم قد سبقهم اليه ، فكان لهم الصدور من خلق التدريس ومحافل الآداب ، وكان لمذهبهم مكانته من الاعتبار وحظه من الانتشار ، هذه هي أسماة المذاهب في هذا العلم ، وهناك مذاهب متفرعة عن هذه يعصر حصرها ، إذ يكاد يكون لكل إمام مذهب يخالف فيه غيره ، ولو من بعض

أوجوه . فليسبويه مثلاً : آراء يخالف فيها أشياخه ، وللاخفش آراء يخالف فيها سيبويه وسائر البصريين ، وقد ألف المبرد — وهو بصري النزعة — كتاباً في الرد على سيبويه ، وللفراء مذهب يتحرف فيه عن مذهب الكسائي في غير ما موطن ، وهكذا نجد لكل عالم من أعلام العربية آراء يتفرد بها ، تكثر أو تقل بمقدار ما أوتيته من بسطة في العلم وبزاعة في الإبداع ، ولكن مرجع ذلك كله إلى الامتيازات الأربع ، وأصول تلك الامتيازات اثنان : البصرية والكوفية ، أما مذهب البغدادية فمرجعه الكوفة ومذهب الأندلسية يرجع إلى البصرية .

وأجلى ما يمتاز به مذهب البصرية ، ابتناء قواعده على الأغلب الشائع من كلام العرب وتحكيم المقاييس العقلية في الكثير من شؤونها ، وإذا اصطدم أصل من أصوله بسماع غير مشهور ، فزع إلى التأويل والتوجيه ، أو رمى المسموع بالشذوذ أو الندور ، بل بالتخطئة أحياناً .

أما مذهب الكوفيين فقلواؤه بيد السماع ، لا يخفونه له ذمة ، ولا ينقض له عهداً ، ويهون على الكوفي نقض أصل من أصوله ، ونسف قاعدة من قواعده ، ولا يهون عليه إطراح المسموع على الأكثر .

والبصريون يتصابون في أمر الرواية تصبباً لا يتقيد به رجال الكوفة ، ولذلك نرى أولئك يستخفون برواية هؤلاء ويشزرون روايتهم بعيون ضيقة ، ولا يعلم أن بصرياً روى عن كوفي شيئاً من الشعر يعتمد عليه في الشاهد ، إلا ما كان من أبي زيد الأنصاري ، فإنه روى شيئاً منه عن المفضل الضبي قال : لثقته وأمانته .

ويرغم البصريون أنهم إنما أخذوا عربيتهم عن الأعراب العرب في كبد الجزيرة ذوي السلائق المتوقفة ولا ثقة لهم بمن يجاور الأمصار ويتصل بالأرياف منهم ، بخلاف الكوفيين فإنهم يأخذون عن أولئك وهؤلاء على حد سواء .

ومن ينظر في نحو البصرة يجد أن القوم يبالغون فيما يزعمون ، أنظر كتاب سيبويه تجد فيه طائفة من شعر الأخطل والفرزدق بل من شعر بشار وهو من مولد بني شعراء البصرة ، بله شعراء الأرياف ومجاوري الأمصار .

وبالجملة فإن مذهب البصرية أضبط قياساً ، وأثقل دراية ، ومذهب الكوفية

أكثر شعباً وأوسع رواية ، وأنت ترى أن البصريين في تشددهم ، وتحكيم قوانينهم ، ضيقوا على العربية واسعة في كثير من المواطن التي تتطلب السعة ، حتى لقد ضاق النحو الذي قدره بمقاييسهم عن أن يسع نفسه ، وهو في ربعاث شبابه ، ونعومة إهابه ، فوقعوا في تلحين خاصيتهم و كبار أئمتهم ، فقالوا لحن سيوييه في كتابه ، ولحن فلان وفلان وهم من أئمة هذا الشأن ، بله الفقهاء والمفسرين والمحدثين والفلاسفة والمتكلمين ومنشئير إلى أمثلة من هذا في غضون هذا المقال .

ولا ينكر أن بعض المتأخرين من النحويين كابن مالك وابن هشام الأنصاري ومن تبعهما ، انتبهوا لهذا الأمر وحاولوا أن يفصموا شيئاً من تلك القيود التي لا تجتمع والرواية في مكان . فكان النجاح حليفهم في مواطن كثيرة ، وبقي على غيرهم أن يمتدأوا به ولكنه لم يأت بعد ابن هشام من النحويين من نهج منهجه في التجديد والإصلاح ، فبقي الأمر محتاجاً إلى معالجة ، فهل يوفق أبناء هذا الجيل للقيام بهذه المهمة والفوز بهذه الخدمة ؟ تترك الجواب على هذا السؤال لأعلام الأدب وأسراء البيان .

يتابع الشاهد

عندما انصرف العرب إلى استخراج مسائل النحو ، وضبط قوانينه . وجدوا امامهم ثلاثة بنايع واسعة : التثني والحدِيث ، وكلام العرب الموثوق بعريتهم ، وكان على النحوي ألا يقطع في تقرير قاعدة أو ضبط قياس . إلا بعد أن يتقري هذه البناييع بقدر طاقته ، وعلى مبلغ حظه من رواية ودراية ، ولا جرم أنه يتعذر على الفرد الواحد الاستقصاء في الاستقراء ، مما أوتي من بسطة في العلم ومثابرة على الكد والجد ، فلا بد بعدئذ من الاعتماد على الاستقراء الناقص ؛ بالنسبة للفرد ، وأما المجموع فيراد منهم أكثر من ذلك ؛ بمعنى أن الواحد لا يمكنه الإحاطة بكل ما في العربية من منشور ومنظوم ولكن مجموع ذلك ، أو عظمه مفرق على جميع علماء العربية .

فالاستقراء الفردي لا يؤدي إلى الطمأنينة فلا بد من التصير إلى استقراء الجماعات ثم إن اطلاع وحده لا يغني شيئاً ما لم يعضده الانتباه إلى محل الشاهد ، وموطن الاستنباط فإذا فرضنا أن الجماعة — بله الواحد — أمنت في الاستقراء والاستقصاء

لكن غم عليها موضع الشاهد . فكأنها لم تستقر ولم تستقص . ولا جدال في ان ما يبنى على الاستقراء والانتباه الناقصين لا يكاد يسلم من النقص .

اذا عرفنا هذا انكشف لنا السر في سعة شقة الخلاف بين علماء العربية وتشعث الكثير من الضوابط ، بكثرة ما يعقبها من كثرة في الاستدراك ، واختلاف في وجوه النظر .

ولإضاءة طرف من هذه الناحية رأينا ان نورد لكل ينبوع من تلك الينابيع فصلا برأسه ، نجعل فيه مبلغ حظ النحو منه ، او حظه من غناية التحويين به ، او تفريطهم في جنبه .

القرآن الكريم :

لا جدال في ان القرآن هو ينبوع الاعظم ، والبرهان الاقوم ، في تقرير قواعد النحو ، وتحرير مسائله . وقد اجمع النحاة على صحة الاحتجاج بقراءاته المختلفة ، متواترها وآحادها وشاذها . وحق ما اجمعوا عليه ، لان القراءات على اختلاف انواعها انما تستند على المشافهة بالرواية ، وعلى رسوم امات المصاحف العثمانية . فهي وان اتفردت او شذت ، اقوى بكثير من سائر المرويات من الكلم التي ليست بقرآن . وقد عهدناهم يستشهدون بالروايات المختلفة في البيت الواحد فكيف لا يحتجون بالقراءات المختلفة في الآية الواحدة .

وعلينا هنا ان ننبه الى « ان ائمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الافشى في اللغة ، والاقيس في العربية . بل على الاثبت في الاثر . والاصح في النقل . . والرواية اذا ثبتت عنهم لا يرد لها قياس عربية ، ولا فشو لغة . لان القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير اليها » . و « الاسناد » الصحيح هو الاصل الاعظم والركن الاقوم » . عندم ولا تجوز القراءة بالقياس المطلق قطعا . وكل قراءة لم تستند على الرواية فهي مردودة وان وافقت مقاييس النحاة .

وكان على النحاة ان يستفيدوا من هذا التشدد في التقيد ، وبصرفوا جل عنايتهم الى الاستعانة بتلك القراءات التي تتمثل فيها افصح لغات العرب واسماها .

ولكن هل فعلوا ذلك ، واعطوا تلك القراءات حظها من الرعاية ؟
نجعل الجواب على هذا السؤال الى الأمثلة التالية :

قال البصريون : لا يجوز الفصل بين المضاف والمضاف اليه الا في ضرورة الشعر
فعرضوا بالقراءة المتواترة (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم
شركائهم) بنصب (اولادهم) وجر (شركائهم) وفيها الفصل بين المضاف والمضاف
اليه بالفعل به وهو (اولادهم) فلم يكن من متدي البصريين المتعصبين لهم الا
اقامة التأكيد على هذه القراءة والاجترار على تلحين علم من اعلام القراء السبعة ،
تلقى قراءته عن كبار التابعين وبعض كبار الصحابة منهم الخليفة الثالث وابو
الدرداء ، وهو - بعد - من ضميم العرب الذين يحتج بكلامهم ، وقد تلقى قراءته
هذه عن الاثبات ، وتلقاها عنه الثبات بعد الثبات ، ذلك هو (عبد الله بن عامر)
قاضي دمشق وشيخ مشايخ قرائها ، وامام جامعها الاعظم ، علي عدان عمر بن عبدالعزيز .
وكان اشد علماء العربية انكاراً عليه في هذه القراءة (جار الله الزمخشري) ،
وكان عليه ان يستنكر المنع ، لان اقرآن الكريم يجب ان يكون متبوعاً ،
لا تابعاً ، ولكن ما الحيلة وقد ارادوا العكس ، وجاء في قراءتهم بعضهم (فلا
تحسين الله مخلف وعدة رُسله) بنصب (وعدة) وجر (رسله) وفيه الفصل بين
المتضامين بالفعل به ايضاً ، ولكن البصريين لم يرجعوا على هذه القراءة ،
ولا على تلك ، ومضوا في رأيهم سادرين .

وقالوا : لا يجوز المطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار ، الا في ضرورة
قبيحة ، ولم يأبهوا للقراءة المتواترة « وانقوا الله الذي تساءلون به والارحام »
بكسر الهم عطفاً على الضمير المجرور بالباء ، وهي قراءة حبر الامة (ابن عباس)
و (الحسن البصري) و (حمزة) احد الاعلام السبعة .

وقالوا : تبدل الهزة من حرف المد الزائد الواقع بعد الف مفاعلاً ، نحو
(عجايز) و (صحائف) و (سفائن) والاصل (عجاويز) و (صحايف) و (سفاين) ،
قالوا : واذا كان حرف المد اصلياً امتنع قلبه همزة ، مثل (معايب) و (معاون) فلا
يقال فيهما (معائب) و (معائين) ، ولما عورضوا بقول العرب (مصائب) و (منائر)

قالوا بشذوذهما ، ولوردت عليهم قراءة نافع أحد القراء السبعة (لم فيها « معاش ») فقلروا في خطأ ، كان غافعا جاء بها من عند نفسه ، ولم يزوها عن العشرات من النقات . ومن أمثلة ذلك قول ابن مالك في شرح كافيته : ان (بل) لا تقع في التنزيل الا للانتقال من غرض الى آخر ، وفاته انما جاءت فيه لابطال ما قبلها وايات ما بعدها (ونخلوا الخذ الرحمن ولذا سبحانه بل عباد مكرهون) (لم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق) .

وقال ليوحاتم السجستاني في قوله تعالى (وقيله يا رب) لا يجوز ان يقرأ (قيله) الا بالنصب « واما من جرد او رفع فقوله بظن وتخليط » مع ان القراءة بالخبر ثابتة بالتواتر قرأ بها (حمزة) و (عاصم) عن السبعة .

وقالوا ان الجملة الاسمية اذا وقعت جوابا للشرط وجب ربطها بالفاء وقد تنوب عنها اذا الفجائية ، ولما اورد عليهم قوله تعالى (والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون . واذا ما غضبوا هم يغفرون) ، فزعموا الى التأويل . وعندما قالوا ان (اذا) في الآية ليست بشرطية وانما هي ظرف تلزم المبتدأ بعدها ، واذا سألتهم الدليل قالوا لو كانت شرطية هنا لوجب اقتران جوليها بالفاء ، وهل هذا الا مصادرة ذميمة .

ولما اورد عليهم قوله (ان ترك خيرا الوصية للوالدين) لم يتمكنوا من القول بان (ان) غير شرطية ، ولكنهم زعموا ان جواب الشرط محذوف والتقدير : كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت الوصية للوالدين ان ترك خيرا فليوص . ولا يخفى ما فيه من تكلف ظاهر .

وقال فريق لا يجوز تسكين لام الطلب بعد (ثم) الا في ضرورة الشعر ، ولم ينهوا للقراءة المتواترة (ثم يقطع) ثم (ليقتضوا) فقد قرأ جمهور القراء السبعة بتسكين اللام .

وقال طائفة فيهم للمازني والاختش والمبرد ، وابن السراج ، والفارسي : لا يجوز صوغ اسم التفضيل من (افعل) الرباعي الا شذوذا ولم يلتفتوا الى قوله تعالى (ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة) فانها مصوغان من (اقسط) واقام ولا يجوز ان يقال انه من (قسط) الثلاثي لان معناه جار ولم يعدل ، وهو عكس المراد في الآية الكريمة .

والامثلة في ذلك اكثر من ان يتسع لها مقالنا هذا ، ومن هنا يظهر ان القوم قرروا بعض قواعدهم ، وحرروا بعض ضوابطهم ، قبل ان يستقروا القراء ان الكريم ، ويستقصوا وجوه قراءاته كاملة ، وعندما يجدون قاعدة من قواعدهم هذه تقصر عن شمول بعض القراءات للعترة ، يعتمدون الى التأويل يقابون وجوهه والوانه ، كالذي فعلوه في قوله تعالى ، (ان هذان لساحران) وقوله (والتميمين الصلوة والمؤتون الزكوة) وقوله (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون) .

وقد بلغت الجرأة بعض الذين في قلوبهم مرض ان زعموا ان هذه القراءات خطأ تولد من خطأ كتاب المصاحف العثمانية في الرسم ، وهذا بهتان عظيم ، ساعدهم عليه جهالهم او تجاهلهم اصول الاقراء اذ يظنون انه يكفي فيه الاعتماد على الرسم وحده ، وهذا خطأ فاحش ألمعنا اليه في صدر هذا الفصل ، وقلنا ان العمد في ذلك ؛ الاخذ بالمشافهة ، والتلقين بالمدارسة . ولا يعتمد على الرسم وان وافق مقاييس العربية .

فاذا فرضنا — جدلاً — ان كتاب المصاحف اخطأوا في الرسم ، فهل يعقل ان يسري الخطأ الى حفاظ الصحابة الذين شهدوا الوحي ، واخذوا القراء ان حرفاً حرفاً عن الرسول الكريم ، وهم — بعد — امراء القول ، وفرسان الفصاحة ، وكلامهم حجة قاطعة في العربية ، فضلاً عن رواياتهم في قراءاتهم .

زد على ذلك ان العربية بل البشرية لم تعرف كتاباً احيط بالعناية ، واكتنف بالرعاية فحفوظ على تراكيبه ، وكلماته ، وحروفه ، وحركاته ، وكيفية ترتيبه بلهجاته مع اتقان متناه في التلقين والتلقين ، ودقة بالغة في الاخذ والاداء — مثل الكتاب العزيز فكيف يراد منه بعد هذا ان يدين لضوابط وضعية تمخضت بها استقراءات ناقصة ، وتحكمت باطلة ، ومن المؤسف ان صنيعهم هذا ادى الى نتيجة مضحكة ، تلك هي اندفاع بعض الجهلة او المتجاهلين من اعداء القرآن ، الى القول بان فيه خطأ ، خنا منهم ان كل ما يخرج عن مقاييس النحاة الوضعية فهو لحن ، وان كان في النؤابة من الفصاحة ، وممو للمكانة من البلاغة ، وفاتهم ان تلك القوانين يجب ان تمتد من الكتاب العزيز ، وتدين له بالاذعان ، لانه افصح كلام عرفه اللسان العربي المبين ، وما يخرج عليه منها يجب ان يرمى

به عرض الفضا .

يحكى ان احد المتفلسفة جاء الى ابن الاعرابي يسأله عن قوله (فاذاها الله لباس الجوع والخوف) قال : (اتقول العرب : ذقت اللباس ؟ فاجابه بالايجاب ثم قال له : هبك تنهم محمداً لم يكن نبياً ، أنتهمه بان لم يكن عريباً ؟) ونحن نقول لبعض الفلاة من متشدي النحاة ، هبكم تنهمون بعض رجال الاقراء بالتساهل في الرواية اتهمونهم بالخروج عن صميم العرب الذين يحتاج بقولهم ، وهل الراعي والاخلط مثلاً اعرق في الفصاحة من ابن عامر وابن العلاء ؟ !

الكلام النبوي

لا تعرف العربية بعد القرآن الكريم كلاماً بسامي الكلام النبوي او بدانيه ؟ فصاحة مبنى ، وبلاغة معنى ، وبراعة تركيب ، وجمال اسلوب ، وروعة تأثير ، لا يختلف في ذلك مخالف ، ولا يمتري عمار ، ومع ذلك تجد النحاة ، متقدميهم ومتأخريهم ، لم يعتمدوا عليه في الاحتجاج لتأييد قواعدهم واثبات ضوابطهم ، واول من اقدم منهم على ذلك ابو الحسن الاندلسي المعروف بابن خروف (المتوفى سنة ٦٠٩) ثم (جمال الدين بن مالك المتوفى سنة ٦٧٢) وقد توسع في هذا الشأن توسعاً نفّس فيه على العربية بعض الشيء ، ولكن القوم اقاموا عليه النكير ، ورموه بالخروج عن سنن النحويين ، المتقدمين منهم والمتأخرين ، وكان اشدّهم انكاراً عليه ابو حيان (المتوفى سنة ٧٤٥) ، وقد اطلال في تعاليل انحراف النحاة عن الاحتجاج بالحديث ، ويثليخص تعليله في امرين : (اولهما) ان المحدثين اجازوا نقل الاحاديث بالمعنى ، ولم يتقيدوا باللفظ ، (الثاني) وقوع اللحن في بعض الاحاديث ، لان في الرواة من ليس عريباً بالطبع ، ولا علم له بصناعة النحو . اما التعليل الثاني فانه اوهى من ان يقوى على محك النقد ، لانه ضرب من ضروب المصادرة في الاستدلال ، اذ لو احتجوا بالاحاديث لما وسعهم اتهامها باللحن ، ولكن ما اعتبروه لنا مثلاً يحتذى في العربية ، وبرهاناً على صحة امثاله من ضروب القول ؛ كسائر الكلام الذي يحتاج به .

والقول بان في رواية الحديث اعاجم ليس بشيء ، لان ذلك يقال في رواية الشعر والنثر

الذين يحتاج بهما فان فيهم الكثير من الاعاجم ، وهل في وسعهم ان يذكروا لنا محدثا ممن
يعتمد به ، يمكن ان يوضع في صف (حناد) الراوية الذي (كان يكذب ، وبلعن ، ويكسر)
ومع ذلك لم يتورع الكوفيون ومن نهج منهم عن الاحتجاج برواياته ، ولكنهم
تخرجوا في الاحتجاج بالحديث ، ثم لو حصل الامر برواية الحديث الى هذه الدرسة من
الجهل بالعربية سليقة وصناعة ، لما صح الاحتجاج بروايتهم في الشريعة ، لان تفريطهم
— حينئذ — بالالفاظ يسري الى التفريط بالمعاني ، اذ المفروض انهم يجهلون العربية
من طرفيها ، ولم يقل بذلك قائل .

واما التعليل الاول فقد كفانا الدمايني مؤونة تفنيده بقوله : « ان اليقين ليس
بمطلوب في هذا الباب ، وانما المطلوب غلبة الظن ، الذي هو مناط الاحكام الشرعية ،
وكذا ما يتوقف عليه من نقل مفردات الالفاظ وقوانين الاعراب ، فالظن في ذلك كله
كاف ، ولا ينبغي انه يغلب على الظن ان ذلك المنقول المحتج به لم يبدل ، لان الاصل
عدم التبديل ، لا سيما والتشديد في الضبط ، والتحري في نقل الاحاديث شائع بين النقلة
والمحدثين ، ومن يقول منهم يجوز النقل بالمعنى ، فانما هو عنده بمعنى التجويز العقلي الذي
لا ينافي وقوع نقيضه ، فلذلك تراهم يتحررون في الضبط ، ويتشددون مع قولهم يجوز
النقل بالمعنى ، فيغلب على الظن من هذا كله انها لم تبدل ، ويكون اعتدال التبديل فيها
مرجوحا فيلغى ولا يقدح في صحة الاستدلال بها ، ثم ان الخلاف في جواز النقل بالمعنى
انما هو فيما لم يدون ولا كتب ، واما ما دون وحصل في بطون الكتب فلا يجوز تبديل
الفاظه من غير خلاف بينهم . . . وتدوين الاحاديث والاخبار بل وكثير من الروايات
وقع في الصدر الاول قبل فساد اللغة العربية حين كان كلام اولئك المبشرين — على
تقدير تبديلهم — يسوغ الاحتجاج به وغايته — يومئذ — تبديل لفظ بلفظ يصح
الاحتجاج به ، فلا فرق بين الجميع في صحة الاستدلال . . . » اهـ

على ان في الاحاديث طائفة كبيرة تتوفر الدواعي على الاحتفاظ بتصونها من غير
ما تنهوا مثل الادعية والاذكار ، وسائر ما تعتمد بنصه من الآثار ، والاحاديث القصار ،
التي سارت مسير الامثال ، والكتب التي بعث بها الرسول الكريم الى الاطراف ،
والعبود المدعوة . . . الخ .

ثم لا ادري لم ترفع النحويون عما ارتضاه اللغويون ؟ من الانتفاع بهذا الشأن ، والاستقاء من ينبوعه الفياض بالمعذب الزلال ، فاصبح ربع اللغة به خصياً ، بقدر ما صار ربع النحوي منه جدياً .
وكلن حالهما في الحكم واحدة . لو احتكنا من الدنيا الى حكم .

كلام العرب الموثوق به يتعمم .

يراد بهؤلاء عرب الجاهلية وصدر الاسلام الى ما يقارب النصف الاول من القرن الثاني للهجرة عندما اختلت الملائق ، واختلت الالسنه ، وعيب عباب اللحن في الخواصر ، وطفق يدب الى الارياض والبادي ، وقد احتج النحاة بالمنظوم والمنثور من كلام الجاهليين ، والمخضرمين ، والاسلاميين ، وطرحوا كلام المولدين والمحدثين .

وذكروا في ساقه الاسلاميين (ابراهيم بن علي) المعروف بابن هرمة وكان قد توفي في اواسط القرن الثاني للهجرة ، وذكروا على رأس المولدين (بشار بن برد) المتوفي سنة ١٦٢ .

وقد كان بعض قدماء النحاة لا يرون الاستشهاد بشعر (جرير) و (الفرزدق) و (الاخطل) ومن سب في طبقتهم ، فاذا جاء شيء من كلامهم لا يطبق على النقايس التي قدروها صاحوا بوجهه القائل : لحن ، واسأت ، واخبر عبد الله ابن ابي اسحاق الحضرمي (وهو من الموالى) في تلحين الفرزدق وما وقع بينهما من ملاحاة — مشهورة .
وقد ارتقى الامر ببعضهم الى تلحين بعض فحول الجاهلية كما وقع لعيسى بن عمر ، فانه كان يقول أساء النابغة بقوله : « في انياها السم ناقع » وكان عليه ان يقول : (ناقما) ويقول ابن فارس : ما جعل الله الشعراء معصومين يوقون الغلط والخطأ ، فما صح في شعرهم فمقبول ، وما أبته العربية واصولها فردود كقوله : الم يا نيك والانباء تنسى .

وقوله : لما جفا اخوانه مصعباً ، وقوله : ففا عند مما تعرفان ربوع .

فكله غلط وخطأ . . . اه

نعم ليس في الدنيا من يزعم ان الشعراء معصومون من الخطأ ، ولكن ذلك انما يقع في المعاني ، لا في الالفاظ والتراكيب التي هي نتاج سلاقتهم ، وهدتهم اليها طبائعهم .

ولا ندري بعد تلحينهم ابناء اللسان ، علام يستند النحوي ويم يحتج ؟ وهل قواعد هذا النحو واصوله الامتدعة من استقراء كلام هؤلاء وامثالهم ، وكيف يسوغ لنا ان نطلب الى امراء القول وقادة القريض ، ان يدبثوا في قولهم ، لقواعد وضوابط امتدعناها من استقراء بعض كلامهم وكلام امثالهم ، واذا نحن وصنمهم باللحن في موطن فمن بضمن لنا سلامتهم من اللحن في مواطن اخرى كنا اتخذنا منها سنداً في تقرير اصل ، وتأيد رأي .

نعم لو قالوا فيما لا ترضاه مقاييسهم الوضعية : هي لغة ولكن المتكلمين بها ليسوا بالاكثرحصى ولا بالأنه قبيلة ، ولا بالافصح قبيلة — لمان الامر ، لان القبائل تتفاوت بلغاتها تفاوتاً كبيراً ، فلغة ازد عمان — مثلاً — لاتسامي لغة هذيل ، وهذه لا ترتفع الى موازاة لغة قريش ، بسطة في الرفعة وثروة في الفصاحة ، ولكنهم ابوا الا ان يعملوا لضوابطهم سلطاناً يستبد حتى بأفواه اهل اللسان ، مع انهم القدوة واليهم المصير في مادة هذه الضوابط ، واستخراج تلك القوانين .

على ان الجمهور لم يلتفتوا الى هذا التحكم ، واحتجوا بالثبوت والمنظوم من كلام اهل الطبقات الثلاث ، بل تجاوزوا الى بعض اهل الطبقة الرابعة وقد احتج سيبويه ببعض شعر بشار ، مع انه مولد بالاجماع .

ويرى الزمخشري الاحتجاج بكلام ائمة اللغة وكبار روايتها من المحدثين ، جاعلاً ما يقولونه بمنزلة ما يروونه ، ثم ان النحاة ولا سيما البصريين منهم لم يمتدوا بكل القبائل العربية على حد سواء ، بل كان جل اعتمادهم على القبائل الضاربة في كبد الجزيرة ، مثل قبس ، واسد ، وقيم ، وهذيل ، وبعض كنانة ، وطى . ولم يصل الى ايدي النحاة من كلام القبائل الموثوق بها الا بعضه ، قال ابو عمرو ابن العلاء (ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا اقله ولو جاءكم وافرأ جاءكم علم وشعر كثير) اه .

وبهذا وذاك يظهر ما رزى به الاستقراء من النقص في هذا الشأن : استخفاف ببعض أهل اللسان وتلحينهم في لسانهم ، عدم الاعتماد على الكثير من القبائل ، افلات الكثير من كلام القبائل المعتد بكلامها . كل ذلك مما يفت في عقد الاستقراء ويضع من شأنه ، زد على ذلك أن معظم مادة الشاهد كانت من منظوم القول ، وكانوا إذا وجدوا فيه ما لا ينطبق على مقاييسهم ، وأعيتهم الخيل في توجيهه ، حملوه على الضرورة ، والضرورة عندهم مركب وطى ، فكل ما جاء في النظم مما تأباه ضوابطهم يمكن حمله على الضرورة سواء أكان للشاعر منه مندوحة أو لم تكن . قال بعضهم : الشعر نفسه ضرورة وإن كان الشاعر يتمكن من الغلاص بعبارة أخرى . وحاول ابن مالك أن يحددها بما ليس للشاعر عنه مندوحة ، فلم يسمعوا لقوله وأصروا على تفسيرها بما يقع في النظم دون النثر كأنهم أحاطوا علماً بالنثر كله من جميع أطرافه فإذا جاءهم شعر يخالفه قالوا هذا ضرورة . وقد علمنا نزارة ما وصل إلى أيديهم من الشعر بله النثر . ألا تراهم أخفروا ذمام بعض القراءات المتواترة في اسمي نثر عرفه اللسان العربي المبين وما ذلك إلا لقصور بعض مقاييسهم عن الانطباق عليها ، فكيف يتأخرون عن الاعتصام بالضرورة ذات المعقل الحصين . وهكذا سقط الاحتجاج بمجموع غير يسير من شعر القبائل المعتد بها والمعتمد عليها في الشاهد ، من جراء الاتكاء على الضرورة في المنع ، رأينا مبلغ انتفاعهم بالقرآن الكريم وكيف افتأثوا ببعض ضوابطهم على بعض قراءاته المتواترة ، وعلمنا تفريطهم في جنب الكلام النبوي ذلك التفريط المألوم وأشرنا إلى مدى استقراءهم لمنظوم والمثبور من كلام أهل الطبقات الثلاث وكيف تحكموا في المنظوم أكثر مما حكموا .

كل هذا يشير إلى أن هناك مجالاً للإصلاح جديراً بأن تحتشد له الهمم ، وتنبس عليه العناية حتى يثقى أمره ويتقى بدوره .

وقد أشرنا في موطن آخر من هذا المقال إلى أن التشديد في التحديد أفضى إلى التحريج على الأقلام والالسنه ، وانتهى الأمر بتلحين علماء اللسان بعضهم بعضاً ، أما تلحين أهل العلوم الشرعية والكونية في مصطلحاتهم فحدث عن البحر ولا حرج . ولقد أفردت المصنفات في إحصاء الخطايا اللسانية على حملة الأقلام ولا سيما خواصهم

كما فعل ابن قتيبة في بعض أبواب أدب الكاتب ، وأبو العباس ثعلب في فصيحه ، وعبد اللطيف البغدادي في الذيل والحريري في درة القوام .

وإذا أنت تصفحت تلك الكتب نقف على مبلغ ما وصل اليه التحكم في الالسة والأقلام ولا سيما عند المتطرفين من النحويين ، حتى انتهت بهم الحال الى أن ضاق النحوي نفسه عن أن يسع نفسه ، فضلاً عن سائر العلوم ، ولا سيما التي لا عهد للسان المبين بها من قبل .

وماك نموذجاً مما وصفت به أقلام الاعلام من الانحراف عن سنن تلك الضوابط التي لولا التحريج فيها لسلمت تلك الاقلام من سممة الوسم .

قالوا : لا يجوز إدخال (ال) على (كل) و (بعض) ولكنهم نهافتوا على استعمالها بأل غير آبهين لقديم حتى نسب لبعضهم الجهل به . قال ابو حاتم : وقد استعملها الناس (يعني بأل) حتى سيبويه والاختش في كتابيهما لقلة علمهما بهذا النحو اه . وفي بعض كتب النحوي بدل (البعض) من (الكل) و (بدل الكل من البعض)

وقالوا : لا تستعمل (كافة) إلا منصوبة ومجردة من أل والاضافة . قالوا ومثلها (قاطبة) و (طرا) و (معا) و (عامة) ولكنهم لم يتحرجوا في استعمالها في كتبهم ، على خلاف ما قرروه . من ذلك قول أبي الفتح ابن جني في الخصائص : « افتجع كافة اللغات على ضعف ونقص ؟ نعم ونحن نعلم أن القياس مقتضى لصحة لغة الكافة » وجاء في خطبة المفصل لجار الله الزمخشري (ولقد ندبني ما بالمسلمين من الارب الى معرفة كلام العرب لانشاء كتاب في الاعراب محيط بكافة الابواب) وقال الحريري في المقامة المرائية (واستعنت بقاطبة الكتاب فكل منهم قطب وتاب)

وعقد سيبويه في كتابة باباً لما يحذف المستثنى فيه استخفافاً ذكر فيه أنه يقال : « ليس غير وليس إلا كأنه قال ليس الا ذاك وليس غير ذاك » ولكنهم حذفوا ذلك تخفيفاً واكتفاء بعلم اغاظ ما يعني اه .

وقال ابو سعيد السيرافي في شرح هذا الباب : « الحذف الذي استعملوه بعد الا وغير انما يستعمل اذا كانت الا وغير بعد ليس ، ولو كان مكان ليس غيرها من الفاظ الجحد لم يميز الحذف ، لانقول بدل (ليس الا) (لم يكن الا) ولا (لم يكن غير) اه .

وجاء آخرون فمنعوا ان يقال : لا غير ، وكان المانعون اكثر تهافتا على استعمال ما منعه من غيرهم ، فقد كرر ابن هشام الانصاري للنح في كتبه ، وكرر استعمال ما منعه فيها وجاء في الخصائص « شذذته ايضا اشده ، بالضم لا غير » .

وحاول بعضهم انقاذ العلماء من التورط في اللحن فحكم بجواز استعماله ، واستند الى سماع وقياس ، وقال سيبويه « اما (نعم) فعدة وتصديق واما (بلى) فيوجب بها بعد النفي . اذ يريد انه اذا سأل سائل : اليس فلان حاضرا ، فقل نعم ، كان معناه النفي اي فلان ليس بحاضر ، واذا قيل بلى كان معناه الايجاب ، اي فلان حاضر ، فنعم مصدقة للجملة التي قبلها موجبة كانت او سالبة ، وقد استعمل سيبويه (سيف) عرض مناظرة جرت بينه وبين احد النحويين ذكرها في باب النعت ج ١ صفحة ٢٢٢) نعم موضع بلى فوجب بها بعد النفي ، فقال ناس هذا لحن ، واطال آخرون في الجواب عنه بما تراه مبسوطا في كتبهم ، ومنعوا ان تتلقى بيننا باذوا ، وكان اشدهم انكارا لهذا الاستعمال الحريري في درته ، قال : « والسموع عن العرب بيننا زيد قائم جاء عمرو بلا اذ . » مع ان كتب العربية مشحونة بهذا الاستعمال ، هذا الحريري نفسه يقول في مقاماته « فيينا انا اطوف ، وتحتي فرس قطوف ، اذ رأيت . » وقال : فيينا انا عند حاكم الاسكندرية ، اذ دخل شيخ . « وقال » بينا انا اسعى واقعد ، واهب واركد ، اذ قابلني شيخ بتأوه . » .

ومنع في درته ايضا ان يقال : (سقط في يده) بالبناء للمعلوم ، واوجب البناء للمجهول ، وقد جاء في المقامة السابعة والثلاثين من مقاماته : « فسقط الفتى في يده » ومنعوا ان يقال من العلة (معلول) واوجبوا ان يقال (معل) وقد وقع ما منعه في الكثير من كتب العربية ، وهو في جملة مصطلحات العروضيين ، بله المحدثين والاصوليين ، والمتكلمين .

ونخشى ان نحن استرسلنا في سرد الامثلة ان نمل القارى ، ونضجره .

فعلينا ان نأخذ بعنان القلم ونعطفه الى ناحية اخرى من نواحي البحث لما اثرها في تكيف هذا العلم وتلوين مباحثه بالوان قد لا تروق انظار رجال التعليم في هذا العصر .

الامعان في مباحث الاعراب :

من الواضح ان النحو يعنى بمهمتين : الاولى صحة تأليف الكلم للابانة عما في النفس من المقاصد ، والثانية معرفة احوال الاواخر من اعراب وبناء ، فيطلب اليه ان يقوم بعصمة اللسان والقلم عن الخطأ واحوال لواخرها .

ولكن النحاة ولا سيما متأخريهم صرفوا جل عنايتهم الى معالجة الشق الثاني ، فاطالوا الكلام ، وامتدوا في الجدال حوله ؛ فاسهبوا في تعداد العوامل ومرد انواعها ، وما يعرض لامرئيتها من العلل وما يتصل بها من الخلل ، وبسطوا القول في المعربات والمبنيات واسباب اعرابها وبنائها ، وانواع الاعراب ، وعلامات كل نوع ، واكثرها من النظريات المتباينة حولها الخ . . .

اما الشق الاول فكان حظه من الرعاية اقل من حظ قربنه ، مع انه الهام في التفهيم والتفهيم ، وعليه المعول في الابانة عما في النفس من الاغراض .

فمعرفة الفرق بين قولنا مثلاً : اهاشم في المدرسة ؟ وقولنا في المدرسة هاشم ؟ وبين قولنا : اهاشم أم فالح في المدرسة ؟ وقولنا : أبي المدرسة هاشم أم فالح ؟ وقولنا : هل في المدرسة هاشم أم فالح ؟ ام بكثير من معرفة الحركات الاعرابية في اواخر هذه الكلم . اذ لا جدال في ان صحة التركيب اوثق من الاعراب ارتباطا بجوهر الكلام ، ولذلك نجد من يعرف صحة تأليف القول بممارسة كلام الفصحاء اقدر على تفهيم ما يريد ، وتفهم ما يراد ، ممن يعرف خصائص الاعراب ، ويجهل اصول تأليف الكلم .

ويظهر ان السبب في انصباب النحاة الى مباحث الاعراب اكثر من انصبايهم الى مباحث التركيب ان طلائع اللحن ظهرت في اعراب اللغة قبل ظهورها في مجاري التأليف ، كما يشهد بذلك الاسباب التي استغزتهم لوضع النحو ، ثم ان الاعراب اسمى حلية تتحنى بها لغة نضر ، فليس عجباً ان يستبي الانظار ويستبد بالهمم ، ولهذا استهوتهم مباحثه ، ولم تزل ترمي بهم الراعي وهم يتغلفون في احشائها حتى خرجت بهم في بعض الاحياء الى آراء متنازعة ، ومذاهب ملتوية قد لا يرجى منها الوصول الى ثمرة شبيهة ، لو فائدة عملية وهاك امثلة من ذلك :

قالوا : الاسماء الستة تكون في حالة الرفع بالواو ، وفي حالة النصب بالالف ، وفي حالة الجر بالياء ، ثم اختلفوا في علامات اعرابها على مذاهب شتى منها :

١ - هذه الاحرف نفسها ٢ - حركات مقدرة في الحروف ، وقد اتبع ما قبل الآخر للآخر ٣ - الحركات التي قبل الحروف ، والحروف اشباع ٤ - الحركات التي قبل الحروف ، وهي منقولة منها ٥ - الحركات التي قبل الحروف ، وليست منقولة ، بل هي الحركات التي كانت عليها قبل ان تضاف تثبت الواو في الرفع لاجل الضمة ، وانقلبت ياء لاجل الكسرة ٦ - والفاء لاجل الفتحة ٦ - الحركات والحروف معاً ، فهي معربة من مكانين ٧ - التغير والانتقال في حالي النصب والجر وعدم ذلك في حالة الرفع ٨ - (فوك) و (ووذو) معربان بحركة مقدرة في الحروف ، والاربعة الباقية معربة بالحروف ٩ - بالعكس ١٠ - اي ان الاسمين الاولين معربان بالحروف ، والاربعة الباقية معربة بحركات مقدرة ١١ - حركات مقدرة في الحروف التي قبل حروف العلة منع من ظهورها كون حروف العلة تطلب حركات من جنسها ١٢ - الدلائل اعراب والاعراب فيها لا ظاهر ولا مقدر ١٣ - النقل في حالة الرفع ، والبدل في حالة النصب ، والنقل والبدل معاً في حالة الجر . ولكل مذهب من هذه المذاهب انصار يؤيدونه ، ومخالفون يفتدونه ، ولكن هذه الضجة كلها لم تزعزع الاسماء الستة عن كونها بالواو في حالة الرفع ، والالف في حالة النصب ، والياء في حالة الجر . ومثالا آخر ، قالوا يكون المثنى بالالف في حالة الرفع : وبالياء في حالي الجر والنصب ، ويكون جمع المذكر السالم بالواو في حالة الرفع وبالياء في حالة الجر والنصب ، واختلفت مذاهبهم في اعرابها ، وهاك المشهور منها : -

١ - انها معربان بالاحرف المذكورة نفسها ٢ - بحركات مقدرة فيما قبل هذه الاحرف ٣ - بحركات مقدرة في الاحرف نفسها ٤ - الحروف دلائل اعراب ، بمعنى انك اذا رأيتها فكأنك رأيت الاعراب ٥ - بقاء الالف والواو رفعاً وانتقالهما جراً ونصباً ، وعليه يكون الاعراب معرباً لا لفظياً ولا مقدراً ٦ - ان المثنى مبني .

ثم جاءوا الى نونهما فقالوا انما زيدت فيهما : ١ - لرفع توهم الاضافة في بعض المواطن ، ولرفع توهم الافراد في بعض ٢ - انها عوض من حركة المفرد ٣ - عوض

من تنوين المفرد ٤ - عوض من الحركة والتنوين معاً ٥ - عوض من الحركة والتنوين فيما وجدا في مفردة ٦ ومن الحركة فقط فيما لا تنوين في مفردة ٦ - هي فارقة بين حركة في مفردة ٦ وغير عوض فيما خلا مفردة عن الحركة والتنوين ٦ - هي فارقة بين رفع المثنى ونصب المفرد ٦ ثم حمل سائر التثنية والجمع على ذلك ٨ - انها التنوين نفسه ولكنه حرك لاجل الساكنين .

ثم انتقلوا الى حركة هذه النون فقالوا وأطالوا

كل هذا التنازع لم يبدل شيئاً من الحالة التي استقر عليها العمل في المثنى والجمع ونونيهما ٦ وبقيت المنازعات الصناعية في ما وراء ذلك .

واذا أنت استعرضت آراءهم في الإعراب أهو لفظي أم معنوي وأين محله ٦ ثم أرائد هو على الماهية أم جزء منها ٦ وهو أصل في الاسماء أو الأفعال أو فيهما ٦ ثم الاسماء قبل التركيب مبنية أو معربة أولا معربة ولا مبنية الى أمثال ذلك - يأخذك العجب من تراحم الآراء المتنازعة ٦ وتكثر المذاهب المتدافعة في نظريات صناعية لا تقوم لسانا ولا تغذي بياناً .

هذا ونحن نعوذ بالحق ان يشم ٦ بسطناه أنا نقصد انتقاص جهد من جهود اولينا او نردري عملاً من أعمالهم ٦ معاذ الله أن يدور في خلدنا شيء من ذلك كيف ونحن في ضفاف الساقية وقفاة الاتباع ٦ نباهي بالانضواء الى أعلامهم ٦ والانتفاء الى خدامهم ٦ وهل استقيننا الا من بحورهم ٦ واقتبسنا الا من نورهم ٦ واقتدينا الا بهداهم ٦ واهتدينا الا بصوامهم وهم الذين يجسوا بنايع هذا العلم ٦ وشرعوا شرائعهم ٦ وأنهجوا مسبلهم ٦ وما يرحوا بعالجونه حتى تفتحت لهم أبوابه وذلت لهم عقابه واذعنت لهم مشكلاته ودانت معضلاته .

وكل ما نرمي اليه في هذا البحث إنبارة بعض النواحي التي تتطلب خدمة صادقة من أبناء العصر ٦ وبعبارة أخرى البرهنة على أن ميدان الإصلاح في هذا الشأن وسبغ ومجال الخدمة فسيح .

ولعدري ان هذا العلم لم يعلم في عصر من العصور انصاراً يعكفون على خدمته ويضطلمون بتوسيعه وصقله وتهذيبه ٦ الا في الفترة التي استولى فيها الجمود على الافكار والاقلام في العصور المظلمة الاخيرة ٦ ولا فتحن نعرف أن هذا العلم في زمن بونس

والخليل وسيبويه والكسائي والفراء أرفع منه شأنًا في زمن ميسون الاقرن وعبد الله ابن إسحق الخضرى وأبي عمرو بن العلاء ، وهو في زمن أبي الفتح ابن جني وشيخه أبي علي الفارسي وابن خالويه ، انضروجا منه في زمن من سبقهم . ثم هو في زمن ابن مالك وأبي حيان وابن هاشم الانصاري أكثر تهذيبًا ، وأثقل تفصيلًا وتبويبًا منه في العصر الخالي ، وكل أصلح بمقدار ما تسخو به الطاقة ، وعلى قدر ما يتطلبه العصر من خدمة . وبقي علينا ان نقبى المهم ونستنهض العزائم لرأب ما أسأرت له الايام في هذا العلم من من الثأري ، ونصطفى من تلك الآراء أصوبها ، ونسلك من تلك الطرق أنهبها ، ونلم الثعث من تلك المسائل التي عصفت بها أعاصير الجدل ففرقت شملها ، ونعطي الناحية العملية حقها من الرعاية ، ولا نغني بشيء من النظريات الا بما له مساس مباشر أو غير مباشر بالعمليات .

ثم نهذب ذلك كله تهذيبًا علميًا ونرتبه ترتيبًا فنيًا ، ونخرجه للناس كتابًا سويًا . هذه نظرتنا في النحو ولنا كلمة في كتبه المتداولة سنقولها فيما بعد .

طه الراوى



سيفيات المتنبى

شعر التمر ، قول في أبي الطيب

قال ابن أبي الحديد صاحب الشرح الكبير (للنهج) في كتابه : (الفلك الدائر على المثل السائر ^(١)) : « كنت شرعت في حل (سيفيات المتنبى) لشهرتها وغلبيتها على ألسنة الناس ، وأن أجعل ذلك كتاباً مفرداً أنقرب به الى الخزانة الشريفة ^(٢) — عمرها الله تعالى — فخرج بعضه ، وصدف عن إتمامه عوائق الوقت وشواغله » .
فهل أكمل ابن أبي الحديد هذا الكتاب ؟ وأين هو ؟

إن كان الزمان — وقد كان — قد أضاعه فإنه أبقى بقية منه . وفيها الدليل عليه ، وأنا مورد اليوم في (مجلة المجمع) منتقاهما طرفة أدب لأدباء العرب ، وإعلاماً ان أحمد بن الحسين قد شغل حكيماً وعالماً متكهما مثل (ابن أبي الحديد) كما شغل الأدباء واللغويين وغيرهم : فأديب نقده ، ولغوي شرحه ، ومؤرخ كتب سيرته ، وعالم نشر شعره أو حل نظمه ، وآخر جمع حكمته . وانها لسعادة ما نال مثلها شاعر ، وما أسعد (أحمد) الا عبقريته ، والعبقري في الدنيا شقي وسعيد .

وحل النظم من أفانين الادب في القديم ، وقد دُفع اليه الكتاب حين اتسع مجال الانشاء . وربما كان الجاحظ من أوائل من شرخوا الشعر ، واستعانوا في كلامهم بقريض الغارضين . روى عبد القاهر في (دلائل الاعجاز) هذه الرسالة للجاحظ الى ابن الزيات وقال : إنه شعر قول نصيب :

(١) مطبوع في الهند (٢) خزانة الكتب للخلافة العباسية في بغداد .

فماجروا فانتوا بالتيبي انت اعله ولو سكتوا انتت عليك الحقائق .
قال الجاحظ : « نحن (أعزك الله) نسر بالبيان ، ونعز بالقول ، والناس ينظرون
الى الحال ، ويقضون بالبيان . فآثر في أمرنا آثرا ينطق اذا سكتنا ، فان المدعي بغير
بينة متعرض للتكذيب »

وروى بعضهم : « نظر ابو تمام الى سليمان بن وهب وقد كتب كتابا فقال :
كلامك ذوب شعري »

وفي (كتاب الصنائع) لابي هلال العسكري : « سمع بعض الكتاب قول نصيب
(فماجروا اليك) فكتب : لو لك لاني عن شكرك لنطق علي أثرك . وفي
فصل آخر : ولو جحدتك احسانك لا كذبتني آثاره ، وغت علي شواهد . وقريب من
ذلك قولهم : شهادت الاحوال اعظم من شهادات الرجال »

وفي (كتاب الصنائع) « قال بعضهم : الكتابة تقصر الشعر . وقيل للثبي :
بم قدرت على البلاغة ؟ قال : بجل معقود الكلام »

ولابي منصور الثعالبي كتاب سماه (شعر النظم ، وحل العقد^(١)) ثم الكتاب
الترجم ب (مؤنس الادباء) وهو مختار صغير من الشعر . وقد تقدم اليه في حله
(ابو العباس خوارزم شاه) كما ذكر الثعالبي ذلك في ديباجة الكتاب .

ولضياء الدين بن الاثير صاحب (المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر) كتاب
في هذا للمنى اسمه (الوشي للمرقوم في حل المنظوم^(٢)) وفيه أيضا حل لآيات قرآنية
واخبار نبوية . قال ابن خلكان : « وهو مع وجازته في غاية الحسن والافادة » قال
ابن الاثير في هذا الكتاب : « وكنت حفظت من الاشعار القديمة والحديثة ما لا احصيه
كثرة ثم اقتصرت بعد ذلك على شعر الطائيين : حبيب بن اوس ، وابي عباد البحتري ،
وشعر ابي الطيب اللثبي . تحفظت هذه الدواوين الثلاثة ، وكنت أكرر عليها بالدرس
مدة سنين حتى تمكنت من صوغ المعاني ، وصار الادماني لي خلقا وطبعا . وانما ذكرت

(١) منه مخطوطة في (الخزانة الظاهرية) في دمشق ، وقد طبع في مصر . (٢) منه

مخطوطة في دار الكتب المصرية .

هذا الفصل في مقرر من أن الشيء ينبغي أن يجعل دأبه في الترحل حل للنظوم ، ويعتمد عليه في هذه الفتاوى .

والتعويل كل التعويل على ما يقول ابن الأثير ، فيه - - عندي - - من الضرر ما فيه ، وشرح هذه المنصورة - - أن اردناه - - بطول ، ولنا الآن في مقام تبينها . واستظهار الأسطر ، وكلام العرب إنما هو للظفر بالملكة والاحتذاء إلى الأسلوب العربي ثم الكاتب وبراعته في التوليد والاختراع والابداع ، وابن الحر المبدع في القديم والحديث أين ؟ وحل الأبيات الشعرية ينقسم عند ابن الأثير إلى ثلاثة أقسام ذكرها في (مثله السائر) : (الأول) منها وهو ادناها مرتبة بمن يأخذ النثر بيتا من الشعر فينثره بلفظه من غير زيادة ، وهذا عيب فاحش ، ومثاله كمن أخذ عقداً قد اتقن نظمه ، واحسن تأليفه ، فأوهاه وبدده . وأيضاً فإنه إذا شر الشعر بلفظه كان صاحبه مشهور السرقة فيقال : هذا شعر فلان بعينه ليكون الفاظه باقية لم يتغير فيها شيء .

وأما (القسم الثاني) فهو أن ينثر المعنى للنظوم ببعض الفاظه ، ويعبر عن البعض بالفاظ أخرى . وهناك تظهر الصنعة في المماثلة والشبيهة ومؤخاة الالفاظ الباقية بالالفاظ المرجحة .

وأما (القسم الثالث) وهو أعلى من القسمين الأولين فهو أن يؤخذ المعنى فيصاغ بالفاظ غير الفاظه ، ثم يتبين صدق الصانع في صياغته ، فإن استطاع الزيادة على ذلك المعنى فنلك الدرجة العالية . والأحسن التصرف ، وأنقن التأليف ليكون أولى بذلك المعنى من صاحبه الأول .

وقال (نبياء الدين) في التدريب على الحلال :

« من أحب أن يكون كاتباً أو كان عنده طبع عجيب فعليه بحفظ الدواوين ذوات العدد ولا ينفع بالقليل من ذلك ، ثم يأخذ في شر الشعر من محفوظاته . وطريقه أن يتدبى يأخذ قصيدة من القصائد فينثر بيتاً بيتاً على التوالي ، ولا يستكفي في الابتداء أن ينثر الشعر بالفاظه أو بأكثرها فإنه لا يستطيع إلا ذلك ، وإذا عرنت نفسه بتدرب خاطرة ارتفع عن هذه الدرجة ودار يأخذ المعنى ويكسوه عبارة من عنده ثم يرتفع عن ذلك حتى يكسوه ضرباً من العبارات المختلفة . وحينئذ يحصل خاطرة مباشرة المعاني

لقاح فيستنتج منها معاني غير تلك المعاني ، وسيله أن يكثر الايمان ليلا ونهارا ، ولا يزال على ذلك مدة طويلة حتى يصير له ملكة . فاذا كتب كتابا ، أو خطب خطبة تدقت المعاني في اثناء كلامه ، وجاءت الفاظه معسولة لا معسولة ، وكان عليها حدة حتى تكاد ترقض رقصا . »

سيفيات المتنبى ، حل أبيات منها لابن ابي الحديد

فصل في التهئة بعيد

لا زالت المواسم تغشاك وأغصانها وربقة وحدائقها أنيقة ، والأعياد تلتفك وأنت عيدها على الحقيقة ، ولا يرحل تهتصر من الشباب لدنار طيبا ، وتنضو من الاعياد سملا وتلبس قشيبا . فهذا اليوم الشريف في الأيام مثلك في الانام ، لكنه أوحدهم محصور ، وأنت أوحدهم الأعوام والدهور . ولا أحيل ذلك على محض الجدة الذي يميز بين اليومين ، وفضل إحدى العينين بل على الجدة الذي أمهرك وحامدك رائد ، وشانك قاعد .

هذا محلول قوله :

هنيئا لك العيد الذي أنت عيده	وعيد لمن سمي وضحي وعيدا .
ولا زالت الأعياد ليسك بعده	تسلم مخروفاً وتعطى مجددا .
فذا اليوم في الأيام مثلك في الوري	كما كنت فيهم أوحداً كان أوحدا .
هو الجدة حتى تفضل العين أختها	وحتى يكون اليوم لليوم ميذا .

وقد زدت عليه بأن جعلت توحيد بالامتحاق لا بالجد والاتفاق ، وفيه زيادة أخرى وهي عموم توحيد وخصوص توحيد العيد في أيام العام .

فصل في ذكر المراسلة

وتوالت منهم رسائل جعلوها عليهم أدراجا ، وقصدوا بها تزجية الوقت ودفاعا ،

نظامها الاعظام لنا والارجلال ، وباطنها الارجاه لهم والارمال .
هذا محلول قوله :

دروع ملك الروم هذي الرسائل يرد بها عن نفسه ويشاغل .
هي الزرد الضافية عليه ، ولنظها عليك ثناء سابغ وفضائل .

فصل

بابه المعمور كعبة الحيا ، ومناطيس الشفا ، فالملوك ثقبل بساط ديوانه ، ونقصر
عن ثقبيل كه وبنانه .
هذا محلول قوله :

ثقبل أفواه الملوك بساطه ويكبر عنها كه ويراجه .^(١)

فصل

أنا أتمدك عليك ، فالخصومة فيك ومنك واليك ، وأستميحك عدل قضائك
الذي عم الخلق وعدائي ، وشمل الناس وتخطائي ، وأعيد مرآة فكريك وهو الجهر
الشريف ، والشفاف اللطيف أن يظهر فيها تلميس الحاسد ويهتات الكاشح المعاند ،
وأخلاقك التي تظلم اذا قيس في اللطافة بالسلافة ، وفي الصفاء بالصهبا ، أن تحمل قذى
الغش الصراح ، وهي ألطف من أن تزج بالماء القراح .
هذا محلول قوله :

يا أعدل الناس الا في معاملتي فيك الخعام وأنت الخميم والحكم .
وقول غيره :

(١) البرجمة المنصل الظاهر أو الباطن من الأصابع ، الجمع : تراجم .

أخلاقك الغر الصفايا ماله حملت قذى الواشين وهي صلاف ؟
واللبس في مكنون رأبك ماله يخفى وأنت الجور الشفاف ؟

* * *

فصل

العادة طبيعة غالبية ، وسجية الى فعل المعتاد جاذبة ، وعاداتك الطعن في الأحداق
وضرب الأعناق ، فاجر منها على اعراقك ، ومهمود عوائدك وأخلاقك ؛ فإن الملك
لا تثبت دعائمه حتى تخضب بالدم صوارمه .
هذا محلول قوله :

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادة سيف الدولة الطعن في العدى .
وقوله :
لابس الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم .

* * *

فصل في صفة السيوف

فنهنا اليهم وفي أيدينا النار الموقدة في الرؤوس ، المعبودة قبل ملة الجوس التي لا
يفسدها الماء ، ولا يطفئها الهواء ، ولا تحرق الأغصان ، ولا خمدت ليلة الميلاد . ترمي بالدم
لا بالشر ، وتوقد بالناس لا بالحجر ، تحكم نارة بالتعظيم وقارة بالتصغير ، وتجمع
قوماً جمع السلامة وقوماً جمع التكسير .
هذا محلول قوله :

وفي أكفهم النار التي عبدت قبل الجوس ، الى ذا اليوم تضطرم .
هندية ، إن تصغر معشراً صفروا بعدها أو تعظم معشراً عظموا .
وقد زدت عليها زيادات كثيرة ، ورضت الى الخبر الوارد في أن قار فارس خمدت
ليلة ميلاد نبينا وخرجت الى قوله تعالى (إنها ترمي بشرير كالقصر) وقوله سبحانه
(وقودها الناس والحجارة) ثم خرجت الى نكتة نجوية وهي جمع السلامة وجمع التكسير .

فصل

السيف بالضارب لا يضاه المضارب ، والحسام في يد الجبان كهام ، والكهام في يد الشجاع حسام ، ولذلك قال عمرو لعمر : لا لوم علي ولا حيف ، فأني لم أنهلك الساعد وإنما نجلتك السيف .

هذا محلول قوله :

ان السيوف مع الذين قلوبهم	كقلوبهم اذا التقي الجمعان .
تلقى الحسام على جراءة حده	مثل الجبان بكف كل جبان .

ان القليل . مخرجاً بدموعه مثل القليل . مخرجاً بدمعته .
القليل المتشطح في نجيعة كالماشق المتخرط في دموعه ، وكلا الماءين دم الاب
هذا مال على أصل الخلقة ، وهذا معدته ^(١) حرة الفرقة .

القليل الذي قطعت شرايين نجيعة أروح من القليل الذي قطعت شرايين دموعه ،
فذاك قد فارق الدنيا فأمن شرها وخيرها ، وهذا كما نصبت جلوده بدل جلوداً غيرها .

الدمع دم أحالت لونه نار الهوى فايض ، وقطعت ملكه يد النوى فتبدد وارفقض ،
ولا فرق بينهما عند البصر والبصرة إلا أن هذا يسيل من عضو واحد ، وذاك من أعضاء
كثيرة .

فصل

عند الخيمة واضع في السقوط ، لأنها علت على مولانا فتأدبت له في الهبوط ،
وعلمت عجزها عن أن تشمل من يشمل الزمان ، وأن تعلو على من يعلو على بهرام

(١) في (اللسان) : التصعيد الإذابة ومنه قيل : خل مصعد وشراب مصعد اذا
عولج بالنار حتى يحول عما هو عليه طعاماً ولوناً .

وَكَيْون^(١) ، فَأَرْجَاؤُهَا فِي السَّعَةِ بِحَيْثُ يَرُكُضُ فِي كُلِّ قَطْرٍ مِنْهَا جَحْفَلٌ ، وَلَكِنَّهَا تَضِيقُ
عَنِ الْعَالَمِ الْمَجْمُوعِ فِي الْوَاحِدِ الْأَجَلِ ، وَتَقْصُرُ عَنْهُ وَتَطُولُ عَلَى الْقَنَا الدَّيْلِ ، وَأُخْطِئَ لَمَّا
أَشْرَقَتْ بِأَنْوَارِهِ ، وَتَاهَتْ لَمَّا عَدَّتْ مِنْ جَمَلَةِ دِيَارِهِ — لَمْ تَمَلِكْ تَقْصِيرَهَا غُرْتَ وَضَعَتْ ،
وَرَبَّ تَقْصُرَ أَنْوَاطُهَا عَلَى الْفَرْحِ فَزَهَقَتْ ، وَلَوْ رَزَقَ النَّاسُ مَا رَزَقَتْ مِنَ الشَّرَفِ الْبَاذِخِ
الْبَيْنَانِ خِلَاتِهِمْ الْأَرْجُلِ وَخَرُّوا سَجُودًا لِمُجِبَاءِ وَالْأَذْقَانِ ، وَمَا مَقَطَتْ عَيْشًا وَإِنَّمَا أَشَارَتْ
بِالرَّحِيلِ ، كَمَا أَنَّ الْقَصْوَاءَ مَا خَلَّاتُ^(٢) وَإِنَّمَا حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ .
هَذَا مَحْلُولُ قَوْلِهِ :

ابْقَدَحْ فِي الْخِيَمَةِ الْمَذَلِ	وَتَشْمَلُ مِنْ دَهْرٍ مَا بِشَمَلِ ؟ !
وَتَعْلُو النَّسِيءَ ، زَحَلٌ تَحْتَهُ	مَحَالٌ لِمَعْرَكٍ مَا تَسْأَلُ .
تَضِيقُ بِشَخْصِكَ أَرْجَاؤُهَا	وَيَرُكُضُ فِي الْوَاحِدِ الْجَحْفَلِ .
وَتَقْصُرُ مَا كُنْتَ فِي جَوْفِهَا	وَيُرَكُزُ فِيهَا الْقَنَا الدَّيْلِ .
رَأَتْ لَوْنُ نَوْرِكَ فِي لَوْنِهَا	كُنُونِ الْغَزَالَةِ لَا يَفْلُ .
وَأَنْ لَهَا شَرْفًا يَأْخُذُهَا	وَأَنْ لَهَا شَرْفًا يَأْخُذُهَا .
فَلَا تَنْكَرَتْ لَهَا صَرَعَةٌ	فَمَنْ فَرَحَ النَّفْسَ مَا يَقْتُلُ .
وَلَوْ بَلَغَ النَّاسُ مَا بَلَغَتْ	خِلَاتِهِمْ حَوْلَكَ الْأَرْجُلِ .
وَلَمَّا أَسْرَتْ بِتَطْنِيبِهَا	أَشْبَعُ بِأَنْكَ لَا تَرْحَلُ .
فَمَا اعْتَمَدَ اللَّهُ تَقْوِيضَهَا	وَلَكِنْ أَشَارَتْ بِمَا تَفْعَلُ .

وَزِدْتَ عَلَى ذَلِكَ ، الْخَبْرَ لِلشَّهْرِ وَهُوَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ رَكِبَ نَاقَتَهُ الْقَصْوَاءَ فِي عَامِ
الْحَدِيثِ ، تَوَجَّهَ إِلَى مَكَّةَ فَلَمْ تَنْبِثْ تَحْتَهُ فَزَجَرَهَا مَرَارًا ، وَزَجَرَهَا أَصْحَابُهُ فَلَمْ تَنْبِثْ .
فَقَالُوا : خَلَّاتُ الْقَصْوَاءَ . فَقَالَ النَّبِيُّ : مَا خَلَّاتُ وَإِنَّمَا حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ ، وَجَرَى مِنْ
تَوَقُّفِهِ عَنِ مَكَّةَ وَصَلَحَهُ قَرِيشًا مَا هُوَ مَشْهُورٌ .

(١) بهرام اسم المربيع ، كَيْوَانُ زَحَلٌ . (٢) خَلَّاتُ النَّاقَةِ : جَرْنَتْ . قَالُوا :
يُقَالُ : خَلَّاتُ النَّاقَةُ ، وَالْحُجْلُ ، وَحَرْنُ الْفَرَسِ .

فصل

قصار رماحك اطول من ظلالها ، وطول رماح اعدائك اقصر من زجاجها ونصالها ،
وكم من رمح قصر غاظته بخطاك ، وكم من بلد بعد فقرته بسراك . وقطرك في الندى
والردي سيول وبجار ، وعزمك في الخصوم والعدى نصول وشفار ، وأناملك رابضة
ولكن خلقت سيرفك من عجل ، فكما نيتها عن ولوغ الدماء قالت : سبق السيف
العذل . وقد ينسب الجاهل حكاك أحيانا الى تديير او خداع ، ولا يعلم ان الليث
لا يأكل الجيفة ولا يفترس الضباع .

هذا محلول قوله :

طوال قنا تطاعتها قصار وقطرك في ندى ووغى بجار .
وفيك اذا جنى الجاني اناة تظن كرامة وهي احتقار .
وقول السموءل :

اذا قصرت لمساننا كان وصلها خطانا الى اعدائنا فنطول .

فصل :

الآراء العائبة والشجاعة الثابتة تستعبد الصوارم وتستخدم الخنازم . فالنديير أمد
والشجاعة جنده ، والرأسي حسام والصرامة ^(١) غمده ، ولو لم يلحظ هذا للمعنى ويعتبر
لكانت الباع أفضل من البشر ، وطالما نكت الاعلام بالاقلام ، وملكت الاصقاع
بالرقاع ، وتغذت للكأيد قبل تنوذ الحدائم ، فاذا اجتمع لنفس سعيدة هذان الامران
نالت أقصى الامكان ، وبلغت من العليا كل مكان .
هذا محلول قوله :

الرأي قبل شجاعة الشجمان هو أول وهي الحل الثاني .

(١) في (الاساس) : رجل صارم ماضٍ في الأمور ، وقد صرم صرامة . وفي (تهذيب
الالفاظ) : الصريمة قطع الامر والعزيمة .

فاذا هما اجتمعا لنفس حرة بلغت من العلياء كل منكبات .
ولربما . طعن . الفتى اقرانه بالرأي قبل تطاعن الاقربان .
لولا . العقول لكان ادنى ضيغم أدنى الى شرف من الانسان .

* * *

وما الحسن في وجه الفتى شرفا له اذا لم يكن في فعله . والخلائق .
شرف الفتى بافعاله ، لا بحسنه وجماله . كاليف يقطع بجوهره ، لا بحسن منظره .
لو كان الفخر بما بدا في الصورة وظهر ، لا بما بطن من المعنى واستتر ، لكانت صورة النارق
أشرف من الحيوان الناطق .

* * *

فصل .

حسام لولا تفرق الماء في جوانبه لتلمست النار الموقدة من مضاربه . فقد أضر به
حب الجماجم والاعتناق ، حتى عاد نضوا كالهلال ، وودت سباع الطير والوحش أنها
تفديه بالخيال والانياب اذا فلسيه غيره بالانفس . والاموال ، فاحسن ما خضب به الدم
المار ، لا المسجد والنضار . والحناء حسناء وهي في الاسمال والاطمار ، واذا كان
الحلي لا تمام النقص يعمل فكشف الافضل انيل ، وعطل الاكمل أجمل .

هذا محلول قوله :

أحسن ما يخضب الحديد به . وخاضيه النجيع والغضب .

* * *

فصل

فلو كشف لك عن قلوبنا لرأيت الشوق قد فعل فيها يبرحائه فعل قنا الامير في
صدور أعدائه . فانه جعلهم هلكى ، يطعنون مخلوجة وساكي . فالقضاء الرجب لديهم
اخرج من التابوت ، ونسج داود عليهم أو هن من بيت العنكبوت .

هذا محلول قوله :

نودعهم والبين فينا كأنه قنا ابن أبي الهيثباء في قلب فيلق •
قواض مواض ، نسج دود عندنا اذا وقعت فيه كنسج الخدرنق^(١) •
وفيه أيضا حل قول امرئ القيس :
نطعنهم ملكي ومخلوجة كرك لا أمين على نابل^(٢) •

فصل في وصف منهزم

اجفل اجفال النعام ، واقشم اقشاع الغمام • يتوهم كل حفيف يسمعه رشق نابل ،
ويرى الارض في عينيه كفة حابل • وقد كان آلى الا ينكص له قدم ، ولا يعقب
يمين الجنان حنث ولا ندم • واذا تزلزلت الاقدام لم تزد اليمين في الاقدام • والحرب
تحسن الهزائم ، وتغير العزائم ، وتجعل أهون شيئا ما تقول اللوائيم •
هذا محلول قوله :

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك في اقدامك القسم؟!
وقوله :

والعيان الجلي يحدث للظن زوالا وللمراد انتقالا •
وقول بعض شعراء الحماسة :
ملأت عليه الارض حتى كأنها من الضيق في عينيه كفة حابل •

(١) الخدرنق : العنكبوت

(٢) السلكى يضم السين الطعنة المستقيمة ، (المخلوكة) المعوجة عن يمين وشمال •
(كرك لا أمين) أي ردك لا أمين وهما السهمان على من يرمي • يقال : اذا القينهما لم
يقعا مستويين ، وربما استوى أحدهما وتعرج الآخر • ويقال : سهم لأم اذا كان
عليه ريشه •

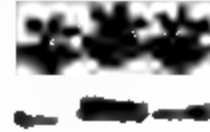
وقول القائل:

إذا هبت النكباء بيني وبينكم فأهون شيء ما تقول العواذل.

فصل في الصفح عن الجرائم

سيف الاحسان والاجمال اقتل من سيف القتل والاستئصال . وظالما غلّ بدأ
مطلقها ، واسترق رقة معتقها ، الا أن اللثيم يفسده الاحسان ، ويصلحه الهوان .
هذا محلول قوله : .

وما قتل الاحرار كالغفوة عنهم ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا .
اذا انت اكرمت الكرم ملكته وان انت اكرمت اللثيم تمردا .



فصل

إذا كان الهوى من القلب في الشغاف والصميم ، واللوم يحوم حول ذلك الحمى والحريم ،
وكما شاهد الحر فر ، وكما عاين النار استطار - لاجرم أنه يستحيل جوهره هباء ،
ويذهب زبده جفاء ، ويثبت في محله ذلك الهوى ، ويلقي عصاه وتستقر به النوى .
هذا محلول قوله :

عذل العواذل حول قلبي التائه وهوى الاحبة منه في سودائه .
يشكو الملام الى اللوائم حره وبصد حين يلحن عن برحائه .

لا تعذل المشتاق في اشواقه حتى يكون حشاك من احشائه .
لو ذقت ما يذوق العاشق لتركت عذله وعرفت عذره ، ومن يضع يده في الماء
يجد برده ويعرف حره .

تباري نجوم القذف في كل ليلة نجوم له ، منهم ورد وأدم .
فما زلنا تقطع الأدم الواقف بالدم السائرات ، ونياري الشهب النيرات بالشهب
الطائرات . الا أن تلك نجوم القذف والرجوم ، وهذه نجوم الغارة والمجوم .

فصل :

عزائمك لا تفل ، وآراؤك لا تفضل ، ومدائحك لا تميل ، وأحكامك لا تميل ،
وسيفك شريك المنايا في قبض النفوس ، فهذه لاختطاف الأرواح وهذا لاختطاف
الرؤس . وكل دم لم تحضه ظباك أصبح مظلولا ، وكل ممت لم تشارك فيه عد خيانة
وغلولا .

ترجمة

هذا محلول قوله :

شريك المنايا والنفوس غنيمة فكل ممت لم يمت غلول .

وقد حل ابن الأثير آياتا كثيرة من شعر المتنبي لوردها في (رسائله) و (وشبه
المرقوم) و (مثله السائر) وهذا نموذج منها :
إذا اختلفت العينان في النظر فالعذل ضرب من الهذر (أو) لا تعذل المحب فيما
يهواه حتى تطوي القلب على ما طواه .
هذا حل قوله :

لا تعذل المشتاق في أشواقه حتى يكون حشاك من أحشائه .

القتيل بسيف العيون كالقتيل بسيف المتون ، غير أن ذلك لا يجرد من غمده ،
ولا يقاد صاحبه بعمده (أو) ذمع المحب ودم القاتل متفقان في التشبيه والتشيل .
ولا تجد بينهما بونا ، الا لهما يختلفان لونا
هذا حل قوله :

ان القليل مفرجا بدموعه مثل القليل مفرجا بدمائه .

لما التقى الجمعان اصطفت يمين وشمال ، وزحفت جبال الى جبال ، وكثرت النفوس
على المنايا حتى كادت لا تقي بالآجال . واقدمت الخيل اقدام فرسانها ، واظلم النقع . فلا
تبصر الا بأذانها .
هذا حل قوله :

في جحفل ستر العيون غباره فكأنما يبصرن بالآذان .

وكان بها مثل الجنون فأصبحت ومن جثت القتل عليها تائم .
سرى الى حصن كذا مستعيدا منه سبية نزعا العدو اختلاسا ، وأخذها مخادعة لا
اقتراسا . فما نازلها حتى استقادها . ولا نزلها حتى استعادها ، فكأنما كان بها جنون
فبعث لها من عزائمه عزائم ، وعلق عليها من رؤس ومن القتل تائم .
وفي هذا من الحسن ما لا يخفى به فمن شاء أن ينثر شعرا فليثر هكذا ولا فليترك . . . !
وقد جثت بهذا المعنى على وجه آخر وذلك اني أضفت الى هذا البيت البيت الذي قبله وهو :
بناها فأعلى والقنا يقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطم .
ولما ثرت هذين البيتين قلت :

بناها والأُسنة في بنائها متخاصمة ، وأمواج المنايا فوق أيدي البائين متلاطمة .
وما أجلت الحرب عنها حتى زلزلت أقطارها بر كض الجياد ، وأصابت بمثل الجنون
فعلقت عليها تائم من الرؤوس والاجساد ، ولا شك ان الحرب تعرد^(١) عمن عز جانبه ،
ونقول : ألا هكذا فليكسب المجد كاسبه !

وقد تصرف في هذا الموضع بزيادة في معناه ونثرته على اسلوب أحسن من هذا
الاسلوب فقلت :

بناها ودون ذاك البناء شوك الاسل ، وطوفان المنايا الذي لا يقال ساوي منه الى

جبل • ولم يكن يتأوفاً إلا بعد أن هدمت رموس عن أعناق • وكأنما أصيت يجنون
فعلقت القتلى عليها مكان التياّم لو شئت بعطل فعلقت مكان الاطواق •

قول موهز في المتنبي

في (شذرات الذهب) لابن العماد الحنبلي : « قال في العبر : ليس في العالم أشعر
من المتنبي أبداً • وأما مثله فقليل • »

ولقد جاء أحمد بن الحسين بما جاء به وهو من تلك القافية وذاك الوزن في سجن •
ولولا هذان لجودت الايام أيما تجويد تسطير ما أملى فلم يقل :
ولم تحسن الايام تكسب ما أملى •

رب ما لا يعبر (الشعر) عنه والذي يضر الفؤاد اعتقاده •
والقافية في أكثر الأحابين هي القائلة لا القائل • والوزن هو الوازن لا شعور
الشاعر • فأكثر الشعر ليس لأنه يمكنه للوزن أو للقافية • انه مما وجد • ليس هو مما
قصد •

ولولا أن عبقرية متخية قوية عند أبي الطيب قد انكرت الجري على أساليب القوم
إذا كان مدح فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعراً متيم ؟!
فاختطت له تلك الخطّة — لا قام دهره من تباع (أبي تمام) بأخذ بأخذه فلا
يجاربه • وبكدر روحه في أن يصوغ كما يصوغ فلا يساويه • وحيب في صوغه وغوصه
لا بلحق • وقلماً ضارع مقلد عظيم مقلدا •

ولم يستطع المتنبي — على تبريزه وارثائه — أن يزحزح (حيباً) عن مكانته •
وما قدر إلا أن يقعد في عرش الشعر معه • وليس بقليل أن يقنطع من ملك حبيب
ورعينه ما اقنطع •

وقد قالوا : أبو تمام عند الخاصة أشعر • والمتنبي أشعر عند العامة • وما أنصف

المتنبي هؤلاء القائلون ، ولئن كان لأبي تمام عشر قصائد علا بين علو أكبراً إن
للمتنبي قدامها مئة^(١) قصيدة .

وكان شيوخ ابن خلدون يرون — كما قال — أن نظم المتنبي والمعري ليس هو من
الشعر في شيء — الله أكبر ! — لأنها لم يجربا على أساليب العرب .

وكلام هؤلاء الشيوخ (شفاهم الله) ليس بشيء إلا شيئاً لا يعبأ به .

وتنكب المتنبي عما تنكب عنه ، وسلوكه السبيل الذي سلكه ، ما ضاراه بل
ظاهراه في ابداعه ونبوغه ، فرأت العربية أكبر شاعر ، وظهر في العرب شاعرهم .

فدع كل صوت غير صوتي فأنني أنا الطائر المحكي والآخر العدى .

محمد اسعاف النسابي

من أعضاء المجمع العلمي العربي

(١) قال ابن قتيبة في (أدب الكتاب) في باب ما زيد في الكتاب : « ومائة
زادوا فيها ألفاً ليفصلوا بينها وبين منه ألا ترى أنك تقول : أخذت مائة وأخذت منه .
فلو لم تكن الألف لالتبس على القارئ » ، قلت : زبدت الألف في مئة أيام لا
اعجام وواجب في هذا الزمان حذفها حتى لا يضل القارئ اللافظ وكم أضلت هذه
الألف ففتح الميم لافظ المئة ومد

الصواب اشتد واستد

سئلنا عن آية الكلمتين أصوب في قول الشاعر :
أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

فكتب في الجواب ما يلي :

كتب اللغة مجمعة على أن (استد) تكون بمعنى (استقام) وقد استشهد على ذلك
بالييت للشهورة نسبته الى علي بن أبي طالب ، وهذا يدل ضمناً على صحة نسبة
(الاستداد) بالسین الى الساعد ، أما الاشتداد بالشين فلا خلاف في صحة اسناده اليه ،
لكن في غير ييت الشعر المذكور ، وفي غير مقام الرماية بالنبال ، اذ ان المعاجم
المذكورة كانت تقول عقب ذكر الييت ما نصه : قال الاصمعي : اشتد بالشين المعجمة
ليس بشيء . وقوله : ليس بشيء ، أي في رواية هذا الييت ، فتكون الرواية في الييت
إنما هي (استد) لا اشتد ، ويكون استعمال فعل (استد) واسناده الى الساعد في
صدد الكلام على رمي النبال ، هو الافصح والاكثر موافقة لاستعمال بلغاء العرب ، هذا
ما يفهم من عبارة الاصمعي ، ومع ذلك بقيت تائقاً الى نص في المعاجم يكون صريحاً
في اسناد (الاستداد) بالسین الى الساعد حتى وجدت الزمخشري يقول في أساس
البلاغة : (وأشدّ واستد ساعده وتسدّد على الرمي استقام قال .

اعلمه الرماية كل يوم . فلما استد ساعده رماني اهـ

وقائل هذا الييت أحد ثلاثة من شعراء العرب ليس فيهم علي بن أبي طالب وهم :

الاول : معن بن اوس قاله في ابن اخت له ، والثاني : مالك بن فهم قاله في ابنه

مليحة ، والثالث : عقيل بن علافة قاله في ابنه عميس . « المغربي »

روح الطموح في المتنبي

منشأ الطموح

طردُ الهم أو دفع الالم هو كما قال ابن حزم « مذهب اتفقت الامم كلها عليه فلا يعتمدون بسعيهم اسراً سواء » لكن للنفس نزعات ورغبات تأتينا من طريق الشعور بالحاجة أو بما يؤثر في ميولها من ورائة فتحاول طرد الهم بدفع ما يحول دونها . فالناشئ في سلف عزيز وخلف اعززة تنزع نفسه الى العز ، والناكب في منبت شهواني أو سلف أليف الشهوات يحارب كل ما يحول بينه وبينها ليدفع عن نفسه الم حرماتها . وما طلب المال طالبه الا لطرد هم الفقر ، ولا رغب في الحياة راغبها إلا لدفع هم الموت ، ولا ابغى الصيت مبتغيه إلا لطرد هم الخمول ، ولا طلب المعالي من الامور إلا من يكره ان يستعلي عليه عال .

الانسان روح واشد ما تكره الروح ان يستعلي عليها مستعل أو يسيطر عليها مسيطر . ولكن هذه الروح قد تستخذي للقوة القاهرة اذا ضعفت عن مقاومتها فتخضع على كره منها وهي مفعمة مما مملوءة كريباً ، فاذا طال عايتها الأمد ، وهي خاضعة ، الفت الخضوع وعلى نسبة هذه الالفة يخف ألمها وينفج كريبها .

عزة النفس العربية

العرب امة نشأت على عزة النفس والاباء فرأت انها اعز الامم جاراً وامنعهم ذماراً واشرفهم محنداً واذكاهم عنصراً ، ثم تجاوزت الحد فرأت أن كل من عدا العرب اعاجم لا يدانون العرب منزلة ولا يوازنونهم كفاءة .

فليس عجيباً والحال هذه ان يأتف النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على قرى
الطف من تزويج ابنته من كسرى لما خطبها اليه فيقتله كسرى تحت ارجل الفيلة
انتقاماً من انتته . ولا ان ينتقم له العرب بوقعة ذي قار لانه ذهب شهيد الكبرياء
العربية وفي سبيل صيانة الدم العربي .

وليس غريباً ان تمتصم لى بنت لكيز بعفتها ولا ترضى ان تكون في نساء كسرى
لانها عربية وهو اعجمي . وهي بنت الصحراء اذ ربيبة البوادي واليفة المضارب ، وهو
صاحب الدور المشيدة والصروح المعردة والملث العظيم والنعيم المقيم . لكنه مع هذا
كله ليس بكفء لما لانها عربية وهو اعجمي .

هذه هي كبرياء العرب وطموح العرب ، فلا عجب اذاً ان ترى عربياً قحاً كالي
الطيب ارتفع بذكائه وعلا اقرانه ببيان ساحر وقلب جري . وعزم ثاقب وعلم جم تهب
عليه ربح الطموح وتطفئ فيه روح التعاضم وهو العربي منبتاً ونسباً وادباً .

المتنبى عربى صحيح النسب

ضربت برق المتنبى دجحة يمان ، فهو من حيث ابوه جعفي من سعد العشيرة من
مذحج ، وهو من حيث امه همداني وحمدان واسطة عقد العرب اليمانيين مجدداً وشبابة
وسيد العرب بعد النبي اختار يقول فيهم :

ناديت همدان والابواب مغلقة ومثل همدان سنوا فتحة الباب
كالهندواني لم تفلل مضاربه وجه جميل وقلب غير وجاب

يقول ابوالحسن ابن ام شيبان : ان ابا الطيب كان جعنياً صحيح النسب ، ويقول
ابوالحسن محمد بن يحيى العلوي الزبيدي : ان والد المتنبى كان يقول انه من جعفي ، ثم قال
وكانت جدة المتنبى همدانية صحيحة النسب لا اشك فيها وكانت جارتنا ، وابو الطيب
يقول على قلة اعتداده بمجد الآباء :

ومجدي يدل بني خندف على ان كل كريم يماني

وبقول :

واني لمن قوم كأن تقوسهم بها تنف ان تسكن اللحم والعظم
 فيدعي مثل هذه الكبيرة وينخر هذا التخر ويبالغ في أنفة قومه هذه المبالغة فلا
 بد اذا لهذه الدعوى من اصل في شرف آباءه . أما ان لا يكون لدعواه هذه أساس تبني
 عليه هذه المبالغة فاني اراه غير مقبول في العادة ، والا فإم تر كها له حساره والناعون عليه
 وما أكثرهم حوله وما احصاهم لكل دقيقة وجليلة عليه ، واذا لم يكن له اصل من شرف
 آباءه وهو مع ذلك يقول فيهم مثل هذا القول فكيف يسكتون عنه من هذه الناحية
 من فخره بعد ان طبلوا وزمروا في تمجدهم له ، وكل ما قالوه في نسيه ان آباءه ويلقب
 بعيدان كان حامل الذكر فقيراً ومهما اشتد الفقر لا يكون مزرباً بالاحساب والانساب ،
 ونحول الذكر مهما امتحكم لا يكون مبرأناً لجداً الآباء وشرف العنصر ، واما ما جاء به
 بعض المخرفين عنه من انه انما انتخر بنفسه دون آباءه فلكي يسرّ وهنا في نسيه . فهو
 دليل لا يصح الركون اليه واذا كان المتنبي يقول :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسى تخرت لا بمجدودي
 فانها سنة كبار النفوس ، وهذا عامر بن الطفيل العامري وهو من علمت مقامه في
 العرب حسباً ونسباً يقول :

وما سودتني عامر عن كلاله ابني الله ان اسمو بأُم أو اب
 اذا كانت نفس عصام سودت عصاما فليس معناه ان آباءه لم يكونوا ذوي سودد
 وسيادة بل هو على حد قول الفضل الهبي الهاشمي الذي يقول :
 لنا وان احسابنا كرمتم يوما على الاحساب تشكل
 نبني كما كانت لوائنا تبني ونفعل مثلما فعلوا
 على أن أبا الطيب قد استدرك ما قد يشوم من قوله بل شرفوا بي بقوله بعده :
 وبهم فخر كل من نطق الضاد وعود الجاني وغوث الطريد
 وليس عجيباً من ذي كبرياء وطموح مفروط كالمتنبي أن يقصد المعنى الذي اراده
 الشاعر :

وكم أب قد علا يابن ذرى شرف كما علت بـرسول الله عذنان
 إن المتنبي الكبير النفس المتجاوز حد التعاضم بمثل قوله :

فدع عنك تشييعي بما وكأنه
فما أحد فوقني ولا أحد مثلي
والذي يقول :

وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق محتر في همتي كشجرة في مفرقي
يأبى أن يستند في فخره الى مجد عظامي ، وان كان شامخاً باذخاً ، ويريد أن
يحقق بنفسه القاعدة المشهورة « المرء بجده لا بجده » على أن خمول ذكر والده وعدم
مساعدة الزمان له على أن ينال مقاماً يعرف به لم يسلبه عبقرية صالحة جعلته يتمتع نفسه
بولده بما حرمت نفسه منه من علم وثقافة ، فسافر به الى الشام حيث الهواء العذبي والماء
الروي ، والادب ناشر أعلامه ، وبجاسه حافلة بالفحول من الشعراء وأعلام اللغة ، حيث
منبت الطائيين الذين انتهت اليهما زعامة الشعراء ، حيث موطن العتابي والتكريتي
والسلي وابن زرعة الدمشقي وغيرهم ، « حيث رزقت الشام ملوكاً وامراء من آل حمدان
وبني ورقاء ، وهم بقية العرب والمشفوقون بالأدب ، والمشهورون بالمجد والكرم ، والجمع
بين السيف والقلم » ، حيث ملئت أئمة اللغة ونحاريها وفحول العربية وأساطينها أمثال
ابن خالويه والفارسي .

يقول الثعالبي : سافر به أبوه الى الشام فلم يزل ينقله من باديتها الى حضرها ومن
مدرها الى ويزها ويسلمه في المكاتب ويردده في القبائل ومخاييله نواطق بالحسن ، وضامن
النجاح فيه حتى ترعرع وشعر وبرع «

المنقبى بعمر صوت أبيه

ما زال في الطموح يعتاج في صدر أبي الطيب وينقد وهو منصرف الى مغالبة
العوائق ، فعكف على التحصيل ، وكان كثيراً ما يغشى الوراقين يتزود من دفاترهم
علماً ، ويمجد نفسه في المطالعة واستظهار ما يروقه . وهو من جودة الحافظة وحضور
الذهن في منزلة لا أدل عليها مما رواه بعض الوراقين ، وكان هذا في أول صباه من أنه
حفظ كتاباً للاصمعي يدخل في ثلاثين ورقة بنظره فيه نظرة واحدة ، فروى أيام العرب
وتعمق في درس اللغة فقص شواردها وتأنس أوابدها حتى بلغ من ذلك الغاية ، وحسبك

شهادة أبي علي الفارسي له لما سأله عن الجموع يوزان فعله وإجابته أبو الطيب بلا توقف
لنها حجلي وخرابي . يقول الفارسي انه قضى ثلاث ليال يراجع كتب اللغة فلم يجد
لها ناكاً .

دعوته الى نفسه ومبرراتها

أبو الطيب عربي خالص العروبة ، تفتحت عيناه على عز العرب وما هم فيهم من دولة
ورأى ذوي المواهب يتسابقون فيها الى امتلاك زمام الامر والنهي ، هذا بهتته وجهوده
وذلك بعصبيته وقومه ، وذلك بعلمه وثقافته . فليس غريباً أن تزداد روح الطموح فيه
نشاطاً وهو يرى أنه أعلى منهم ثقافة وأكبر هممة وأعز نفساً ، فكيف لا يدفعهم
استعلائهم عليه بكل طريق بحسب القدرة من نفسه عليه .

وكأنه رأى أن أعلى مقام تسلطان هو الخلافة ، وهي فوق مقدوره لحاجتها الى بيعة
شاملة او ولاية عهد مؤيدة ولكنها فرع النبوة وعلى النبوة قامت دعائمتها ، والنبوة
تبتدى بالدعاية الفردية ثم تنتشر في كثير حولها الانصار فتشتد فيعلو امرها . رأى
ذلك وعنده من قوة الجنان وسحر البيان وفداحة اللسان ما يخلب به ألباب الاعراب وكانت
قد نشأت في ذلك العصر بدع المتنبيين ودعوات الخلول وعليها قتل ابن الشلمغاني والحلاج
وغيرهم وفشت دعوى القرامطة البنية على مثل هذا الاساس .

فتخيل ان الزمان بؤانيه حيث كانت الممالك فوضى بعد ان ضعفت الخلافة في بغداد
واصبح كل امير مستقلاً بعمله ، ففي البصرة ابن رائق ، وفي خوزستان البريدي ، وفي
فارس عماد الدولة بن بويه ، وفي الري وأصفهان والجيل ركن الدولة بن بويه وابن زيار
يتنازعان عايبها ، وفي الموصل وديار بكر وريعة ومضر بنو حمدان ، وفي مصر والشام
الاخشيديون ، وفي المغرب وإفريقية الفاطميون ، وفي الأندلس عبد الرحمن الناصر
الاموي ، وفي بلاد البحرين واليمامة القرامطة .

تخيل هذا وهو من طوره في غروره متجاوز الحد ، فحاول دعوى النبوة او انه أظهرها
على اختلاف امهات الروايات في ذلك ، وقد رأيت ان أطمعها لاستجلي ما يتراءى لي
من تحقيق فيها .

قال علي بن الحسن التنوخي عن ابيه عن ابي الحسن بن ام شيبان الهاشمي الكوفي :
 « كان المتنبي لما خرج الى كلب واقام فيهم ادعى انه علوي ، ثم ادعى بعد ذلك النبوة ثم
 عاد يدعي انه علوي الى ان اشهد عليه بالشام بالكذب في الدعويين ، وحبس دهر أطويلا
 واشرف على القتل ، ثم استتيب واطلق (١) وهذه الرواية تصلح بادعائه العلوية ، وان
 حبسه كان طويلا ، لاقى فيه العذاب واشرف على القتل ولكنها لا نقول بأنه اجتمع
 عليه احد وبنو كلب بارض نخلة وهي بلدة في بعلبك على ثلاثة اميال منها ، ولعلها نخلة
 بالماء المهجلة ، المعروفة اليوم في بعلبك ، وبدل على إقامته في هذه القرية قوله :

ما مقامي بأرض نخلة الا ك مقام المسيح بين اليهود

قال العكبري في شرح هذا البيت : دار نخلة على ثلاثة أميال من بعلبك وهي
 قرية لبني كلب .

وروى التنوخي عن ابيه عن أبي علي بن ابي حامد قال : سمعت خلقا يجلب بحكون
 - و ابو الطيب المتنبي بها اذ ذاك - انه تنبأ يادية السماوة ونواحيها الى أن خرج اليه
 لؤلؤ امير حمص من قبل الاخشيدية فقاتله وانقره وشرده من كان اجتمع اليه من كلب
 وكلاب وغيرهما من قبائل العرب وحبسه في السجن حبسا طويلا فاعتل وكاد أن يتلف
 حتى سئل في أمره فاستتابه . ثم قال : وكان قد تلا على البوادي كلاما ذكر أنه
 قرآن منزل (١) .

وهذه الرواية نقول إنها سمعت بجلب وجاء بها بلفظ (ويحكون) وانها حكيت و ابو
 الطيب في حلب اذ ذاك اي في زمن سيف الدولة وبعد نيف وعشرين عاما من خروجه
 وهي لا تعرض لدعوى العلوية ، بل نقول إنه اظهر النبوة وتبعه خلق من قبائل شتى
 اجتمعوا عليه وان الذي خرج اليه وحبسه واستتابه هو لؤلؤ الاخشيدي

وقال الثعالي « وقد بلغ من كبر نفسه وبعد همته ، ان دعا الى بيعته قوما من
 رائيي نبه على الخدائنة من سنه والغضاضة من عوده ، وحين كاد يتم له أمر دعوته ،
 تأدى خبره الى والي البلدة ، ورفع اليه ما هم به من الخروج فأمر بحبسه ونقيده (٢) »

(١) تاريخ بغداد للخطيب م ٤ ص ١٠٤ (٢) بنية الدرر م ١ ص ٧٩

ويحكى انه تنبأ في صباه وقتن شردمة بقوة ادبه وحسن كلامه ، وحكى ابو الفتح عثمان بن جني قال : سمعت ابا الطيب يقول : انما اقبلت بالمتنبي لقولي :

انا توب الندى ورب القواقي وسهام العدى وغيظ الحسود

انا في امة تدار كهسا الله غريب كصالح في ثمود (١)

وروايتا الثعالي هاتان تدل لولاهما على انه دعا الى بيعته ولم تصرح بان البيعة كانت للنبوته لو للولاية . وعلى انه قبل ان يتم دعوته حبسه الزلي وانه كان هم بالخروج اي انه لم يفعل ، فهو اذاً على هذا لم يخرج فعلاً .

وجاء الثعالي في الثانية بلفظ (ويحكى) مما يدل على توهم اسرها وزاد في التوهمين تعقيبهما بما رواه ابن جني عن المتنبي نفسه في سبب تلقيبه بالمتنبي وفوق ما رواه ابن جني ننصل ابي الطيب من دعوى التنبؤ والقرآن المزعوم ، فقد روى التتوخي عن ابيه ان المتنبي كان اذا شوغب في مجلس سيف الدولة ونحن اذ ذاك بجلب نذكر له هذا القران وامثاله مما يحكى عنه فينكره ويحجده ويقول انا لست ارضى ان ادعى بهذا (اي بالمتنبي) وانما يدعوني به من يريد الغض مني .

فالتفق عليه اذاً من هذه الاحاديث انه حاول الخروج على السلطان وانه حبس في ذلك حبساً طويلاً حتى كاد يتلف وانه استناب واطلق ، وهذه الروايات انما هي عن اقرب المؤرخين اليه عصرها فخطيب البغدادي ولد سنة ٣٩٢ والثعالي ولد في حياة المتنبي سنة ٣٥٠ والظاهر ان اعتماد من تأخر عنهما في حديث المتنبي كان عليهما ، ويظهر من التدقيق في نص هذه الروايات ان القول بانه لم يخرج في طلب اماره هو اقرب الى الصواب من انه تنبأ واجتمع عليه جماعة من قبائل شتى ومن انه اظهر قرآناً لان الرواية التي نقول هذا لم تخل من كلمات تحفظ مثل استنادها الى الحكاية ومثل ان الرواية كانت بجلب و ابو الطيب اذ ذاك بها بخلاف الرواية الاولى التي ارسلت كأنها حقيقة » وانت تعلم ان ابا الطيب في حلب زمن سيف الدولة كان يستغيث من كيد حساده وقوة بأسهم وشديهم في الغض منه والحط من شأنه فيقول له :

ازل حسد الحساد عني بكبحهم فانت الذي صيرتهم لي حسدا
اولئك الذين اخرجوه من حلب مقاضيا سيف السولة لانه لم ينتصر له منهم على شدة
حبه له وحنينه اليه بعد فراقه ، ويحكى عن بعضهم انه مات حسدا لابي الطيب وحنقا منه
وفي الصبح المتبي رواية اخرى غير ما تقدم وهي ان المتبي خرج بارض سلمية
من اعمال حمص في بني عدي وان الذي قبض عليه هو ابن علي الهاشمي في قرية يقال لها
كوتكين وانه امر التجار ان يجعل في رجليه قرمتين من خشب الصفصاف وان المتبي
قال في ذلك :

زعيم المقيم بكوتكين بانه من آل هاشم بن عبد مناف
مذ صرت في اياتهم متبنا مارت قيودهم من الصفصاف
وانه كتب الى الوالي من السجن يستعطفه بقوله :
ان يكن قبل ان رأيتك أخطأ ت فاني على يدك اتوب
عائب عابني لديك ومنه خلقت في ذوي العيوب العيوب
وظاهر هذه الرواية ان الذي قبض عليه وحبسه ثم تاب على يديه هو ابن علي
الهاشمي ، وان خروجه كان بارض سلمية في بني عدي

دفاعه عن نفسه وهو في السجن

هذه هي الروايات المختلفة في ما روي به المتبي ، فلنرجع في التحقيق الى ما يقوله هو
في دفاعه هذه التهمة ونستخرج من قصيدته التي أرسلها من سجنه الى الوالي (لاثنته
الدفاعية) التي يستحق عاها اجازة كلية (ليسانس) فهو يقول :

وقيل عدوت على العالمين بين ولادي وبين القعود
فما لك ثقبيل زور الكلا م وقدر الشهادة قدر الشهود
فلا تسمع من الكاشحين ولا تعبان بمحك اليهود
وكن فارقا بين دعوى ارد ت ودعوى فعلت بشاو بعيد
تعجل في وجوب الحدود وحدي قبل وجوب السجود
وفي جود كفك ماجدت لي بنفسي ولو كنت أشقى ثمود

ان أبا الطيب قلب الدفاع في آياته هذه على وجوه :
 الأول : أن يقابل الدعوى بإنكارها من أساسها بقوله فما لك تقبل زور الكلام .
 الثاني : أن يرد شهادة الشهود بجرحه لهم لأنهم سفلة - قاط ذوو محك كمحك اليهود
 بقوله : وقدر الشهادة قدر الشهود . وقوله : ولا تسمعن من الكاشحين .

الثالث : على فرض قبول شهادتهم وعدم قبول هذا الجرح فإن شهادتهم جاءت على
 أنني أردت لا على أنني فعلت ، والحد والعقاب لا يميان على معتقد الجرم ما لم يفعله فإذا
 هو فعله استحق العقاب على الفعل ، وأنا لم أفعل فلا عقاب علي . وذلك في قوله : وكن
 فارقاً بين دعوى أردت .

الرابع : وعلى فرض رد ذلك كله ، فأنما تجب الحدود على البالغ وأنا صبي لم أبلغ
 الحلم ولم تجب علي الصلاة ، فكيف يحكم علي بالعقاب ، والعقاب فرع التكليف ، وأنا لم
 أكلف فلا عقاب علي . وفي ذلك يقول : تعجل في وجوب الحدود .

الخامس : وعلى فرض الاعراض عن كل ما جئت به من وجوه الدفاع ، فأنني أطلب
 العفو والصفح وهذا آخر ما يطلبه المحكوم عليه وهو قوله : وفي جود كفيك ما جدت لي
 ويظهر من هذا أن التهمة وجهت اليه وهو دون سن البلوغ أي دون سن الخامسة
 عشرة من عمره ، وهي السن التي يقع معها التكليف ، أو كان حوالها على فرض المبالغة ،
 وفي تفننه في وجوه الدفاع بل في إنكاره التهمة من أساسها ما يدل على أنه ما ادعي عليه
 به من التنبؤ لم يكن على حد التواتر ، ولو انتشرت دعوته واجتمع عليه جماعة من
 قبائل شتى لكانت لاجلها متواترة ، وكان مثل هذا الدفاع ومثل هذا الانكار مكابرة
 ومما حكة وهراء من القول فكيف يتسنى لأبي الطيب حينئذ أن ينكرها من أساسها
 بل كيف يتسنى لمثل أبي العلاء المعري وهو أقرب الناس إلى زمانه وأكثرهم معرفة به
 واعجاباً أن يشكك فيها ؟

من الذي سجنه

بقي الكلام في اسم الوالي الذي قبض عليه وسجنه ثم استنابه وفي هذه القصيدة
 من صفات الوالي ما يدل عليه ، وقد سمعت مما تقدم أنه أحد الرجلين : لؤلؤ الأخشيدي

أو ابن علي الهاشمي . يقول أبو الطيب :

فمن كلاً أمير ابن بنت الأمير أم من كآبائه والجدود
رمى حلباً بنواحي الخيول وسمرُ بَرَقن دماً في الصعيد
فولى باتباعه الخرشني كشاء أحس بزأر الأسود

قالوا لي إذاً هو أمير ابن بنت أمير له آباء وجدود يفتخر بهم ، وليس للؤلؤ مثل هذه الصفات لا حقيقة ولا ادعاء فكونه ابن علي الهاشمي أقرب الى التحقيق . ويدل قوله : رمى حلباً بنواحي الخيول انه قاد الجيوش الى حلب ، ولم تكن يومئذ حرب بين حلب وحمص ، فهو إذاً قد ساقها لنصرتها لا لحربها وذلك فيما وراء حلب لقتال الروم بدليل قوله فولى باتباعه الخرشني ، وليس الخرشني الا الدمستق صاحب عسكر الروم شرقي القسطنطينية وكانت له حرب مع هذه البلاد في سنة ٣١٩ وعمر أبو الطيب يومئذ ست عشرة سنة ، وأرجح أن متولي كبر الكراعية في هذه الحرب بنو حمدان أسراء الموصل ، لان حفظ ثغور الروم كان مفوضاً اليهم من خليفة بغداد ، ولم يكن الاخشيديون يوماً من الايام مناصرين للحمدانيين .

بمع السجين

قال ياقوت « ولم يزل (المتني) بعد خروجه من الاعتقال في خمول وضعف حال حتى اتصل بأبي العشائر (ابن حمدان) ومدحه وعرف منزلته ، وكان والي أنطاكية من قبل سيف الدولة ، ولما قدم سيف الدولة أنطاكية قدم المتني اليه وأثنى عليه عنده ، وعرفه منزلته من الشعر والادب » . ويصف الدولة ملك حلب سنة ٣٣٣ هـ وعرفه سيف الدولة منذ قدمه أبو العشائر كما هو ظاهر قول ياقوت سنة ٣٣٧ فتكون المدة بين خروجه من السجن واتصاله بسيف الدولة حوالي سبعة عشر عاماً .

وما زال أبو الطيب في ضنك عيش وصوه حال بعد خروجه من السجن يدفع هم الفقر بطرق أبواب الأسراء والولاء ، فلا يجد عندهم الا خسيس العيش ولم ترفعه صلاتهم الى أن يستبدل بنعائه من كوبا ولا برجليه راحلة فيقول يومئذ :

لا تافني ثقبيل الرديف ولا بالسوط يوم الرهان أجهدها

شراكها كورها ومشفرها زمامها والشروع مقودها
وبقول :

ومهمه مجبته على قدمي تعجز عنه العرامس الدل
في سعة الخافقين مضطرب وفي بلاد عن أختها بدل
وبقول في قصيدته الدينارية :

اظميتي الدنيا فلما جثتها مستمطراً مطرت علي مصائبها
وحبيت من خوص الركاب بأسود من دارش فغدوت امشي راكبا
فكان من جملة مصائبه ان يفرغ الى علي بن منصور الحاجب من جور زمانه ويمدحه
بثل هذه القصيدة الغراء فيجيزه عليها ديناراً واحداً . وكأنه أراد أن يمين عليه بهذا
الدينار ليشتري به بدلا من حذائه الذي قطعه في المشي اليه .

ويقول المتنبي في قلة الجدوى :

لم الليالي التي اخنت على جدتي برقة الحال واعذرتني ولا تلم
ارى اناساً ومحصولي على غم وذكر جود ومحصولي على الكلم
والظاهر ان أول من اتصل به من الرؤساء هو ابو عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقي
فان معاذاً يقول : انه جاء اليه في سنة ٣٢٠ ولا عذار له وله وفرة جميلة . وارجح
ان اتصاله بمعاذ اذا صح انه كان سنة ٣٢٠ كان بعد خروجه من السجن ، لانه لما كان
في السجن بدعوى الخروج (ولم يعلم انه سجن قبلها او بعدها) كان في الخامسة عشرة او
حواليها . واما ما جاء في حديث معاذ من انه محرق له واغواه بضرب من السحر تعلمه
من اليمن ، وان معاذاً رجع عن الغواية به لما علم ان ما جرى منه كان قد تعلمه من
اليمن بعد أن سأله هل دخلت السكون ؟ فأجابه المتنبي نعم أما سمعت قولي :
امنسي السكون وحضرموتا ووالدتي وكندة والسبيعا

فهو ظاهر الوضع لان البيت المذكور هو من قصيدة مدح بها المتنبي علي بن ابراهيم
التنوخني سنة ٣٢٣ على أنه لم يرو أن المتنبي دخل اليمن وما السكون وحضرموت
وكندة في البيت الا أسماء محال بالكوفة قال ذلك شراح دهبانه .

تضي أبو الطيب ثلاث عشرة سنة بين اللاذقية ومنبج وطرابلس وطبريا والرملة وغيرها من البلاد لا يروي ظمأه الى المعالي ولا يبلغ آماله من المال ، وكان في تلك الحال السيئة يقول :

إذا لم تجد ما يبتز الفقر قاعداً فقم واطلب الشيء الذي يبتز العمرا
هما خلتان : ثروة أو منية لعلك أنت تبقى بوحدة ذكرا

وما زالت هذه حاله حتى نعم بكرم أبي العشار ، فاستيقظت مع الرخاء ونعمة العيش روح كبريائه ، ولما أراد سيف الدولة لصحبته لم يجبه أبو الطيب الا على شرط أن لا ينشده قائماً ، وأن لا يقبل الارض بين يديه كما كانت سنة الشعراء مع الملوك والامراء يومئذ ، وقبل سيف الدولة شرطه حرصاً على الاستئثار بفرائده وقلائده الخالدة على الدهر ، وهذه الميزة لم يعطها سيف الدولة لاحد ممن كان في حضرته من الشعراء غير أبي الطيب ، ولما أنشده أول قصيدة مدحه بها وقال في مطلعها « وفأؤك كالربع أشجاء طاسمه » اعترضه ابن خالويه وكن حاضراً ، فقال لأبي الطيب أثقول أشجاء وانما هو شجاء فقال أبو الطيب له (اسكت ليس هذا من علمك انما هو اسم لافعل) وابن خالويه من أئمة العربية يجيبه أبو الطيب بمثل هذه الغلطة لانه انتصر عليه وهو من الاعتداد بنفسه وبملاحه بالحل الذي علمت .

ولعل هذا التعاضل من أبي الطيب على ابن خالويه كان أساساً للنعادي بينهما الذي انتهى أمره بأن ضربه ابن خالويه بمفتاح من حديد على وجهه في حضرة سيف الدولة فأدماه .

توالت نعم سيف الدولة على أبي الطيب فاستبدل بالاسود الدار ش افراءاً فعالمها من عسجد وترك السرى وقطع القفار لمن قل ماله وأصبح يقول :

في الشرق والغرب أقوام نحيم فبلغناهم وكونا أبلغ الرسل
وخبراهم بأنني في مكارمه أقلب الطرف بين الخيل والخيول

ولكن أبا الطيب لم يجد بعد هذا كله قيد الاحسان يقيد في ذرى سيف الدولة

كما زعم .

شهرته الطائفة في شعره وأثرها في طموحه وكبريائه

يقول صاحب المثل السائر « وأما المثني فقد شغلت به اللسان وسهرت في أشعاره
الاعين وكثر الناسخ لشعره والفائض في بحره والمقبس من جمانه ودره » وإنما شهرة أبي
الطيب انما تمت وعمت منذ اتصل بسيف الدولة فأكثر هذا حساده بكثرة انعامه عليه
وبما رفع من منزلة لديه .

نشطت روح الطموح في أبي الطيب بعد أن سار ذكره في الأقطار مسير الشمس
وتناقل شعره البدو والحضر وعمرت به أندية الادب ، واستعان بالفاظه ومعانيه جمهور
الكتاب حتى من كن شديد الكره له عظيم النعمة عليه كالصاحب بن عباد
ويقول ابن العميد وقد ماتت أخته (انه ليغيطني أمر هذا المثني واجتهادي في أن
أخذ ذكره ، فقد ورد علي نيف وستون كتاباً في التعزية ، ما منهم الا وقد صدر
كتابه بقوله :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بامالي الى الكذب
حتى اذا لم يدع لي صدقه أملاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي
فكيف السبيل الى إخماد ذكره ، وهذان البيتان من قصيدة أنفذها أبو الطيب
الى سيف الدولة في رثاء أخته سنة ٣٥٢ وكان اتصال أبي الطيب بابن العميد سنة ٣٥٤
ولا ريب أن غيظ ابن العميد منه كان قبل أن يقدم عليه ، فلا يكون اذا بين نظم
القصيدة وانتشارها بين المتأدبين والكتاب في كل البلاد حتى استفتح بأبياتها هذا العدد
الجم من أدباء الاقطار المختلفة ، الا عام وبعض عام ، على تباعد الاقطار وصعوبة
الأسفار .

وجاء في الصبح المنبي عن بعض أئمة الادب أن رجلاً من مدينة السلام كان كلما
دخل بلدأ يسمع فيه ذكر أبي الطيب يرحل عنه حتى وصل أقصى بلاد الترك فسأل
عن أبي الطيب فلم يعرفوه ، فتوطنها فلما كان يوم الجمعة ذهب الى صلاتها بالجامع فسمع
الخطيب ينشد بعد ما ذكر أسماء الله الحسنى :

أسماءاً لم تزده معرفة وإنما لذة ذكرناها

فرجع الى دار السلام .

فلا عجب إذا لرجل ملاً ذكره الاسماع وشغل الدنيا كما يقول ابن رشيق أن
يزداد كبراً وتعاظماً ويقول سيف الدولة :

انلني اذا أنشدت شعراً فأنما بشعري أذاك للمادحون مرددا
ودع كل صوت غير صوتي فأنني أنا الصائح المحكي والآخر العدا
وما الدهر إلا من رواة قصائدي اذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

وان يترفع بعد هذا عن مدح غير الملوك وأعيان الزمان ، فلم يجب دعوة صاحب
ابن عباد مع ما يذله هذا من الجهور لاستقدامه اليه . فيقول ابو الطيب فيه (ان غلباً
معطاء بالري ، يريد أن أزوره وأمدحه ولا سبيل الى ذلك) علم أنه معطاء يسني
الجوائز ، فلم يستلمه ذلك اليه لانه استغنى ، فلم يفعل ما كن يفعله أيام بؤسه لغلبة عزة
النفس والكبرياء عليه ، وقد أثار اعراضه هذا حفيظة صاحب ، فالتجده غرضاً برشقه
بسمام الوقعة ويتنبح عليه سقطاته في شعره وهفواته ، ويتعي عليه سيئاته وهو أعرف
الناس بحسناته وأكثرهم حفظاً لها وتمثلاً بها في محاضراته ومكاتباته (١) وأعرض عن
الوزير الهادي وزير الدولة البويهية في بغداد حتى أغرى هذا به حساده من شعراء العراق
كأبن حجاج وابن مكررة الهاشمي والحائمي وغيرهم ، فذالوا من عرضه وتباروا في هجائه
وتماجنوا وتنادروا عليه . ولما قيل له في ذلك لم يزد على قوله : فرغت من اجابتهم بقولي
في من هم ارفع طبقة في الشعر منهم .

أرى المتشاعرين غروا بذمي ومن ذا يحمل الداء العضالا
ومن يك ذا فم صر مريض يجد مرأ به الماء الزلالا

وخشي ابن العميد وزير ركن الدولة ابن بويه وزعيم الحضرة والمقيم بمصالح المملكة
في أرتجان ، وهو على أشد ما يكون من الرغبة في لقائه واستقدامه اليه ، أن يعرض

عنه كما عرض عن زميله المهدي في بغداد، ففري بدمه وانتقاده، حتى اذا جاءه ابو الطيب مراغماً للمهدي، فتح له ابن العميد صدره واجزل ثوابه واحسن وفادته، وصل ما كان في نفسه عليه من مودة. وانتف ابو الطيب من مدح ابن خنزابة وزير كافور والمقرب منه، وهو من بيت شريف اهل وزارة ورياسة، ومن الأدب والعلم بموضع جليل. فأفسد هذا عليه كافوراً بما كان يقبح اثره عنده، وبما كانت ينبهه على مغامرة في مديحه له حتى خرج ابو الطيب من مصر خائفاً يتربص واتخذ الليل جحلاً وهرب.

روح ابي الطيب في الاياء قوية، لكن طمعه في الولاية ولذة الامر والنهي والاستعلاء، وافراطه في هذا الطمع غطى على هذا الاياء في بعض المواقف، فاستقاد واستذل، والا فاما معنى قوله في كافور بعد ان ترك سيف الدولة :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا
فجاءت به انسان عين زمانه وخت سواداً خلفها ومآقيا

* * *

فأصبح فوق العالمين برونه وان كانت يدينه التكرم نائيا
ويقول فيه :

واخلاق كافور اذا شئت مدحه وان لم تشأ تلي علي فأكتب
فتي يملأ الأفعال رأياً وحكمة وبادرة ايات يرضي وبغضب

يقول هذا وكثيراً مثله فيه وهو العبد الزنيم التسيء اذنه في يد النخاس دامية وقدره وهو بالفلسين مردود، ويقبل منه ما لم يقبله من سيف الدولة فيخضع للانشاد بحضرته فائماً وهو يعلم ان الفرق بين سيف الدولة وكافور علماً وادباً ونسباً وشرفاً ونوالاً، كالفرق بين الدرة والجمرة لا يقاس بمقدار، وما كان كل ذلك الا طمعاً في الولاية، ولعله طمع في خداع هذا الاسود بما يحسبه من ضعف العقل في السودان فازداد في تعلقه اذ يقول له ولم يفتأ يذكر الولاية :

اذا لم تنط بي ضيعة او ولاية فجودك يكسوني وشغلك يسلب

بضاحك في ذا العيد كل حبيب - حذائي وابكي من احب واندب
 احن الي اهلي واهوى لقاءم - واتي من المشتاق عنقاء مغرب
 فان لم يكن الا ابو المسك ادم - فانك احلى في قواديه واعذب
 وليس هذا ملق كاذب ان يجعل الاسود الذي مشغره نصفه احلى في قواده واعذب
 من اهله الذين يحن اليهم هذا الحنين ويهوى لقاءم كما ترى .

أحمد رضا

عضو المجمع العلمي العربي



المهرجان الالفى

لدى الطبيب المتنبى

أمن النجوم نظمتهن قصائدا
إن الذي يهب الخلود قريضه
سيرتهن وأي جيد عاطل
عمرت بهن محافل الادب التي
في كل عصر هن أي يانه
أتعبت كل الشعارين فقصروا
حاموا حوالي حوضه ظمأى وقد
لكأن شعرك للمصور جميعها
وكان ما بين النفوس وبينه
وكانما قد كنت في ندواته
عبدوه واتخذوا روائعه التي
طورا تناجي القلب فيه وقارة
لو رد عصر الجاهلية ما ثنى
ولبايعوا لك بالإمارة واغتدى
وعكاظهم بسواه لم تعمر لها
لغة اليلان به تدل وتثني
بك لم تزل يابن الحسين فخورة
يفنى الزمان وما برحن خوالدا
لمو الجدير بأن يكون الخالدا
ما كن فيه زينة وقلائدا
لولا بدائعهم كن هوامدا
وبكل عصر ما برحن فرائدا
وبذذتهم طرا وكنت الواردا
صدروا على ظمأى وكنت الواردا
ماضره أن كان شخيمك بائدا
صلة ولم يك غير ذكرك عائدا
معمورة في كل عصر شاعدا
ذهبت بمجزة اليلان معابدا
للعقل تنصبه صوى ومراشدا
شعراؤه إلا اليك وسائدا
ضليلهم لمناة شعرك ساجدا
سوق وأصبح كل شعر كائدا
نميا فتكبت حامدا أو جاحدا
اذ كنت فيه عن حماها ذائدا

ولكم لها آنت من وحشية فيه وكم قيدت فيه أوابدا
 من كل راتعة المحاسن حرة عزت فلم تر في الزمان ندائدا
 لكأنما من مدرة لك وحيها أوحى فلم تر راجعاً أو ماردا
 جاءت كما تهوى تزيين فلاندا وأساوداً ووشائحا ومجاسدا
 تختال بالمعنى الدقيق يزينة اللفظ الأنيق كما تزين ولاندا
 جمعت الى منع الحضارة عزة م البادين أسداً في الفلا وأساودا
 تهب السكارى وهي سكرى صخوم وإذا صحت تدع الصحة عرابدا
 وإذا نبت بها تركت كثيراً يلقي اليك من النسيب مقاودا
 وإذا مدحت غدت فلاندا صاغها م الطائي في سوق المديح كواسدا
 وإذا وصفت فما تركت لواصف الا كمن يصطاد طيفاً شاردا
 والغائب اذا تقذت بسرهما وصفا يراها السامعون مشاهدا

* * *

قلوا ادعيت نبوة ولكم على دعوى النبوة زوتروا لك شاهدا
 جملة ملفقة يرون عوارها لو ان فيهم للجواهر ناقدا
 وإذا ادعيت نبوة فلقد نسخت بها القريض وما نسخت عقائدا
 ما زلت فيه مجلياً في السبق لم يتعب مدى حلياته لك ناهدا
 ان كان مرماه البعيد عليهم فعليك كان وما يزال القاصدا
 ما كنت فيه تسف أسفاف الألى تحذوه للغرض الخفي مقاصدا
 ولكم تنور شاعر لك جذوة فسرى فلم ير قابساً أو واقدا
 لكن ذهبت بنورها وبنارها وله تركت اثافيا ومواقدا
 فلها ولكن بالرماد ولم تدع للمصطي الا خيباً عاردا
 ما كان قيد الهاشمي بمحمد لك من جذأ نار الطموح زاندا
 قيد من الصفاف لم يك موهباً منك الطموح ولا لعزمك خاضدا
 ما كنت واهن حجة بما رموك به وعن نهج الحقيقة حائدا

* * *

ارخى ابن عمار عزالي جوده لك مذ تفرس نجم سعدك صاعدا
الفاك عيناً للعروبة مثلما الفيتة عوناً لها ومساعد
فحططت رحلك في رحيب فتائه من بعدما جيت البسيطة رائدا
اجريت في الاردن بجرأ غامرا فامد منها بحرما المتراكدا
قد راع وصفك قتله اسدا بها اسدا يراها الغيل او مستاسدا
ورحلت عنه وما أصبت أمانيا بل قد أصبت اعاديا وحواسدا

* * *

وأبو العشار زان فيك مناصبا عدوية ومحافلا ومحاشدا
وحلت أنطاكية فاحتل شرك من ذراه الشامخ المتصاعدا
وفتته بالفاتنات بحسنا متنسكا في قومه أو عابدا

* * *

ان كان سيف الدولة استصفاك من دوت الورى خلا وفيك ماجدا
وحباك منه عواندا فلانت قد كفاته وعليه زدت عواندا
كانت له غرر القريض كائبا كم حل فيها للحصون معاقدا
كانت على الروم الشداد صواعقا وعلى عداه يوارقا ورواعدا
ولباسه بصوت كل متوج منهم وان كانوا الملوك أعابدا
خلدته في الخالدين فلم يزل ولئن تغيب في المقابر شاعدا
موصولة ذكراك في ذكراه ان تهجره أو يهجرك لم يك حاقدا
ادناكا الميلاد وهو اخوة والفضل ان تكن الاصول اباعدا
جمعتكما الآداب حتى كننا كالفرقدين مناقبا ومحامدا
ما غص من غلواء نفسك حيث لم نسمعه شعرك فيه الا قاعدا
ان لم يلدك أبوه او لم يقترب نساكا فالفضل كنت الموالدا
لا بدع أن من التشاكل نسبة ومن التشابه في الخلال موالدا

* * *

لم تنأ عن حلب لمصر مؤثراً مصراً على حلب وعنه حائدا
 كلا ولم تعدل به كافورها ان جثته يديع شعرك وافدا
 كلا ولم يك ما زعمت البحر تز جي عيك الظمأى اليه قواصدا
 لكننا شاء الزمان بأن يحوم ل وغد عيشك النضير منا كدا
 فارقه لا واجداً لكننا خلفت قلباً في هواه واجدا
 غادرتما جفن العروبة ما حدا وكلا كما يرعى الكواكب ساهدا
 يكي كما تبكي زمانا حافلا بمواكب النعى وعيشاً باردا
 لم يلف سيف الدولة الدنيا وقد فارقه الا نعيماً بائدا
 وكلا كما وجد الحياة ذميمة من بعد صاحبه وظلا نافدا
 وكلا كما في لجة من همه يسي ويصبح للهموم مكابدا
 وكلا كما هيات يرحب صدره للمطربات ويستلين مراقدا
 أنى التفت قنصب عينك مائل وخياله لك ما يزال معاودا
 وطل قريضك هزة من عمده وهواه ان تك راضياً لوساودا
 ولأن بالذكورى لديه حاضر ولئن قطعت نهائماً ونجائدا
 اضحت رباحكنا وكم رقت بها آصال عيشك الهني رواكدا
 لم تلتصق في كوفة الجند هنا من بعده وبأرض فارس رافدا
 فرحلت رحلة آيس منها وما أدركت آمالا بها ومقاصدا
 وذميت جواب البلاد ولم تكن الا لعمك يفي طوافك طاردا
 آلى طموحك أن تظل ولا ترى عونا بدورك للطموح مرافدا

* * *

لم تلف كافوراً وان لك أسبغ النماء الا عمك اليد جامدا
 فارقه وتبركت فيه لواذعاً ولئن تكن سميتهن قصاذا
 وذممت مصر وأهلها لما رأيت الأسود الزنجي فيها سائدا
 وهو الذي ما تلت منه مطمحا بالملك بل لك عنه راح مرلودا
 واذا فنى حمدان لم يبلغك ما ترجو فهل هو فيه كانت الجائدا؟

واراك صدر الليل لكن بعدما
ولئن نبت بغداد عنك فلم تجد
لم تلف آساداً بها وكأنها
أو لم تجد من أهلها خصب القرى
أو لم تجد إلا - حسوداً منهم
فلكم نبت - بني قوم داره
ومحمد أقصت قصي داره
ما كنت إلا صخرة الوادي ومن
فأرفق بهم أن حل فيك عقوقهم
ورحلت لا متلفناً لزعانف
ترعى لسيف الدولة العهد الذي
لوددت أن يحوي العراق وإن ترى
وعليه يبسط ظافراً سلطانه
ولانت بالنفريد في أفنانه
تهدي به كل يوم حرة

* * *

لم ترض عن حلب وعن سيف بها
لكنما ضاقت بك الدنيا فلم
لكن شعرك كان في تيجانهم
لم تلتبس منهم إلى العربي من
لم تنسك العهد الوسي في جوائز

* * *

ما آبن العميد وإن رعى لك حرمة
في حيث لم تكذب - مخايل - جوده
أنساك في حلب الفصور الألبدا
والخصب - في - ساحاته - لك رائدا

في حيث يخلع يردنيه عليكما
 في حيث شعرك إن تحرك هزة
 في حيث يغمد في الطلي أسيافه
 في حيث فيلقه يدك معاقلا
 في حيث سيف الدولة السامي القرا
 في حيث مجد العرب خفاق اللوى
 عهد الشباب ولا يخون مواعدا
 للأريحية منه تطرب أمدا
 وسوى الطلي لم يتخذن مقامدا
 للروم تهزأ بالنجوم صواعدا
 تلقي لخمسه الفتوح مقالدا
 نجحي الرعية مسلما ومعاهدا

* * *

من خال يوما أن بيت فانك
 فيصيب حين أصاب قلبك مهجة م
 ولو أنه العربي حقا لم يدع
 لم يأس للعذراء ترقب فيك من
 فيحيل روتق خدها وصفاءه
 أيخيف سربك في سرايع امنه
 غالت بقيمتك الورى والغبن أن
 والغبن أن لا يحتفي بك موطن
 والغبن أن لا تحتوي العذراء منك
 وبها غدوت مضيما حيا كما
 لك فتكة ويريش سهمًا صاردا
 الفصحى ويهدم للبيان قواعدا
 فصحي اللغات عليك ثكلى فاقدا
 افق البعاد شهاب فضل واقدا
 وراوده بادي الكآبة كامدا
 وربوع أمنك لا تقيك شداثدا
 بمسي العراق بها جهولا زاهدا
 بك قدرقي يابن الحسين فراقدا
 بك وقد تزلت بها العظام بوائدا
 قد ضيعت لك في الممات ملاحدا

* * *

يا بن الحسين ، وتلك دعوة عارف
 ان لم يثر دمك الحرام مضيما
 فلكم دم زاك هناك مضيع
 فاذهب فليس عليك قط غضاضة
 الفاك هاما للفخار وساعدا
 لك ثائرا من قومه أو ناشدا
 ترك العيون الى القيام سواهدا
 ان لم تدع سمر الرياح قواصدا

* * *

من خال سيف الدولة المشهور ما
 ينفك في جفنيه بعدك راقدا

وبشيمه عن أخذ ثارك وهو لم
أم أن فتكة فارك بك لم تهج
أم أنه قد كان عنه عاجزا
أتروع من في الروم سطوة جيشه
وهو الذي هز البسيطة زحفه
أم أنه لم يرع عهدك وهو ما
سر ولكن لم نجد حلا له
يثلم له طول القراع حدائدا
منه مصورا في العواصم راصدا
وهو الذي يرقى الحجر قاعدا
ومن الفرات فليس يدرك واحدا
وحشا تراها بالرقاق بواردا
ينفك يحوي السودد المترافدا
ولكم بصدر الغيب سرارا كدا

اتلوح ، احمد ، كوكبا بسا الدنا
لا تبشئ فالدهر من عاداته
يا ومن أمة يعرب ومنبتها
عرفتك مينا بعد ما ردت لها
ذكرتك ذكرى مجدها ولطالما
ردت حياتك بعد الف فالتفت
ما الف عام قد طوتك ونيف
واذا استطاعت أن تمد اليك من
واذا سنوها غيت لك في الثرى
ولكم خفي في النجوم وكم له
اخفوه في الارض الفضاء ليملاوا
وبأفقه العرينة بمبي خامدا
ان يجعل الحر الكريم الماجدا
من صيدها وسنان طرف هاجدا
أيامها ما كانت عنها شاردا
نافحت عنه طارفا أو تالدا
هل تلقى الا باسم حمدك حامدا
طي التجار طرائقا ونضائدا
سود الخطوب حباثلا ومصايدا
رمسا فما إن منك ابلت خالدا
نصبوا ليستجلوا مناه مراصدا
من عرف رياه فلا وفدا فدا

أبا المحمد ، هل تحيب مشككا
هل كنت تحلم أن تكون متوجا
أم كنت تطمع أن توحد أمة
حيث الولاة بها ملوك طوائف
ما زال عنك مسائل ومناشدا
فطلبت ذا تاج لتاجك عاقدا
أضحت بأيدي الطامعين بدائدا
مقاطعين أدانيا وأباعدة

هذا الى هذا تراه ناصباً شرك الخداع وذا لئلك -مطاردا
 أم همت في حب الولاية ناشدا زهو الملوك بها. وعيشاً راغدا
 أم كنت مبهضوماً بأرضك فالنمت لرد حقك ناصراً ومعاظدا
 أم كان ما تتوبه سرّاً غامضاً مازال عن درك. النهى متباعدا
 مازال مكتوماً بصدرك حائراً وله بصدر الغيب كنت الواثدا
 كانت مذكاة من الزمان طرائدا ماكن كي تصطادهن زهائدا
 من راح بصطاد النجوم غدا كن تحخذ الاماني الكاذبات طرائدا
 هل أنت الا شاعر ما كان الا للسوانح والبوارح صائدا
 يثني وراء خياله ويخال أن حاز النجوم توائماً وفواردا
 أنظر دمشق فشيها وشباها ملأوا بذكراك المكان الحاشدا
 اليوم قد ردت عكاظ كما بها عرضت الى جنب العروض فرازدا
 هي نهضة أدبية لكفاك أن قد كنت نافخ نارها والواقدا
 قد كافأتك دمشق اذ لم تنسها في شعب بوان الثناء الخالدا
 هي للعروبة معقل والعلم كم قد زان اندية بها ومعاظدا
 فافت بجامعها ومجمعها وجا معة بها كل البلاد محامدا
 بلد كفاه مفخرا ان لم يزل عن حوزة العرب الكرام محالدا
 بيني كما بنت الجدود ويرثني ما قد رقوا للمكرمات مصاعدا
 مسترشداً وطنية كانت وما زالت لأمته صوى ومراشدا
 فليهن في استقلاله وعليه فليضم بدا مشدودة ومواعدا
 وليسترد له نواضر عهده خضراً أرائكها ونوراً جامدا
 يحبي بطارفه الجديد مفاخرها عرية وقدائماً وتلائدا

سليمان ظاهر

عضو المجمع العلمي العربي

ذكرى شاعر

يا قلبُ عادك من دمشق عائدُ
أيام تشد في الجزيرة غاية
ما بيننا الا شباب طامح
سرّ الفرات وسر دجلة بعده
قالوا : غداة غدٍ يقام لاحد
رعي الدمام ، وما أضيع يبلدة
واعيد مشهده وقل لمن له
ومنازل فيها الاماني كلها
ومحافل يبدو امام عالم
يتذلل الرومي فيها قائماً
وقصائد فيها الكلام جعافل
ولقد يحن الى الكفاح رفاته
خير التوابغ من أجدت ذكره
وتسالت ان الزعامة حقه
اما المذاهب فهي شتى لم تزل

والذكريات من الحبيب تعاودُ
يسمو بفكرته اليها الناشد
أو نائر أو قائم أو واجد
نبأ عليها من (ضمير) وارد
في قلب جلق مهرجان حاشد
فيها لاحد جيرة ومعاهد
دون الثغور مواقف ومشاهد
وهوى الاجة والشباب للمائد
منها يطارحه أمير ماجد
والتغلي على بفاع قاعد
وجعافل فيها الفتوح قصائد
بطل تناذره الكأمة مجاهد
وتعهدته أقارب وأبلعد
في المبدعين مذاهب وعقائد
لكنما الوطن المنفى واحد

خلت العصور وما خلّت من ناقل
او قائل : هذا الحكيم الخالد
او مورد للقول فيمن حيرت
منه الفحول مصادر وموارد

ما العبرية الفذ الا فكرة لن مات عاش بها الرميم افامد
واذا تأملت الخلود أصبته في الصالحات وحيث يفتى الفاسد
لا بد من تقد الزمان فانما نحن الدرامم والزمان الناقد
حدوا النبوغ وتاوؤه فلم يمت بل مات بالداء الدفين الحاسد

* * *

يا شاعراً قاد القلوب لغاية لم يدن منها شاعر أو قائد
قونوا بكل منوء شيطانه اما قرينك فالعظيم المارد
أمتعتنا بذخائر الشعر الذي لولاه ما نبت المتاع الكاسد
سهل عليك اية الفاظه ولغاته فهو الاليف الآبد
نشرت به في كل فج حكمة وتعوطي المثل البليغ الشارد

* * *

يا موسم الادب الجميل رسالة لنوبك يحملها البريد الواخذ
عودوا الى الماضي ، فان عدتم له مستلهمين فثم مجد عائد
للبنرة الاولى يد محسودة لا تجحدوها فالثقي الجاحد
والكون مندرع فجبل حارث فائنه بغيته وجيل حاصد
أعياد أحمد للنهوض علام وعلى الحياة أدلة وشواهد

بغداد :

محمد رضا الشيباني

تصحیح نہایۃ الارب

ہمزوہ الحاری عشر

صفحة ۲ سطر ۶ - قوله یصف خلقۃ النبات وأطواره العجیبة : (وبقيت آثاره بعد ذبوله أحسن منها يوم زفاه . وحصل الانتفاع به في حالتي غضاخته وجفاهه) لامعنى لزفاف النبات (بالزاي) وحمله على المجاز تكلف بعيد . فصوابه (رفافه) بالراء المهملة مصدر رفّ النبات إذا اهتزّ نضارة . ولم يذكر هذا المصدر في المعاجم وإنما الذي ذكر فيها الرف والرفيف . لكن السجع الذي أولع به المؤلف حمله على استعماله ، بل ربما كانت مستعملا على لسان أهل زمانه أيضاً . فهو من كلمات ذلك الزمن العامية . وكتاب نہایۃ الارب حوى كثيراً منها . وسيأتي صفحة ۱۱ سطر ۱ - كلمتا (الغراسة والزراعة) وليس في اللغة (غراسة) فهي مولدة استعمالها المؤلف وإن كانت عامية للمزاوجة بكلمة (زراعة) وهكذا (الرفاقة) بالراء المهملة .

صفحة ۱۹ سطر ۹ - قوله (إذا نمدت به) ضاده ساقطة وصوابه (إذا ضمّدت) - صفحة ۱۹ سطر ۱۱ - قوله (وإذا ضمّدت به بالشراب الخ) (به) اي بالباقلي : و (الشراب) اسم عام لكل ما يشرب من المائعات وقد يراد به السكر فلعل صواب بالشراب بالسذاب : النبات الذي يتداوى به .

صفحة ۸۲ سطر ۳ - قوله (وشجر اللوز المر إذا دُقّ ناعماً ومُخلط بالخل) لعل صوابه و (ثمر اللوز) فانه هو الذي يُدقّ عادة ولو أراد الشجر نفسه لقال (وخشب اللوز المر أو وعيدان للوز المر)

من ٩٥ سطر ١ - قوله في صفة الفستق :

(مسفر عن جوهر أخضر فيه مطبق)

صوابه (مسافر عن زبرجد الخ إذ يقال مسفر عن وجهه لا أسفر ثم إن الفستق إذا انكشف قشره انكشف عن لبه الذي يشبه زبرجداً أخضر فالتضرة من صفات الزبرجد لا مطلق جوهر . وقد مر في صفحة ٩٣ قول الصنوبري في تشبيه الفستق (زبرجدة ملفوفة في حريرة الخ) وقول الآخر :

(حق من العاج يحوي زبرجداً في عقيق)

ويصح أن يوضع مكان (زبرجد) (زمرد) فإن الزمرد أيضاً يشبه به الفستق وقد ذكر المصنف في ذلك عدة أبيات

صفحة ١٠٨ سطر ١١ - قوله يصف الموز :

(فيه شراب وغذا يزبل كالماء القذا)

صوابه (يريك) أي إذا كانت في الشراب قذى يريك كما يريك الماء . ويؤيد ما قلنا قول ابن رشيقي بعده :

(ترى القذى العين فيه كما يريها النيد)

صفحة ١١٠ سطر ٦ - قوله في الموز أيضاً :

(كأن عرجونه المشيب أنى يُخبر أن حانه انتقضا عمره)

(حانه) كذا بالخاء المهملة ولا معنى له . وإنما صوابه (خانه) بالخاء المعجمة ومعنى (خانه انتقضا عمره) أن موته أو أجله لم يمهله بل عجل عليه على غير ما يتوقع . يقال : (خانه الأجل) وهو من فصيح الكلام . ولا يخفى أن فعل (حان) بالخاء المهملة فعل لازم غير متعدي إلى مفعول : يقال (حان حينه) أي قرب وقته .

صفحة ١١١ سطر ٥ - قوله في تشبيه النارنج :

(كأنه مستعار الشبه من سفن مذهب أو حياه لونه الشفق)

قوله (سفن) بالتحريك ليس له معنى مناسب هنا . وإنما صوابه (قطن) وطاء القطن تسكن وتضم . فالشاعر يشبه بياض قشر النارنج الشخين تحت قشره الأحمر الرقيق بالقطن الذي لونه لون الذهب أو لون الشفق وتشبيه لب الثمر الأبيض بالقطن

معهود لسيهم: ففي صفحة ٣٢ و صفحة ٣٣ شبه الشاعر المأموني بياض قشر البطيخ المغشى بالخضرة - بعُطِبَ القطن - والعطِب جمع عطبة ، وهي قطعة القطن - وفي صفحة ١٠٢ شبه الشاعر شحم الرمان بالقطن - وغير ذلك كثير .

صفحة ١١١ سطر ٨ - قوله يصف غصون التارنج .

(صوالج من غصون ناعمات غَذَتْهَا دِرَّةُ العيش الانيق)

(الدِرَّة) بكسر الدال سيلان اللبن من الثدي و (الانيق) المعجب - و (العيش) لا معنى له هنا - وانما صوابه (الغيث) اي للمطر ، فهو الذي له دِرَّة تسيل كالتسيل دِرَّة الثدي فتغذي الغصون الناعمة نعومة الاطفال .

صفحة ١١٥ سطر ١٠ - قوله يصف نارنجة : (كالفهر لُفَّت في حزير أصفر) (الفهر) الحجر ولا معنى مناسب له هنا فصوابه (كالعهن) أي الصوف ، وبعضهم لم يشترط في العهن أن يكون ملوثاً بالأصباغ كما هو المشهور في معناه ، ففي اللسان : (وقيل كل عهن صوف) وفي الصحاح عن أبي عبيدة (والعهن الصوف) - وفي صفحة ٩١ سطر ١٠ شبه الشاعر قشرة البندق الجوانية الرقيقة بالصوف الاحمر - وقوله (لُفَّت) بتأنيث الفعل يؤيد ما قلنا أي أن يكون الصواب (العهن) على اعتباره جمعاً لعينه بمعنى القطعة منه - ولا يصح هذا الاعتبار في (الفهر) لانه مفرد مذكر ولا يؤنث ضميره .

صفحة ١٢١ سطر ٩ - قول عبد الصمد بن الممذل يصف أشجار النخل :

(إن هي أبدت زينة المردان لاحت بكافور على إهان)

(الإهان) عراجين النخل وهي زينة زيتها بها الرحمن وهو الله تعالى - فصواب (المردان) إذن (الرحمن) ويؤيده أن أبا هلال العسكري نحا في وصف النخل منحى عبد الصمد ، فقال في الصحيفة التالية سطر ١٢ (وتراءت بزينة الرحمن)

صفحة ١٤٧ سطر ٣ - قوله (فإذا أكل أي العنقود فهو شمراخ) نلاحظ على المؤلف نفسه أننا لم نجد في اللسان ولا التاج ولا غيرهما من كتب اللغة المشهورة أن (الشمراخ) هو العنقود الذي أكل ما عليه من الحب بل الامر بالعكس : فقد قالوا ان الشمراخ هو العنقود الذي عليه بصره أو عنبه - فالعنقود يكون من النخل كما

يكون من الكرم . واذا أكل بعض ما على العنقود فهو (عموش) والعامة في بعض بلاد الشام يجرّونه الى عرموش وفي بعضها الى حشمول .

ص ٢٢٣ س ٥ - قال الشاعر في صفة زهر النيلوفر: (صُفر المذارى تضمها شُرْف) قوله (شرف) بالشين المعجمة والقاء على وزن (غُرْف) لا معنى له وصوابه (مَرَق) بالسين المهملة والقاف بحر كتين جمع (مَرَقَة) وهي الشُعّة من جيد الحرير الابيض . أما تشبيه اوراق الزهر بشقق الحرير الملون فهو كثير في كلامهم :

ففي ص ٢٢٥ س ١١ قول الطغرائي في نيلوفر أيضا :
(مظاهرٌ ثوبٌ جِدادٍ على ثوبٍ يياضٍ علٌّ بالورس)

وفي ص ٢٤٤ س ١١ قوله في وصف حديقة زهر :
(عذراءٌ حبلٌ قُطت أولادها حُمرًا وصُفرًا في الحرير الازرق)

ص ٢٢٣ س ١٦ - قول الطغرائي في النيلوفر :
(ونيلوفر أعناقه ابدأ صُفر كأن به مكرًا وليس به مكر) قوله (صفر) بالفاء . وصوابه (صُفر) بالعين المهملة جمع (أصفر) والصُفر المائل يكون في العنق كما يكون في الخد ومنه قوله تعالى (ولا تصغير خدك للناس) . فالشاعر يقول : ان اعناق زهر النيلوفر مثله دائما ميلان من غلبه السكر وقوله (ابدأ) يؤيد ما قلنا ولو كان من لون الصفرة لما قال ابدأ كما لا يخفى على الاديب .

ص ٢٣٧ س ١٥ قوله :

(كأنما ياسميننا الغضُّ كواكب في السماء تبيض)
نصب (ياسميننا) وصوابه الرفع على الابتداء . وقوله في القافية (تبيض) صوابه (تنقض) لأنه لما شبه زهرات الياسمين بشبه الكواكب ناسب أن يشبه تساقطها من وقت الى آخر بانقضاء تلك الشهب . أما تشبيه الياسمين بالكواكب التي تبيض فتشبيه تافه سقيم

صفحة ٢٤٦ سطر ٥ - قوله في صفة قُضْب الزعفران :

(يَتَنَقَّبْنَ لرجال غدوّاً ثم يسفرن ضحوةً للنساء)

قوله (غدوّاً) صوابه (مساءً) ليقابل قوله بعده (ضحوة) ويؤيده قول الآخر في

صفحة ٢٤٧ سطر ٣ - في الزعفران ايضا

(متقنعات في الدجى فاذا بدا للصبح اسفار سفون خمارها)

فقوله (في الدجى) هو بمعنى (مساء) الذي صححن به (غدوا)

صفحة ٢٥٧ سطر ٥ - قوله في وصف (شعب بوان) : (الذي غدت مغانيه

مغاني للزمان) قوله (مغاني) كذا بالغين المعجمة ولعل الأصوب ان يكون (معاني)

بالغين المهملة جمع (معنى) وهو ما يعنى ويقصد من اللفظ . وكذا (مغاني الشعب)

ومنازل السكان فيه هي معاني للزمان تعنى به وتقصد منه ولولاها لكان الزمان لفظاً مهملًا

لامعني له ولا فائدة تستفاد منه

ويبعد ان يكون اراد بقوله (المغاني) بالغين المعجمة أن يقتبس معنى بيت المتنبي

(مغاني الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الريح من الزمان)

ولو اراده لقال مثلاً (الذي غدت مغانيه بين مغاني الاكوان . بمنزلة الريح من

الزمان) فيكون للاقتباس معنى مفهوم . اما عبارته هذه مع جعل (المغاني) فيها بالغين

معجمة فجاءت مبهمه بحيث اصبح معناها في واد ومعنى بيت المتنبي في واد .

صفحة ٢٦٨ سطر ٩ - قال المعوج الشاعر يصف براعم الزهر ويشبهها بأوعية

الطيب :

(حقائق من النوار منرورة العرى على قطع الياقوت واللؤلؤ الغض)

(فهن على الاغصان احقاق فضة وبالامس كانت مطبقات على الضمض)

قوله (احقاق فضة) فيه حسن تشبيه لكن فيه شيء من التكرار مع قوله في البيت

قبله (حقائق من النوار) على أن هذا لا يضر وإنما الذي يضر رأس المقابلة بين (احقاق

فضة) وبين (مطبقات على الضمض) فهو يقول ان براعم النور كانت بالامس مطبقات

الاجفان على الضمض . أما اليوم فهي على الاغصان احقاق فضة . أيحسن هذا في ذوق

القارئ ؟ أو انه يحكم معي بان قوله (احقاق فضة) محرفة عن (اجفان بقطة) ويكون

المعنى ان البراعم أصبحت اليوم متبقطة مفتحة الاجفان بعد أن كانت بالامس نائمة

مطبقة الاجفان .

من ٢٧٤ سطر ٩ - تكلم على السوسن ووصف جذره وورقه وجره وذكر لها

فوائد طيبة ثم قال (وغيره يطبخ في لخل والعسل الخ) فقله (وغيره) محرف عن (وزهره) أو الاقرب ان يكون محرفا عن (وثمره) لكن بعكس على هذا ان ليس للسوسن ثمر وإنما له زهر فيكون اطلاق الثمر على الزهر من قبيل التسامع أو من قبيل المجاز الا أن يدعي مدع أن هذا الاطلاق مما يعرفه أهل اللسان فليحقق إذن .

صفحة ٢٧٦ سطر ٤ — قوله يصف السوسن :

(حملت سقيطُ الطلّ في ورقاته فكأنه متبسم مستعبر)

ضمير (ورقاته) يرجع الى السوسن (وسقيط الطلّ) ماتساقط في ورقات السوسن من المطر . وسقيط مفرد مذكر ، فكيف آتت فعله وقال (حملت) ؟ فلعل صواب (سقيط الطلّ) (تقاط الطلّ) أو الصواب نصب (سقيط) وتأنيت ضمير (ورقاته) على معنى أن السوسنة حملت قطر المطر في ورقاتها .

صفحة ٢٧٦ سطر ١٢ — قال الشاعر :

يا ربّ سوسنة قتلتها شققاً وما لها غير نشر المسك من ريق
مصفرة الوجه مبيض جوانبها كأنها عاشق في حجر معشوق

جعل نشر المسك أي رائحته الطيبة ريقاً أي لعباً للسوسنة وفي هذا الجمل شيء من تكلف . وكأنه اضطر اليه ليقول في قافية البيت الثاني (كأنها عاشق في حجر معشوق) . ولولا الحسن في هذا الشطر وقافيته لصح لنا ان نقول : إن الصواب في قافية البيت الأول (وما لها غير نشر المسك من طيب) وفي قافية البيت الثاني (كأنها عاشق في حجر محبوب)

صفحة ٢٧٦ سطر ١٥ — قال الشاعر :

(ان كان وجه الريح مبسماً فالسوسن المجتني ثناياه)

ضمير (ثناياه) راجع الى الوجه . ونسبة الثنايا الى الوجه غير مألوف ولا معهود الاستعمال . فصوابه اذن (كأن ثمر الريح مبسماً) ويؤيده ايضاً وصفه بالاجسام ، فانهم يقولون : باسم الثمر لا باسم الوجه .

قال الشاعر يصف آذربونة أطراف أورانها مسدنة :

وكأنما تشريفها من فوقها حبيبٌ بفرج عن رحيقٍ أكتب
 أول ما خطر لي في كلمة (تشريفها) بالفاء أن تكون محرفة عن إحدى كلمات
 ثلاث : تفريضها أو تحزيرها أو تسنيها ، والتفريض في الشيء أن تجعل فيه فروضاً
 وحزوزاً كالسنين أن تجعل فيه أسناناً ؛ ولكن في ذلك كله بُعد . والأقرب أن
 تكون كلمة (تشريفها) محرفة عن (تشرينها) بلم من شرم الشيء إذا شققه ؛ غير
 أنه سيأتي في (ص ٢٨٦ ص ١١ وفي ص ٢٨٩ ص ٨) استعمال مادة التشريف بالفاء
 بمعنى التشريم والتحزير ، فقد قال : (فهو مشرف تشريف المنشار) ، ثم قال في وصف
 الأقحوانة (قد شرفت حول مسمار من الذهب) فكأن (التشريف) بمعنى التشريم
 والتحزير اصطلاح مولد للأدباء أو للنباتيين منهم : فإن ابن البيطار قال في صفة
 ورق نبات السماق (مشرف الأطراف على حياة المنشار) . راجع هامشة صفحة ٣٢٢ رقم ٢
 من تعاليق المصحح الفاضل « ، ولعل استعماله للتشريف جاءهم من شكل شرفات
 قصورهم بل وقصورنا اليوم : فإن هذه الشرفات تصنع أحياناً كثيرة مفردة مسننة
 كهيئة أسنان المنشار مع ملاحظة النسبة في الكبير والصغر ، ثم وأدوا من ذلك كلمة
 تشريف أي تسنين وتحزير . فنحن نُقرُّ كلمة (تشريف) الواردة في أقوال أدبائنا على
 أنها كلمة مولدة لا على أنها من فصيح كلام العرب . وأفصح منها كلمات مسننة ومحززة
 ومشرمة ومخرمة ومفردة ومؤشرة ومنه تأشير الأسنان الذي كان يفعله الحسان .

صفحة ٢٨٥ سطر ١٣ = قال الشاعر :

تأمل فقد شقّ البهار مقاصاً كائمه عن نوره اخضل الندي

وفي أصول نسخ الكتاب (فقد شقّ البهار مقاصاً) من التغليس بدل (مقاصاً)
 وقد قال المصحح إن «مقاصاً» تحريف وصوابه «مقاصاً» ومعنى التغليس التشهير
 قاص نوبه أو ذيله أو كفه إذا شتمه ورفع ؛ فتكون «كائمه» على هذا مفعولاً به
 تنازعه كل من «شق» و «مقاصاً» .

وأنا أرى أن «مقاصاً» صحيحة المعنى ولا علاقة لها بقوله «كائمه» ، ويكون
 المراد أن البهار شقّ كائمه عن نوره مبكراً جداً قبل أن ينبليج الصباح ، والتغليس

شائع الاستعمال في « زَهْرِيَّات » الشعر ، من ذلك قصيدة البحري الرائية ومطلعها :
 أَلَمْ تَرَ تَغْلِيَسُ الرِّيحَ لِلْبَكْرِ وَمَا حَاكَ مِنْ نَسِجِ الرِّياضِ الْمُنَشَّرِ
 ثم إن في قول الشاعر « كَلَّمَهُ » نظراً : وَلَعَلَّ الصَّوَابَ « أَكَلَّمَهُ » غني كُتِبَ اللغة
 الكَمَّ والكَامَ بكسر الكاف فيهما غطاء النور ، ويقال في الجمع أَكَلَّمَ وَأَكَامَ وَكَامَ
 وَأَكَامِمَ ، ولم يقولوا كَلَّمْ ، على أن القواعد لا تأبى أن تكون كَلَّمْ جمع كَامَ كشائِلَ
 في جمع شِمَال .

والحاصل إنه لا حاجة إلى تصحيح ، فحسباً بمقلصاً ما دام التغليس واقعاً موقعه من
 الفصاحة والحسن وموافقاً لساليب البلغاء ولا سيما أنه مثبت في أصول الكتاب .

المصري

عبد الحميد الكاتب

حل النظم

أضيف إلى حديث (حل النظم) في مقالة (سيفيات المتنبي) هذا الخبر ، وهو في
 (صبح الأعشى) نقلاً عن كتاب (الريمان والريمان) :
 « وأول من فك رقاب الشعر ، وصرح مقبده إلى النثر عبد الحميد الأكبر
 كاتب بني أمية إلى انقضاء خلافتهم » .
 وفي تلك المقالة : (سيفيات المتنبي) في الصفحة (٣٤٢) في السطر (١٠) :
 « المنخرط في دموعه » صوابه « المستخرط في دموعه » ففي (اللسان) و (القاموس) :
 « استخرط الرجل في البكاء لج فيه واشتد » . وفي الصفحة (٣٤٨) في السطر (٨)
 « وكل دم لم تحصنه ظباك » صوابه « وكل دم لم تحصنه ظباك » .

محمد اسحاق السائبي

آراء وأفكار

كتاب كريم

بين فاضلين من أعضاء المجمع العلمي

جاء في جريدة (الاهرام) ما يأتي :

أرسل فضيلة العالم الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار عالم الشام الى
حضرة الأديب الكبير محمد إسماعيل النشاشيبي بالكتاب الآتي :

حيا الله أديب العرب ، وحجة الأدب ، الأستاذ محمد إسماعيل النشاشيبي على ما يتحفظنا
به المرة بعد المرة من كتاب بعد كتاب ، كتب فيها آيات ينات على حبه للعروبة الواسخ
وغيرته على الإسلام الصحيح ، وتجديده للأدب الحق ، وتقديره لأولي الجد والعزم
في خدمة الأمة . وهذا كتابه (مقام إبراهيم) من شواهد الصدق على ما أقول ، فقد
وفى فيه لصديقه الزعيم المجاهد الكريم إبراهيم هنانو (رحمه الله تعالى) ، ووصف لنا
فيه جهاده المشكور ، ومقامه في العاملين أحسن وصف ، وصورة لنا أبلغ تصوير ،
فأذكرنا لدس تلاته بأسلوبه العربي الفرائي بقوله سبحانه : « وتلك حجتنا آتيناها
إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ، إن ربك عليم حكيم » « سلام على
إبراهيم ، كذلك نجزي المحسنين » وتحية مباركة طيبة لك أيها الأستاذ الكريم ، المجدد
لأسلوب الكتاب الحكيم ، سلام عليك في الآخريين « إنا لا نضيع أجر المصلحين » .

محمد بهجة البيطار

جمعية طلبة شمال افريقية المسلمين

والثقافة العربية

إن النهضة الادبية الحديثة التي امتدت جذورها الطيبة في عالم اللغة العربية قد عمت أقطاره وأقاليمه حتى بلغت بلاد الجزائر التي ظلت زمناً طويلاً بعيدة عن كل حركة أدبية وحتى راحت تونس ومراكش تسابقان مصر وسورية والعراق في مضمار خدمة اللغة العربية ، ومما يبعث الامل في النفوس ان الحركة اخذت شكلاً منظماً له اسس ونظمات ، فالجمعيات الثقافية التي تنتشر هنا وهناك تعمل بعزيمة صادقة على تثقيف الامة العربية ثقافة عربية خالصة ، دعائها العلم ومادتها الفكر ، واسطتها التحليل والتنسيق .

تلك هي غاية جمعية طلبة شمال افريقية المسلمين التي لم يمض وقت وجيز على انشائها حتى وضعت هذه الغاية موضع التنفيذ والتطبيق ، فمن اجتماع بسيط في شارع صان جرومان في باريس عام ١٩٢٧ كانت الغاية منه توحيد كلمة طلاب الشمال الافريقي في فرنسا تهديها الثقافة العربية ، رابناها توفيق سنة ١٩٣٤ الى عقد مؤتمر عام في باريس تناول البحث فيه اموراً ليس ابعدها غوراً واكبر قدراً ومنها تحسين حالة التعليم في الغرب بصورة عامة وتعليم العربية بالجزائر بصورة خاصة مع الموافقة على النظام الجديد لجامعة الزيتونة والقرويين ، وتلك أمور لعمرى تركيز عليها حياة بلاد المغرب العربية ، وقد بحث المؤتمر فيها بحثاً موفقاً ، وأعد الوسائل لنجاحها .

ثم عادت الجمعية بعد المؤتمر الى ما شرعت فيه ناشطة الى تحقيق ما يمكنها تحقيقه وتهيئة السبيل الى تطبيق الفكرة العامة والاسس التي جهزها المؤتمر لها ، والطريق التي تتبعها لذلك مستقيمة صالحة ، فهل أقوم للآراء من احتكاك بعضها ببعض ، احتكاكاً لنا مباشراً صادقاً ؟ وهل أصلح لها من درس الامور للهمة درساً متبراً علمياً ؟ وهل أوثق من تعميم نتائج البحث ونشرها لتكون مثلاً يحتذى وواسطة نتخذ ؟

هذا ما وصلت إليه جمعية طلبة شمال افريقية بتأسيسها نادياً عاماً لطلاب الشمال الافريقي يجتمع فيه أعضاؤها صباحاً ومساءً اجتماعاً ودياً أخوياً علمياً ، نتقرب فيه الأفكار بعضها من بعض وتجد واسطة للتعبير عن مداها وإحداث صدى لها ، وباجتماع اسبوعي مساء الاثنين لسماع محاضرة من أحد الاعضاء في اختصاصه أعدها بعد طول النظر وكثرة البحث ، موضوعها غالباً حالة البلاد المغربية وعلاج تلك الحال . وباجتماع شهري عام ينظر فيه الى ما فعلته الجمعية خلال الشهر من الاعمال وما اعتدى اليه أعضاؤها من أفكار ونظم جديدة ، ويتمهد السبيل إلى عقد مؤتمر عام تنشر فيه هذه الافكار ويعمد إلى تطبيقها ، تلك غايتها وتلك طريقته ، أضف اليهما الدروس العربية التي يلقىها من الاعضاء الضايح من اللغة العربية على إخوانه الذين لم يدرسوها درساً جيداً ، وأضف ايضاً ما تقدمه الجمعية لأعضائها من مطعم رخصت اسعاره وطاب ، ومن رحلات وجولات في مختلف انحاء فرنسة ومن اتصال دائم بمختلف طلاب العرب في فرنسة .

وخلاصة القول ان الثقافة العربية وجدت في المغرب العربي من الشباب اقبالاً عظيماً منتظماً ومدرباً وهم أولئك الذين يتلقون في اوربة حب العلم مع العلم نفسه بأنهم هم الذين يقطعون العهود على أنفسهم في تلك الجمعية بنشر الثقافة العربية ونعيمها ولكن أية ثقافة : ثقافة رايدة ناضجة ، ثرقي العلمي فيها أثر كبير وللمناهج الحديثة فيها أعظم نصيب .

يوسف العتي



مطبوعات حديثة

كتاب علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣
وشرحه التقييد والايضاح للحافظ العراقي المتوفى سنة ٨٠٦ وتعليقات عليه
في الذيل لناشر الكتاين الأستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ الحلبي ص ٤٣١
طبعها وصححها محمد راغب الطباخ مؤلف التاريخ الكبير (إعلام النبلاء
بتاريخ حلب الشهباء) سنة ١٣٥٠ هـ و ١٩٣١ م .

اشتهرت مقدمة الامام عثمان المعروف بابن الصلاح في علوم الحديث ، كما اشتهرت
مقدمة الامام عبد الرحمن بن خلدون في التاريخ ، فقد تكررت طبعها في الهند ومصر ،
وتناولتها أيدي محبي السنة وانصارها ، حتى نفذت نسخها ، ولكن هذه الطبعة التي عني
بها صديقنا العلامة الشيخ محمد راغب الطباخ الحلبي أحد أعضاء المجمع العلمي العربي ،
قد امتازت بأمور (منها) معارضتها قبل الطبع بكثير من النسخ المخررة المقروءة على
أئمة الحديث في عصورهم ، وعليها سماعاتهم وتواقيعهم ، (ومنها) أنه طبع مع الكتاب
شرحه المسمى التقييد والايضاح ، لما أطلق وأغلق من مقدمة ابن الصلاح ، (أي انه
قيد مطلقها وفتح مغلقها كما قال ، وناميك بالحافظ العراقي وسعة علمه في الحديث ،
ووقوفه على حقائق فنونه ودقائقها ، (ومنها) تعليقات الاستاذ الطباخ التي سماها المصباح
على مقدمة ابن الصلاح ، فقد جمع ابن الصلاح رحمه الله خمسة وستين نوعاً من علوم
الحديث ، وشرحها الحافظ العراقي ، ولكنه أحمل الكتابة على تسعة عشر نوعاً منها ،
فأوضحها الأستاذ الناشر بتعليقاته عليها ، وأنشأ تعليقات لطيفة على غيرها أيضاً ،
فجاء الكتاب تاماً وافياً . (ولعله في الطبعة الثانية يستغني عن اثبات همزات الوصل
إن شاء الله) .

وقد قدم له الاستاذ الناشر مقدمة وصف فيها مقدمة ابن الصلاح وشرح الزين

العراقي لها ، والنسخ الخطية التي ظفرت بها في خزانات الكتب الخلية وغيرها ، وكيف عارضها بها وصححها عليها . ثم أضاف الى الكتاب ترجمة الامام ابي عمرو بن الصلاح والحافظ زين الدين العراقي ، فجاء الكتاب في نحو اربعمئة وثلاثين صفحة بالقطع الكبير . ومن ذلك كله تعلم جهود الأستاذ التي بذلها في هذه السبيل ، حتى يبرز الكتاب بهذا الشكل الجليل ، فجزي المولى المؤلف والشارح والناشر أفضل الجزاء ، ونفع بهذا الكتاب عشاق الحديث وفنونه ، فهو من أنفس ما يقتنى .

محمد بهجة السطار

رسالة في الكتابة العربية المتقنة

وضعها الاب أنستاس ماري الكرملّي - توصلًا إلى القراءة العربية

بلا ضبط الفاظها وتسهيلًا لها على الاميين

طبعت هذه الرسالة المفيدة في بغداد بروامم (كليشات) كتب أصولها عبدالرزاق ابن محمد الحاج فليح البغدادي ، وتألف من خمس وعشرين صفحة .

لا يزال حضرة العلامة الاب انستاس يطلع على الناس من حين إلى حين بكل تحقيق ، وببحث متعمق دقيق ، فكتب هذه الرسالة لتسهيل الخط العربي وضبطه ، فبدأها بلحمة في تغيير الحروف ، عززها بكلمة في قصور الحروف العربية الحالية عن تأدية اللفظ حق التأدية ، ثم بحث عن نقص عظيم في خطنا ، وهو الذي يجعل تعلم لغتنا بعيد المنال عسيراً ، أعني به عدم وضع علامات الضبط والحركات على حروفنا ، فتحتمل الكلمة الواحدة قراءات مختلفة أو أوجهًا كثيرة . فقد نقرأ الكلمة المركبة من حرفين مثل (رب) على احد وعشرين وجهاً ، والمؤلفة من ثلاثة احرف مثل (ربط) نقرأ على ٢٧٣ وجهاً ، بخلاف الحروف اللاتينية التي لا نقرأ بوجه الاجمال إلا بالصورة التي صورت بها ، وذلك لانك إذا رسمت الكلمة ، رسمت معها الحروف المصوتة او حروف العلة فيتعلمها القارئ العربي بسهولة ، والعربي يقضي السنين الطوال قبل انقان القراءة ، ولذا قال اديب عربي كبير : يدرس العربي احكام اللغة العربية ليتعلم القراءة ، ويقرأ الاجانب ليتعلموا العلوم .

ونتلخص طريقة حضرة آلاب العلامة بالأخذ بشيئين :
 الاول : ادخال حروف جديدة من صحيحة ومعتلة على ابجديتنا ، وهي الحروف
 الموجودة في لغات الغرب لتصوير بها اعلامهم والفاظهم تصويراً صحيحاً
 والثاني جعل حركات الفبط والنطق التام في اثناء الكلمة لا خارجاً عنها من فوق
 أو من تحت .

ونرى ان المؤلف قد أحسن صنعاً في اقتباس الحروف التي ادخلها الفرس والترك
 والكرد والهنود في رسم كلماتهم ، وذلك لانها قد عمت عالم الادب وأصبحت مأنوسة
 لمشاكلتها الحروفنا ، ولكثرة ما وقعت عليها عيوننا ، وهي خمسة أحرف : الباء والجيم
 والزاي والفاء والكاف ، ولكل منها ثلاث نقط .

واما الذي أحدثه فهو تصوير الحركات العربية والاجنبية ، ويرى ادماجها في
 سياق الكلمة نفسها ، وان تكتب بعد الحرف الصحيح ، لان الحركة فرع ، والفرع
 يأتي بعد الاصل ولا تكتب فوقها ولا تحتها .

اما الحركات الاصلية الثلاث فقد ابقاها على حالها وصورها بأحرف فوضع للضمة
 علامة تشبه رسم السبعة العربية وطرفاها متجهان نحو يسار الكاتب ، وإذا اتجه الطرفان
 منها الى فوق كانت فتحة ، وإذا اتجها الى أسفل كانت كسرة ، واشبهت الثانية .

ولما الحركات الاجنبية او الحروف المعتلة فقد صور حروف O الفرنسي بواو قلب
 طرفه الدقيق الى فوق ، وحرف u بواو مقلوبة الطرف الى اسفل ، وصور e وهو الف
 الامالة في العربية بألف تحتها نقطتان ؛ واما حرف e وهو حركة قصيرة تكاد تكون
 سكوتاً او (الاشمام) بلغتنا فقد صورته بالرقم سبعة وطرفاه متجهان نحو يمين الكاتب .

ان اهتمام علماء العربية بهذا الموضوع الخطير مما يبشر بقرب الساعة التي نتم فيها
 الكتابة العربية ، فمن اهتم به العلامة الشيخ طاهر الجزائري والشيخ ابراهيم اليازجي
 ونرى ان هذا الشأن مما يجب على المجمعين اللغويين في دمشق ومصر أن يأخذوا فيه
 برأي الخطاطين صيانة لنمط الخط العربي ورشاقته وليسهل صوغ (صب) حروفه ، وهي
 قريبة الشبه من الحروف العربية .

التوصي

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

العدد ١٣٣٩ : هذا الموافق سنة ١٩٢١ م

تشرين الأول مرة في الشهر

تشرين الثاني و كانون الأول سنة ١٩٣٦ م

شعبان ورمضان سنة ١٣٥٥ هـ

دمشق :

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية و لبنان ١٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً { وفي جميع الاقطار ٤٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

من السنة الاولى	٦	ثمان السادسة الى كل سنة منها	في الداخل ٢٥٠
السابعة الى الثانية عشرة	٤		٢٠٠
الاولى الى السادسة	٤		في الخارج ٤٠٠
السابعة الى الثالثة عشرة	٤		٢٢٥

عبد الحميد الكاتب

لم يكن للرسائل قبل عبد الحميد الكاتب حدود معينة ولا قواعد مرسومة يلتزمها الكتاب ؛ بل كان الكاتب يعتمد على سجيته وفصاحته ومسا فطر عليه من البلاغة واكتسبه بالممارسة من البيان . فلما نبغ عبد الحميد وتولى الكتابة في الدولة الأموية ، شرع للكتابة رسوماً والتزم فيها أموراً لم تكن معهودة من قبله ، فاستحسنها الناس ولزم الكتاب طريقته حتى قيل (بدئت الكتابة بعبد الحميد) ، ويعنون بذلك كتابة الرسائل التي تصدر عن ديوان الدولة ، فهو زعيم الأدب الرسمي — إن صح هذا التعبير — وإليه يرجع الفضل في جعل أسلوب الكتابة في الدولة أسلوباً أدبياً عالياً جرت على سنته الدولة العباسية والدول التي استقلت عنها في الشرق والغرب ، حتى تميز تاريخ الأدب العربي بهذا النوع من الأدب الذي يمكن أن نطلق عليه الأدب الرسمي .

التزم عبد الحميد في ذلك النوع من الرسائل التمهيد للموضوع . بصور مختلفة تناسب المقام ينتهي منها إلى المقصود بمناسبات وثيقة ، والتزم الإفاضة في تعظيم شأن الخليفة وإعلاء أمر الخلافة بالإسهاب والترادف والاستقصاء والتزهيل كما التزم البسط في الأمر الذي أنشئت الرسالة من أجله ، فعالج بقوة البرهان وسحر البيان ، حتى إذا انتصف منه ختم الرسالة بخاتمة تشعر بالانتهاء ، كل ذلك بألفاظ جزلة وتراكيب رصينة تشا كل جلال الخلافة وتلائم عظمة السلطان .

وقد زعم أبو هلال العسكري في كتابيه « الصنائع » و « ديوان المعاني » أن عبد الحميد اقتبس طريقته عن الفرس . فقال : (إن عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة

الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي فحوطها الى اللسان العربي (الصناعتين من ٥١ ودهولان المعاني ج ٢ ص ٨٩) . ولا يمكن القطع بصحة هذا القول لأنه لم يبق من الرسائل الفارسية القديمة شيء يمكن أن يقابل بما بقي من آثار عبد الحميد ، ومهما يكن فإن الأمانة المتجلية على رسائله من حيث التمهيد والتقسيم وحسن الترتيب واستقصاء المعنى ورصف الجمل ومرادفتها بنمذ أسلوبه عن تقدمه من الكتاب .

جمع عبد الحميد جميع مؤهلات الكتابة الفطرية والكسبية ، فهو دقيق الملاحظة عميق التفكير بعيد النظر دقيق الحس رقيق الطبع أديب النفس ، مارس العلم والادب طويلاً ، لأنه كان في أول أمره معلماً للصبيان ، ثم اتصل ببحثه سالم مولى هشام بن عبد الملك وكتبه وأحد باماء الكتاب والنقلة من اليونانية ، فأخذ عنه الكتابة وتخرج به ، ولا شك أنه نال أوفر قسط من ثقافة زمانه ، فقد تأدب بالقرآن والحديث وروى شعر العرب وكلام بلغاتهم وخطبائهم وحقق العربية وأيام العرب والعجم ، وألم بالفقه والحساب ، وكان يعرف الفارسية ، قال ابن خلكان : « كان عبد الحميد في الكتابة وفي كل فن من العلم والادب إماماً » ، وقال ابن عساكر في التاريخ الكبير : « حدث عبد الحميد عن سالم مولى هشام وحدث عن عبد الحميد خالد ابن برمك » ، وقيل لعبد الحميد : ما الذي ممكنك من البلاغة فقال : « حفظ كلام الأئمة » يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقال في رسالته الى الكتاب فيما يجب على الكاتب : « ... قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحكمة وإن لم يحكمة أخذ منه بمقدار ما يكتفي به ... » ، وقال فيها أيضاً : « فتناقصوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب ، وتفهّموا في الدين ، وابدؤوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ، ثم العربية فإنها ثقل السنتكم ، ثم أجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم ، وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها ، فإن ذلك معين لكم على ما تنسّموا به ممسك ، ولا تضعوا انظروا في الحساب فإنه قولم كتاب الخراج ... » أضف الى ذلك عمل عبد الحميد الذي يقتضيه كثرة الإنشاء والمران على الكتابة وما

مر عليه من التجارب والاحداث التي فسحت له ميدان الموضوعات وزادته دُرّة
وحكمة في الصنعة قال أحمد بن يوسف : « رسائل عبد الحميد الفاظ محكمة وتجارب
محكمة . »

وأسلوب عبد الحميد نمط عال في جزالة لفظه وحسن تأديته والانتصاف من المعنى
بما لا يضرب عليه ، فكان لغة العرب جمعت في صدره يختار منها ما يشاء ، أضف
إلى ذلك طبعاً فياضاً ونقياً طويلاً وفكراً ثاقباً وعقلاً راجحاً ، فإذا أراد الإسهاب
— وكثيراً ما يسهب — أتى بما لا يخطر على بال ولا يحول في خاطر ، كقوله من
رسالة له في الفتنة : « . . . في الخلاف والمعوية ذهاب كل نعمة ، وتفرق كل كرامة ،
ومحق كل قنية ، وهلاك كل سلامة ، وإفقة ، وموت كل عز وقوة ، والدعاء بكل بلية ،
ومقارفة كل ضلالة ، واتباع كل جهالة ، وإحياء كل بدعة ، وإماتة كل سنة ، وإجلاب
كل ضرر على الأمة ، وإدبار كل منفعة ، والعمل بكل جور وباطل ، وفناء كل حق ،
وبمعصية خليفة الله لا يزال رجل من المسلمين يضرب بسيفه الذي يديه سيف أخيه الذي
كان يعتمد عليه ، ويوهن عضده ، ويهدم حصنه ، ويقل عدده ، ويهلك ثروته ، ويعطب
من يدعوهُ ، ويفزع إليه ، ويكثر بمكانه . . . الخ » مجلة المجمع العلمي ج ٩ ص ٥٢٩
ولا أعرف من يشاركه في هذه الزبّة إلا الجاحظ . وقد قيل إن الكتاب الذي كتبه
عبد الحميد عن مروان بن محمد إلى أبي مسلم الخراساني لما قام بدعوة بني العباس كان حمل
جمل . وأما استقصاء الوصف ودقة التصوير فالتسمها في رسالته التي يصف بها
خروجه للصيد فهي فريدة في بابها تجعل السمع بصراً منها قوله : « فإذا نحن برحلة
من ضياء : وخلفه آرام يرتعن آفات ، قد أحالتن الضبابة عن شخصنا ، وأذهلن
أنيق الرياض عن استماع حسن ، فلم نتج إلا والضواري لأثمة لمن بعد الغاية ،
ومنتهى نظر الشاخص ، ثم مدت الجوارح أجنحتها ، واجتذبت الضواري مقاديرها ،
فأمزت بإرسالها على الثقة بمحضرها ، ومرعة الجوارح في طلبها ، فمرت تحف حفيف
الريح عند هبوبها ، تسف الأرض سفاً ، كاشفة عن آثارها ، طالبة خياريها ، حارشة
بأظفرها ، قد مرتتها تمزق الريح الجراد ، فن صائح بها وناعر ، وهائف بها وناعق ،

يدعو الكلب باسمه ، ويفديه بأبيه وأمه ، وراكض تحت مفرة ، وخافق يطلبه الرمح ، وطامع بمنعه ، وسانع قد عارضه بارح ، قد حيرتنا الكثرة ، وألهجتنا القدرة ، حتى امتلأت أيدينا من صنوف الصيد ، والله للنعم الوهاب . » والرسالة من أولها إلى آخرها على هذا النمط ؛ على أنه إذا حاول الایجاز أتى منه بالمعجز كالرسالة التي كتبها إلى عامل أهدى إلى الخليفة عبداً أسود وهي : « لو وجدت لوناً شراً من السواد ، وعدداً أقل من الواحد ، لا هديته والسلام . » وكما كتب موصياً بشخص : « حق موصل كتابي إليك ، كحقه علي ، إذ جعلك موضعاً لأمه ، ورآني أهلاً لحاجته ، وقد أنجزت حاجته ، فصدق أمه » وهكذا فهو يتصرف كيف يشاء ، ويمجود في كل حال ولا يتيسر ذلك إلا للكاتب الموهوب .

والقرآن والثقافة الإسلامية أثر ظاهر في رسائل عبد الحميد فإنه يستشهد بالآيات ويستعين بمعانيها وألفاظها كقوله في الضحاك الخارجي : « . . . يدعو إلى المعصية والفرقة ، والمروق من دين الله إلى الفتنة ، بغير هدى من الله ولا بيان ، ساء ما كتب له بداء ، وما الله بظلام للعبيد ، وساء ما سوت له نفسه الأماراة بالسوء ، والله من ورائه بالرصاد ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » ، وكقوله في فتنة بعض العمال : « . . . إلى نزل من حميم ، وتصلية جحيم . . . » وكذلك الله بفعل الظالمين ، ويستدرجهم من حيث لا يعلمون » .

أما الروح الإسلامية فإنها أقوى عنصر في أدبه ، فحمد الله والصلاة على نبيه بصور شتى والاختذ بأدب السنة والوقوف عند حدود الدين والتوكل على الله وتفويض الأمر إليه والانتثار بأوامر الشريعة والإكثار من استعمال المصطلحات الإسلامية كالربوبية والوحدانية والفردانية واللاهوتية والرسالة والنبوة والخلافة والإيمان والكفر والجهاد أكثر من أن تحصى في رسائله كقوله : « الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه ، وارفضاه ديناً للملائكته وأهل طاعته من عباده ، وجعله رحمة وكرامة ، ونجاة وسعادة ، لمن هدى به من خلقه ، وأكرمهم وفضلهم ، وجعلهم بما أنعم عليهم من أولياته المقربين ،

وحزبه الغالبين ، وجنده للتصويرين ، وتوكل لهم بالظهور والفلج ، وقضي لهم بالعلو
 والتمكين ، وجعل من خالفه وعزب عنه وابغى سبيل غيره أعداءه الأقلين ،
 وأولياء الشيطان الأخسرين ، وأهل الضلالة الأسفلين ، مع ما عليهم في دنياهم من
 الدل والصغار فاعجل لهم فيها من الخذلان والانتقام ، الى ما أعد لهم في آخرتهم من
 الخزي والهوان المقيم ، والمذاب الاليم ، إنه عزيز ذو انتقام » ومثل ذلك كثير .

وفصاحة الفاظه وجزالة تراكيبه ثمرة سعة روايته لأدب العرب وبلغاء الإسلام
 شعراً وثوراً ، قال القلقشندي في صبح الاعشى في فصل حل الشعر ج ١ ص ٢٨٢ :
 « قال صاحب الرمان والريمان : وأول من فك رقاب الشعر وصريح مقيدته الى الشعر
 عبد الحميد الاكبر كاتب بني أمية » ، ومن أراد أن يتصور عبد الحميد في صنعته وبيانه ،
 ورجاحة عقله ونفوذ بصره ، وإحاطته بالمواضيع التي يعالجها من كل نواحيها ، فليرجع
 الى الرسالة التي كتبها عن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية الى ولي العهد عبد الله بن
 مروان حين أرسله لقتال الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي ، فإنه في هذه الرسالة
 رجل من رجال الدولة مضطلع بأعباء السياسة الشرعية والمدنية العسكرية ، داهية
 بعيد النظر صحيح التفكير ، محنك أحكمته التجارب ، بصير يرسم الخطط ، عالم بالنفس
 والاخلاق ، عارف بطبقات المجتمع ، مطلع على ضروب الحياة الاجتماعية . والرسالة
 ضافية الذيل تقع في ثلاثين صفحة كبيرة يذكر في أولها عناية الخليفة بولي عهده ،
 واهتمامه بإرشاده ، على ما انصف به من الخصال الحميدة ، ولكن تقديم العظة والتذكير
 سنة حسنة ، وبأسره بشكر الله في كل صباح ، وتلاوة جزء من القرآن ، ومجاهدة
 الهوى ، ومعالجة الأمور بالقصد ، ومدارة الجند بالإحسان ، وكتان السر ، ومداداة
 الحقد بالانصاف ، وتذليل النفس بالعدل ، وتقويم الأود ، والبعد عن العجب ، والرفق
 والاناء ، والحلم الى كثير من محاسن الخلال . ويأمره أن يتخذ بطاقته من أهل الفقه
 والورع المجربين المحنكين ، وباصطناع الرصانة والوقار في مجلسه والبعد عن الهزل ،
 وليكن بعيداً عن الصلف والتهيه في موكبه ، وأن لا يسمع سعاية متهم ، ويرسم له
 أدب مقابلة الوفود ، وأن يتزهد عن سماع الغيبة وعن الخفة في حالي السرور والغضب ،
 ثم يذكر ما يجب أن يستعين به عند لقاء العدو من تقوى الله والتوكل عليه واجتناب

تعطيل حدوده ، وتعدي شرائعه ، وأن يثق بنصره ، وبوصيه بتعهد جنده ، وكف آذام
عمن يرون به من أهل الذمة والملة ، وبطاعة الله في جهاد العدو ، ويذكر له أن الظفر مع
سلامة الجند أعم منفعة منه مع اقتحام الاخطار ، وبوصيه بأن يبدأ بدعاء العدو الى
الطاعة وتأمين اللاجئين ، والوفاء بالعهد ، وبإذكاء العيون وتعرف أحوال العدو وعدم
الاستخفاف به ، وبوصيه باختيار قواده وقضاة جنده ، وأن يتمرر خيل الجند وسلاحهم ،
وأن يتولى عرض الجند بنفسه ، وأن يهتم بإطاعة الجنود لقوادهم ، وأن يكون القواد رقيقين
بالجنود ، إلا من بفر من الجهاد ، وبوصيه بالالتزام بالترتيب في تقسيم الجيش واليقظة في
اختيار منازلهم والإشراف عليه حين مسيره ، وترتيب الحرس في الليل والنهار ، ورباطة
الجأش في حالة الحرب ، وجعل الجيش تام العدة مستعداً للقتال ، وبوصيه باختيار
أمين لخزائنه كما بوصيه بالاخذ بالمكيدة ، واستدراج العدو بالترغيب والترهيب ،
والقاء الإحن بين رؤساء الأعداء وقادتهم ، وبوصيه باتخاذ الوعاظ في الجيش يحضون
الجنود على القتال ، ويصفون لهم منازل الشهداء وثوابهم .

وهكذا فهي دستور لم يغادر صغيرة ولا كبيرة مما يتعلق بشؤون القائد الخاصة
والعامة إلا أحصاها على سبيل البسط والإطناب والتقصي باستعمال المترادف والاكتثار
من التمثيل واستقصاء المعنى الى آخر حد كيلا يبتغى غموض ولا إيهام في الخطط التي
رسمها لولي العهد في كل شؤونه في مهمته التي عهد بها إليه ملتزماً في كل ذاك صحة
التقسيم وحسن الترتيب ، بلغة جزلة لا تضيق بشيء من معاني الرسالة الكثيرة
وأوضاعها الرسمية فهي في الحقيقة مثال عال للادب الرسمي .

لئن دلت رسائل عبد الحميد الدبوانية على رجاحة عقله وبعد نظره في السياسة فإن
من رسائله الخاصة ما يدل على نفس حساسة وعاطفة رقيقة وأخلاق كريمة ، من ذلك
رسالة كتبها الى أخ له يصف سروره بأول مولود ولد له جاء فيها : « ... فإذا نظرت
الى شخصه تحرك بي وجددي ، وظهر به سروري ، وتعطف عليه مني أنسة الولد ، وتولت
عني به وحشة الوحدة ، فأنا به جذل في مغربي ومشهدي ، أحاول من جنده يدي

سيف الظلم ، وتارة أعاقه وأرشفه ، ليس يعدله عندي عظيما الفوائد ولا منفسات
الرغائب ، ومن ذلك رسالة في وصف الإخاء جاء فيها : « . . . أحرز حصن ،
وأحصف جنة ، وأعور ظهير ، وأبقى ذخيرة ، وأعظم فائدة ، وأشرف كنز ، وأنجز
صنيعة ، وآتى منظر ، وأبنع زهرة ، أكثر الأشياء ريباً ، وأنماها وصلاً ، وأمدّها
سبباً ، وأقواها أيداً ، وأحلاها ذوقاً ، وأدعمها ثباتاً ، وأرساها ركناً . . . غير منان
النصرة ، ولا يزيح التعب ، يرى تعب شتاء ، ونصبه دعة ، وكلفه فائدة ، وعمله مقصراً ،
وسعيه مفرطاً ، واجتهاده مضيقاً ، عدل الولد في برة ، والوالد في شفقة ، والأخ في
نصرته ، والجار في حفظه ، والدخري في ملكه ، فأين المعدل عن مثله ، أو كيف
الإصابة لشبهه ، وأنى عوض من فقد ، جمعنا الله وإياك على طاعته ، وألفنا بمجابه ،
وجعل إخوتنا في ذاته » .

وهكذا فبعد الحميد استوفى مزايَا الكاتب الطبيعية والكسبية ، ولا سيما لم تلزم
صفة الكاتب أحداً من الكتاب كما لزم عبد الحميد ، فلم يقولوا ابن المقفع الكاتب ،
ولا عمرو بن مسعدة الكاتب ، ولا ابن الزيات الكاتب ، ولكنهم يقولون دائماً
عبد الحميد الكاتب .

هليل مردوم بك

عضو المجمع العلمي العربي

ثقافة المتنبي ومصادرها^(١)

في فاتحة القرن الرابع للهجرة ولد أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي في الكوفة وفيها نشأ وترعرع وشب ، وفيها تعلم وثقف ، وفيها انبجست قريحته بالشعر ، فجوده وأحكمه ، وفيها بلغ درجة الشعراء المفلحين .

ثم شاء القدر أن تنبؤ به وأن يمتويناها ، فأجمع أمره على مفارقتها وضم جراحه إليه ، ثم سار منها إلى بلاد الشام ، فوضع فيها عصي الحاضر المتخيم ، وفيها غزى أده وحصف عقله ، وظهرت مقلدات شعره ، فسطع نجمه ، وذاع صيته ، حتى ملأ الدنيا وشغل الناس .

وقد رزق أبو الطيب السعادة التامة في شعره ، وكتب له من الرواج في أيها الملوك والأمراء والوزراء وأعيان الأمة ورجالات العلم والأدب ما لم يكتب لغيره ، ونال شعره من سرعة الشيوخ والانتشار في القاصية والدانية ما لم ينله شعر آخر ، حتى سارت به الركبان ، وأنست به السمار ، وعمرت مجالس العلم والأدب .

وطمع كثير من الطامعين في الشهرة الطامعين إلى الخلود أن يتخلد ذكركم في شعره الخالد ، واستدعوه إلى قصورهم ومقار عظمتهم وسلطانهم ، وبدلوا له في سبيل ذلك أموالاً عظيمة ، ومنهم من وعده أن يشاطره ماله ويغمره بالهبات والأعطيات ، فلبى فريقاً وترفع عن إجابة آخرين .

(١) هذه كلمة في ثقافة المتنبي ومصادرها ، أُلقيت مختصرة في حفلة مهرجان للنتبي

التي أقيمت في مدرج الجامعة في يوم ٢٩ تموز سنة ١٩٣٦ .

وحسده الناس على فضله وأدبه وتفسروا على مدحيه مدحه و أكثر منتقدوه وعائبوه من حساءه وعن ترفع عن مدحهم ومن أشياهم ، وفي مقدمة هؤلاء الصاحب بن عباد في فارس والوزير المهلب في بغداد وأبو الفضل بن خنزابة في مصر ، فإت هؤلاء لم يدخروا وسعاً في الكيد له ، وإثارة الشعراء والعلماء والملوك عليه ، والبحث والتنقيب عن مساوئه هم وأشياهم .

وتوفر العلماء والأدباء على دراسة شعره ، ورأى فريق منهم الحق في جانبه فتولى الانتصار له والرد على خصومه الذين أرادوا أن يطمسوا نجوم السماء بأكفهم وبطفثوا نور الله بأفواههم ، فظهر من هذا وذاك ما كان في كلامه من الآيات للعجزة والروائع الباهرة ، واطلع عليها من قصر فهمه عن إدراكها ، فازدادوا إعجاباً بأدبه وحسداً لفضله ونقياً عن مساوئه ومثالبه ، وازداد الآخرون إظهاراً لمحاسنه ومناقبه .

وقلما وجد الباحث ناحية من نواحي هذا الشاعر الفذ ، إلا وقد قتلها العلماء بجنا وأشبعوها تمحيصاً وتحقيقاً ، ما خلا ثقافته ومصادرها فإن حظهما من ذلك قليل عند المتقدمين وأقل من القليل عند المتأخرين ، لا ينفع غلة ولا يشفي علة ، وهو على قلته محفوف من الغموض والشكوك بحجب مصمتة لا تنفذ منها أشعة البحث ، محاط بمواجز من التناقض في الأقوال والتضارب في الآراء التي تقلها المتأخر عن المتقدم وطبع فيها الآخر على غرار الأول من غير تمحيص ولا تدبر ، فكانت الحقيقة فيها أخفى من السهي وأغمض من السر في الضمير .

ثقافة المتنبي

مبدوها ، منهاها ، مكان كل منها

لقد تصدى كثير من العلماء والأدباء لذكر المتنبي وأطالوا القول فيه ثبته ومدحه بجودة شعره ، وانتشاره وإطلاعه على العرب وما شاكل ذلك ، ولكن منهم من أعرض عن التصدي لثقافته ، ومنهم من أوجز فيها إيجازاً غللاً .
وعن ذكره من هؤلاء ابن الأنباري في تزهة الألباء في طبقات الأدباء ،

والبديعي في الصبح النبي ، والأصفهاني في إيضاح الشكل ، والشعالي في يتيمة الدهر
في نحو تسعين صفحة ، وابن ثوري بردي في النجوم الزاهرة ، وابن الهادي في شذرات
الذهب ، وابن خلكان في وفيات الأعيان ، والعثماني في معاهد التنقيص ، وابن نباتة
في مريح العيون ، والبغدادي في خزانة الأدب ، وأبو الفداء وابن الوردي في
تاريخيهما ، وابن حجر في لسان الميزان ، والخطيب في تاريخ بغداد ، والمكبري في
شرح دهرانه ، والواحدي كذلك .

وليس في كلام هؤلاء الاعلام ما ينير السبيل للباحث عن ثقافة المتنبي إلا وميض
يسير على ضوئه الضئيل في هذا الجمل القائم ، وإن كان الجمع بين ما فيه من
التناقض أشق من عقد شعيرة على الاجذم ، وأصعب من الجمع بين الماء والنار .

ويمكن أن يلخص كلام هؤلاء القوم ومن احتذى على مثالهم من بعدهم ، بأن
فريقاً منهم زعم أن أبا الطيب ولد في الكوفة وفيها ترعرع ، واختلف الى كتاب
فيه أولاد أشرف الكوفة ، فتعلم دروس العربية لغة وشعراً وإعراباً ، وخرج الى
البادية ، فصحب الأعراب ، وعاد بعد سنين بدوياً قحاً ، ونظر في أيام الناس ،
وأكثر ملازمة الوراقين ، فكان علمه من دفاترهم ، وقال الشعر صبيحاً ، ووقع في
صغره الى رجل بالكوفة من المتفلسفة يكنى أبا الفضل فهو له وأخيه كما خله .

وزعم فريق آخر أنه ، وإن كان كوفي المولد ، شامي المنشأ سافر به أبوه الى بلاد
الشام وهو صبي ، فلم يزل ينقله من بادية الى حضرة ، ومن مدرها الى وبرة ،
ويسلمه الى المكاتب ، ويردده في القبائل ، واشتغل فيها في فنون الادب ومهر فيها
وتفلسف من علم اللغة ، وأنه تخرج بها ومنها خرج نادرة الفلك .
ومنهم من جمع بين الأمرين : تعلمه بالكوفة وتعلمه بالشام .

وفي هذه الأقوال على تباينها شيء من الحقيقة ، ولكنه منتشر في تفاسيف الكلمات
انتشار ذرات الذهب في معدنه بين التراب والصخر ، لا يتنى أن يصاغ منها شيء من
الحلي ، حتى يحصلها المعدن ، ثم يحضنها ويتقيها ، ثم يؤلف بيتها ، ثم يصهرها ، ثم يفرغها
بعد ذلك في القالب الذي يريده .

وهذا ما نريد معالجته في هذه الكلمة الموجزة في الوقت الموجز .
 قد رأينا هؤلاء العلماء انفتحت كتبهم على أنه ولد في الكوفة واختلفت في
 المكان الذي نشق فيه ، وليس في أقوالهم ما يكشف القناع عن وجه الحقيقة
 الناصعة ، إذ لم يبين فيها ما درسه في الكتاب من اللغة والشعر وغيرهما ، ولا ما هوته
 به أبو الفضل الضال للفضل ، كما لم يبين من هم الأعراب الذين صحبهم ، والوراقون
 الذين لازمهم ، والعلماء الذين لزمهم في الكوفة أو في الشام ، ولا ما هو الذي أخذه
 عن كل منهم ، ولا ما تعلمه في مكاتب الشام ، ولا ، ولا .
 وكل ما ذكره مما أسلفنا ذكره . وأمثاله مما ضربنا عنه الذكر صفحا كلمات مجمة
 يقول : ثابا المادح أو القادح ليقضي منها حاجة في نفسه ، ولكن الباحث الذي يتوخى
 البسط والإبانة والتفصيل لا يستطيع أن يتخذها أساسا يقيم عليها صروح بحثه .
 وقد يخيل إلي أن أقرب شيء تسكن إليه النفس في هذا أن يقال : إن المتنبي
 درس في الكوفة اللغة ، وفيها نشق ونال الشعر الجيد ، ولكن لم يشتهر كثيرا ،
 ثم خرج إلى الشام سنة ٣٢١ ، وكان عمره إذ ذاك ثمان عشرة سنة ، فاطلع على ثقافة
 أهلها ، واجتمع بطائفة من علمائها وأدبائها ، وتابع الدراسة ، فازدادت ثقافته وغزرت
 مادته واستحصده شعره وحصف عقله وشاع ذكره ونضج أدبه .
 والدليل على هذا أسرار ، الأول : أن المؤرخين رووا له أبياتا قالها في صباه
 في المكتب وهي :

أبلى الهوى أسفا يوم النوى بدني و فرق المجر بين الجن والوسن
 روح تردد في مثل الخلال إذا أطارت الريح عنه الشوب لم بين
 كفى يحسني نحو لا أنني رجل لولا مخاطبتي إياك لم ترني
 ورووا له قصيدة مدح بها رجلا يقال له أبو الفضل ، وقد أراد أن يستكشفه
 عن مذهبه ، ولا أعلم إن كان أبو الفضل هذا هو الذي هوته وأضله أم غيره ، يقول
 فيها متغزلا :

غصت على تقوى فلاة نابت شمس النهار ثقل ليلا مظلا
 لم تجنح الاضداد في متشابه إلا لتجعلني لغرمة مغتلا

ويقول مادحاً :

يا أيها الملك المصنئ جوهراً من ذات ذي الملاكوت أسمى من سما
نور تظاهر فيك لاهوتية فتكاد تعلم علم ما لن تعلم

كبر العيان علي حتى إنه صار اليقين من العيان توها
يا من لجود يديه في أمواله تقم تعود علي التامى أنما
وذكروا له قصيدة قالها في صباه حين اجتاز برأس عين سنة ٣٢١ هـ ، وذلك أن
سيف الدولة أوقع بعمر بن حابس بن بني أسد وبني ضبة ورياح من تميم ، فمدحه بها
ولم ينشده إياها ، فلما لقيه دخلت في جملة المديح ، مطلعها :

ذكر الصبا ومراتع الآرام جلبت حمامي قبل يوم حمامي
دمن تكاثرت المصوم علي في عرصاتنا كنتكاثرت اللوام
وفيهما يقول متغزلاً :

فكان كل صحابة وكفت بها تبكي بعيني عروة بن حزام
ليس القباب على الركاب وإنما هن الحياة ترحلت بسلام
ليت الذي خلق النوى جعل الحصى خلفهن مفاصلي وعظامي

ويتخلص الى المدح فيقول :

لم يتركوا لي صاحباً إلا الاسى وذميل دعبة كفحل نعام
وتعذر الاحرار صير ظهرا إلا اليك علي فرج حرام
أنت الغريبة في زمان أهله ولدت مكارمهم لغير تمام
ملك زعت بمكانه أيامه حتى افتخرون به علي الايام
وتجأله سلب الورى أحلامهم من حلمه فهم بلا أحلام

ويقول فيمن عصوا الأمير :

فتركهم خلل البيوت كأنما غفبت رؤوسهم على الاجسام
أحجار ناس فوق أرض من دم ونجوم يفض في سماء قنم

وروا له شعراً كثيراً قاله سيفه صباه فيه من عيون الكلام وروائع الشعر ما بندر مثله في غير كلام الفحول .

وهذا الشعر للذكور وأمثاله شعر محكم التأليف مصقول الديباجة صحيح المعنى مشتمل على شيء من مصطلحات العلوم كجمع الأضداد في متشابه والفرم والمغم والجوهر واللاهوتية والعيان واليقين والتوهم ونحوها ، وعلى الإشارة إلى رجل اشتهر في التاريخ بحبه وهو عروة بن حزام ، وعلى كثير من الطباق والجناس وغيره من صناعة البديع كالهوى والنوى والفرم والمغم والتقم والأنعم ونحوها ، وعلى ضروب من المجاز اللطيف والتشبيه الرائع والكنايات الجميلة وما شاكل ذلك مما لا ينسى لشاعر أن يأتي بمثله إلا بعد أن يهر في الشعر ويحتك .

ولئن كان فيما قاله المتنبي من الشعر بعد هذا ما هو أجود منه وأعلى فإن كل شاعر لا يكون شعره في أول عهده بالشعر الأعلى من شعره بعد أن يتمرس به عهداً طويلاً ولا تبلغ باكورة شعره في قريحة شبابه ما يبلغه شعره بعد أن يزاول الشعر ويعالجه بعد أن ينضج أدبه ويستحصف عقله وتكمل ثقافته .

وبهذا يتضح لنا أن قول الثعالبي وابن خلكان ومن ترمم خطاهما أنه قدم الشام صيماً وجال في أقطارها ودخل المكاتب وتخرج بها الخ . . قول لا يؤيده الواقع ولا نقره الحقيقة .

الأمر الثاني : ما رواه المؤرخون من أنه كان يصحب ديواني أبي تمام والبحتري حتى إنه لما قتل وجدا معه بخطه وعلى الحواشي علامة كل بيت أخذ معناه وسلخه ، وأنه كان له دفاتر كان يصحبها حيناً رحل وكان كثير الإشفاق عليها لأنه انتخبها وأحكمها قراءة وتصحيحاً ، وأنها وجدت معه حين قتل .

وهذا دليل صريح على أنه ما فارق الدراسة والمطالعة حتى فارق الحياة . . وكان فوق هذا يخالط جماعة من الشعراء والأدباء والعلماء في بلاط سيف الدولة وغيره .

وهذا القدر كافٍ في الدلالة على أن المتنبي ابتداءً تتقنه وقوله الشعر الجيد في الكوفة وأتم الأسرين معاً في بلاد الشام، ومنه يتبين لنا المكان الذي ابتدأت فيه ثقافته والمكان الذي تمت فيه .

تقسيم ثقافته ومصادرها

ومن المفيد أن تقسم ثقافة المتنبي إلى أقسام يتميز كل واحد منها من الآخر ليسهل ضبطه وتفرقة من قسيميته وإن كان بعضها مشتركاً مع غيره في بعض الوجوه، ثم نبين مصدر كل منها بقدر ما سمحت لنا النصوص فهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام لغوية وأدبية وعلمية ولكل واحد من هذه الأقسام الثلاثة مصدر مجهول ومصدر معلوم؛ أما المصدر المجهول فتشترك فيه الأقسام الثلاثة على السواء، وهذا المصدر لم يسعف البحث بمعرفة معرفة تكشف النقاب عن حقيقته، وذلك ما تقدم ذكره من مثل دخوله الكتاب في الكوفة والمكاتب في الشام (إذا صح ذلك) وخروجه إلى البادية وصحبته الأعراب وملازمته الوراقين ودقائره ولزومه العلماء وبما شاكل هذا من المصادر المبهمة المجهولة التي لم يبين ما تعلمه وما أخذه من كل منها.

ولكل قسم مصدر آخر معلوم تحته أنواع متعددة أو مصادر أخرى معلومة يتميز بها من قسيميته وقد يشارك غيره في بعضها.

ثقافته اللغوية

من مصادرها كلام الشعراء الذين زعموا أنه أخذ معانيه منهم كما يرى القيس والتأني وزهير وغيرهم من سياقي ذكرهم في ثقافته الأدبية.

ومنها أنه وجد في أشعاره وأخباره ما يدل على تضلعه باللغة وإطلاعه على أسرارها ودقائقها وغريبها إطلاعاً حملاً على الإعجاب بنفسه والتعرد على بعض مذاهب النحاة واحتقاره مثل ابن خالويه في مجلس سيف الدولة وأبي الفرج الأصفهاني وغيره من الأدباء والعلماء في مجلس الوزير المهدي وأبي علي الأمدى شيخ الجماعة في حضرة الوزير أبي الفضل بن خنزابة في مصر.

فما ورد في شعره قوله :

إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً يمضي قبل أن تلقى عليه الجوازمُ

وقوله :

أمضي إرادته فسوف له قد واستقرب الأقصى فثم له هنا

قوله :

وكان ابنا عدو كثره له يا بيه حروف أنيسان

وقوله :

حولي بكل مكان منهم خلق تخطي إذا جئت باستفهامها بمن

وعماروي في أخباره : أن أبا علي الفارسي قال له يوماً : كم من الجموع على فلي ، فقال في الحال : حجلي وخربي . (حجلي جمع حجلة أو اسم جمع لها لنوع من الطير وخربي جمع خربان ، وهو دوية شبه الكلب أصم الأذنين طويل الخرطوم أسود السراة أبيض الظهر كثير الفس ومن الرائحة) . قال أبو علي : فطالمت كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجدهذين الجمعين ثالثاً فلم أجده . وقال في المتنبي : ما رأيت رجلاً مثله في معناه . .

وأن الخاتمي لما ناظر المتنبي في بغداد ، سأله : ما الفرق بين التقديس والقُداس والقادس ، فقال له المتنبي : أي شيء غرضك في هذه المذاكرة بل المهاترة ، ثم قال له : التقديس التطهير ولذلك سمي القدس قدساً لاشتماله على الذي يكون فيه الطهور وكل هذه الأحرف تؤول إليه ، فقال الخاتمي : ما أحسبك أمنت النظر في كتب اللغة وعلوم العرب ولو تقدم منك مطالعة لها ما جمعت بين معاني هذه الكلمات مع تباينها لأن القُداس حجر يلقي في البئر ليعلم غزارة ما فيه من قلته ، والقُداس يشبه الجمان يعمل من الفضة ، والقادس السفينة .

وإذا تأملنا جواب المتنبي على إيجازه وعلى أنه جواب على سؤال متنت فوجئ به . تبين لنا أنه جواب عالم باللغة مظلم على استمرار وضعها واشتقاقها ، فإن علماء اللغة قالوا : القُدس الطهر والبيت المقدس لأنه يتطهر فيه من الذنوب ، والتقديس التطهير ، والقُدس الطاهر ، وتقديس لك تطهر أنفسنا لك ، والأرض المقدسة للطهارة ، وروح القدس روح الطهارة أي خلق من طهارة ، ولا قدست أمة لا طهرت ، والقدس والقدس قدح يتطهر به ، والقدس السطل لأنه يتطهر به ، ومن أسماء مكة قادس والمقدسة لأنها تقديس من الذنوب أي تطهر ونحو ذلك ، ولا يضير المتنبي أن لا يعرف معنى القادس والقُداس والقدس ، فإن كثيراً من أئمة اللغة توقفوا على معانٍ لا يعرفونها

وما عرف التاريخ رجلاً وعى صدره معاني اللغة كلها حتى العرب أنفسهم ، فأتى قرشياً قال له ملك حمير (ثب) فلم يفهم معناه بلغة حمير فوثب فمات ، وإن عمر ابن الخطاب توقف في معنى الأب ؛ فإن كثيراً من أئمة اللغة جهلوا معاني بعض الكلمات وأخطأوا في تفسير بعض آخر . فالكسائي لم يفرق بين معنى عيت وأعيت حتى نبه إلى ذلك ، وأبو عبيدة مثل عن أسماء أعضاء الفرس فتوقف وقال لست بيطار . وكفى للمتنبى فضيلة أنه لم يعرف بما لم يعرف ولم يجب بغير ما يثق بعلمه ، على أن ما ذكره الخاتمي في تفسير القداس لم أر من ذكره من أئمة اللغة ، وإنما قالوا : هو حجر يوضع في حوض الإبل أو وسطه إذا غمره الماء رويت الإبل ، أو يطرح فيه بقدر عليه الماء يقتسمونه بينهم ، أو حصة يقسم بها الماء في المناوز .

والخاتمي إنما تطوع بمناظرة المتنبى ليظهر على أكتافه ، ويتحدث الناس أنه ظهر عليه وأخضعه ، ولينقع من ذلك غلة معز الدولة ووزيره المهلبى اللذين توقعا من المتنبى أن يمدحهما فتوقع عن ذلك ، والخاتمي على صلفه وتعنته لم يستطع أن يجحد فضل أبي الطيب ونفوقه ونفردده ، فقد قال في رسالته التي ضمنها مناظرة المتنبى : فلما علوته بالكلام قال : يا هذا اللغة مسلحة لك ، فقلت : كيف تسلمها وأنت أبو عذرتها وأولى الناس بها وأعرفهم باشتقاقها والكلام على أفانينها ، وما أحد أولى بأن يسأل عن غريبها منك ؟ ثم قال في موضع آخر منها : ورأيت له حق الثقدم في صنعة فطاطات له كتني .

هذه شهادة خصم لدود وعدو شديد للمتنبى « والفضل ما شهدت به الأعداء » . وقال ابن خلكان فيه : إنه كان من الأكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشها ، وإنه لا يسأل عن شيء إلا واستشهد فيه بكلام العرب . وقال الاصبهاني في إيضاح المشكل : وجملة القول فيه أنه كان من حفاظ اللغة ورواة الشعر ، وكل ما في كلامه من الغريب المصنف سوى حرف واحد هو في كتاب الجهرة وهو قوله : « ... تطوى المجلحة العقد » ، وهذا من بيت وهو :

وأَمْضِي كما يَمْضِي السَّنانُ لِطِيبِي وَأَطْوِي كما تَطْوِي المجلحة العَدْدُ

يريد بالمجلحة الثَّناَب الجريئة الشديدة للماضية ، وأطوي من الطوى وهو الجوع .

والعقد جمع أعقد وهو الذي في ذنبه عقد أي التواء ، وذنب أعقد معوج .
وقال أيضاً : كان المتنبي يغشى أبا الفضل بن العميد كل يوم ، وكان أبو الفضل
يقرأ عليه دهلن اللغة الذي جمعه ويتعجب من حفظه وغزارة علمه .
ودهلن طافح بالآيات والكلمات الدالة على غزارة مادته وسعة اطلاعه وأخباره
مكتنزة بالأدلة على هذا .

وكان أبو الطيب فوق هذا صنماً ماهراً في صوغ الكلمات وتأليفها ، بلقاً بارعاً في
تخير ما يلائم منها كل غرض ، حاذقاً في وضع كل كلمة في موضعها .
قال ابن فورجة أو فوزجة : قرأت على أبي العلاء المري ، ومثله في الشعر ما قد
علمه من كان ذا أدب ، فقلت له : ما ضرب أبا الطيب لو كان قال مكان هذه الكلمة
كلمة أخرى أوردتها ، فأبان لي عوار^(١) الكلمة التي ضللتها ، ثم قال : لا تظن أنك
تقدر على إبدال كلمة واحدة من شعره بما هو خير منها فحرب إن كنت سرتاباً ، وما أنا
ذا أجرب هذا العهد فلم أقدر ، وليجرب من لم يصدق يبعد الأمر كما قلت : وشهادة
أبي العلاء هذه تعدل شهادة أمة بأسرها أو تزيد ، وإنما بقدرها حتى قدرها من عرف
من هو أبو العلاء ، وما هو في اللغة والأدب والشعر ، وإن كانت لا تخلو من شيء من
المبالغة التي سببها حب أبي العلاء المتنبي وتواضعه .

ثقافته الأدبية

ولثقافته الأدبية غير ما سبق ذكره من المصادر مصادر أخرى منها أقوال الشعراء
الذين زعم حساده أنه اغار على معانيهم وسلخها ، ثم تصرف فيها بما شاء من زيادة ونقص
وتوليد ونقص وقلب ، وهؤلاء الشعراء كثيرون منهم : أسد القيس ، والافواه
الأودي ، والنايفة الدياني ، وزهير ، والحسين بن الحمام المري ، وعنترة ، وذو الإصبع
العدواني ، والاعشى الأكبر ، وعروة بن الورد ، وحاتم الطائي ، وربيعة بن مرداس ،
وأبو صخر الهذلي ، والثقب ، وعروة بن عتبة ، والعوام بن عمرو ، وأوس بن حجر ،
وأبو جويرية العبدي ، وخفاف بن غصن البرجمي ، وحطاب بن يعفر ، والحزبن الدؤلي

(١) العوار بالفتح العيب وقد يضم .

وقيس بن الخطيم ، وقيسر الاسد ، وعين بن مالك ، وعلاقة بن عربي ، وليد ، واباس
 الكلابي ، ومعاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب ، وذؤيب بن كعب التميمي ، وعبد
 يغوث ، ومضر بن ربيعي ، والحادرة ، وجابر بن حباب ، وتابط شراً ، وسويد ابن
 ابي كاهل ، وأميه بن ابي الصلت ، وخداش بن زهير ، وعنترة بن الاخرس ، وزباد
 الديدي ، وطرفة ، والناطقة الجمدي ، وحسان بن ثابت ، وعمرو بن معد يكرب ،
 والعباس بن مهدي ، والاهم بن سنان ، وعلقمة بن اسوي ، وأحيحة بن الجلاح ،
 والفرزدق ، وجريز ، والاخلط ، وكثير ، والطرماح ، وعمر بن ابي ربيعة ، والراعي
 وذو الرمة ، وقيس بن ذريح ، ويزيد بن الطثيرة ، وعقيل بن غفلة ، والككيت ،
 والجلاح ، واعشى باهلة ، ونصر بن صيار ، وسالم بن وابصة ، ومنعم بن نويرة ،
 والبغيث ، والاعور الثاني ، وعدي بن الرقاع ، والمؤرج بن عمر ، وابو العميث ،
 والخطيئة ، وزباد الاعجم ، وعمران بن حطان ، وعبد الرحمن بن دارة ، وعميرة ابن
 جعيل ، وعمر بن الاهم ، ورؤبة ، وعبد الله بن الزبير الاسدي ، وثابت بن قطنة
 العنكي ، وعبد الله بن معاوية ، وابن الرقيات ، وهذبة بن الخشرم ، وزفر بن الحارث ،
 وابن هرمة ، وبشار ، وحمام ، والعتابي ، وأبو العتاهية ، وصروان بن ابي حفصة ،
 وابو الشيخ ، وأبو نواس ، وأبو تمام ، والبحتري ، وابن الرومي ، والعباس بن الأحنف ،
 وابن المعتز ، وأبو هفان ، وابن الخياط ، وعبد الله بن طاهر ، وأشجع السلمي ، وعلي
 ابن جبلة ، وبكر بن النطاح ، والناشي الأكبر ، وعبد الله بن محمد المهدي ، وموسى
 ابن جابر الحنفي ، وأبو دلف ، وسالم بن الوليد ، وديك الجن ، ودعبل ، ومحمود الوراق
 وعلي بن الجهم ، ويعقوب بن الربيع ، ومحمد بن وهيب ، ومنصور النعري ، وأبو سعيد
 الخزومي ، وأبو عطاء السندي ، وأحمد بن أبي قنن ، والعتبي ، ومنصور الفقيه ،
 وابن المعتز ، والخلع ، وعلي بن الخليل ، واختير أرزي ، والحمدوني ، وابن الناصر ، وخالد
 الكاتب ، والخزيمي ، وأحمد بن طاهر ، وسعيد بن حميد ، وأبو طاهر ، وإبراهيم ابن
 المهدي ، ويزيد المهدي ، ويحيى بن زياد ، والسيد ، والحيم الراسي ، وصالح بن عبد
 القدوس ، وسالم الخاسر ، وحمة بن يعض ، والطرمي ، وأبو حفص الشطرنجي ،
 وإسحاق بن خلف ، والتاجم ، ومنصور بن بسلم .

و كثير من الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين والمولدين عن سُموا وعن لم يُسموا .
زعموا أنت أبا الطيب أنار على معانيهم فأنزعها ، أو أنار على من أنار عليها فأنزعها منه .

ومن مصادر ثقافته الأدبية أقوال الحكماء ، فقد زعم فربق من المولعين بالإغراب من شراح دهبائه وغيرهم ، أنه أخذ كثيراً من معاني الحكماء وجعلها في شعره ، وذلك مثل قوله :

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسامُ
قالوا : إنه أخذ من كلام أرسطاطاليس : إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاك الجسم دون بلوغ الشهوة . وقوله :

أرى أنا وأنا وعصولي على غم و ذكر جود وعصولي على الكلم
من قول الحكميم : من كانت همته الأكل والشرب والنكاح فهو بطبع البهائم ،
لأننا نعلم أنها متى خلى بينها وبين ما تريده لم تفعل شيئاً غير ذلك . وقوله :
ورُبَّ مالٍ فقيراً من سريته لم يثر منها كما أثرى من العدم

من قول الحكميم : من أثرى من العدم افتقر من الكرم ، وقوله :
وشبه الشيء منجذب إليه وأشيئنا بدتيانا الطعام
من كلام الحكميم : الأشكال لاحقة بأشكالها ، كما أنت الأضداد مبابنة
لأضدادها . وقوله :

ذلٌّ من يغيظ الدليل بعيش رُبَّ عيش أخف منه إلحام
من كلام الحكميم : إذا لم تنصرف النفوس في شهواتها : فحياتها موت ووجودها
عدم . وقوله :

كل حالم أتى بغير اقتدار حجة لاجئ إليها اللثام
من كلام الحكميم : الفرق بين الحالم والمعجز أن الحالم لا يكون إلا عن قدرة ،
والمعجز لا يكون إلا عن ضعف . وقوله :

ذو العقل يشقى في النعم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

من كلام الحكميم : العاقل لا يساكن شهوة الطبع لعلمه يزوالها ، والجاهل يظن أنها خالدة وهو باق عليها ، فهذا يشقى بعلمه وهذا ينعم بجهله . وقوله :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى . حتى يراق على جوانبه الدم

من كلام الحكميم : الصبر على مضض الرياسة ينال به شرف النفاسة . وقوله :

الظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعله لا يظلم

من كلام الحكميم : الظلم من طبع النفس ، وإنما يصدها عن ذلك إحدى علتين : إما علة دينية أو علة سياسية كخوف الانتقام . وقوله :

هون على بصر ما شق منظره . فإنما يغطت العين كالحلم

من كلام الحكميم : كرور الأيام أحلام ، وغداؤها أسقام وآلام . وقوله :

سبحان خالق نفسي كيف لذتها . فيما النفوس تراه غاية الألم

من قول الحكميم : النفس الشريفة ترى الموت بقاء . لدر كها أما كن البقاء ، وهذه حالة تعجز الخلق عن ركوبها . وقوله :

كثير حياة المرء . مثل قليلها . يزول وباقى عمره مثل ذاهب

من قول الحكميم : آخر حركات الفلك كأوائها ، وناشئ العالم كلاشيه في الحقيقة لا في الحس . وقوله :

فهذه الأرواح من جوده . وهذه الأجساد من تربه

من قول الحكميم : اللطائف سماوية . والكثائف أرضية ، وكل عنصر عائد الى عنصره . وقوله :

تبخل أبدينا بأرواحنا . على زمان من من كسبه

من قول الحكميم : إذا كن ناشئ الأرواح من كرور الأيام فمالنا نغاف رجوعها الى أماكنها . وقوله :

وغاية للفرط في سلمه . كغاية للفرط في خربه

من قول الحكميم : آخر إفراط التوقي أول مولود الخوف . وقوله :

أرى كلنا بيني الحياة بسبه . حريصاً عليها مستهياً بها صياً

بحب الجبان للنفس أوردته السقى . وحب الشجاع النفس أوردته الحربا

من قول الحكيم : النفس المتجوزة - تأتي مقارنة الدل جداً وترى فناءها في طلب
العز حياتها ، والنفس الدنية بضد ذلك . وقوله :

إلف هذا الهواء أوقع في الأنفس أن الحلم مرة المذاق
من قول الحكيم : النفوس البيمية تألف مساكنة الأجساد الترابية ، فلذلك
تصعب عليها مفارقة أجسامها ، والنفوس الصافية بضد ذلك .

وأمثال هذا كثير في شعره ، عما زعموا أنه اقتبس من كلام الحكماء ، بين حكيم
معلوم سعي وبين حكيم مجهول لم يسلم .

ولو استطاع خصومه نسبوا كل جيد من معانيه إلى غيره من الشعراء والحكماء ،
وإذا صح كل ما قيل فأبو الطيب أوسع الشعراء اطلاعاً على كلام الفحول من حكماء
وشعراء ، وأبصرهم بالمعاني الجيدة ، وأبرعهم في انتقائها ، وأقدرهم على التصرف بها
زيادة وتقصاً وتوليداً وقلباً ، وأحذقهم صوغاً وتأليفاً .

وقد شهد له فريق كبير من خصومه بتفوقه في مواطن كثيرة على من زعموا أنه
أخذ منه في قوة السبك ، وروعة الألفاظ ، وجمال المعاني .

ولو ادعى مدعي أن هذا الحكيم المعلوم أو المجهول خلقه حساد المتنبي ونسبوا إليه
تلك الأقوال ليسلبوه محاسنه ، لكان ذلك غير بعيد ، ولشهد له ما في أقوال أولئك
الحكماء من الركاكة في التأليف ، والتقصير عن الإحاطة بالمعنى ، وإن جاء بعضها
مستجماً .

ومن أمعن النظر في كلام أبي الطيب ، وكلام ذلك الحكيم يتضح له في مواضع
متعددة أن لا علاقة بين الكلامين إلا من حيث اشتراكهما لبعض الألفاظ أو بطرف
من المعنى ، وأن للمعنى في شعر أبي الطيب أجل وأتم منه في كلام الحكيم ، والشواهد
على هذا كثيرة ، منها قوله :

كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا

قالوا : إنه من قول الحكيم : من ضجة السياسة أن يكون الإنسان كلما ظهرت
سنة عمل بها بحسب السياسة .

وعند التأمل لا يجد الباحث بين الكلامين رصماً واشتراكاً ، ولا نسباً جامعاً ، ولا

رابطة بينهما الإتيان كل منهما بعمل الإنسان ، ولكن هذا العمل مختلف في كليهما جذه الاختلاف من حيث الغاية والعقد والسبب والعلّة . وكذلك قوله :
دع النفس تأخذ وسعها قبل لينها فمفترق جاران دارهما العمر
قلوا : إنه مقول من قول الحكميم : من قصر عن أخذ لذاته عدوها وعدم صحة جسمه .

وللفرق بين المعنيين من حيث الصحة والجمال كالفرق بين اللفظين من حيث البلاغة وقوة الاسر ، وصفاء الديباجة ، فإن المتنبي يقول : أعط نفسك حظها قيل أن غوت ، فإن الحياة لا تلبث . والحكيم يقول : لا تقصر عن أخذ لذتك فإنك تعدم تلك اللذة . وتعلم صحة جسمك . ولا علاقة لاحد هذين المعنيين بالآخر إلا من جهة الحفز على التمتع باللذة ، ولكن علة ذلك مختلفة في كليهما ، والامر المترتب على المخالفة مختلف فيهما أيضاً .

وهذا شائب أكثر الايات التي زعموا أنه أخذها من قول الحكماء ، وكثير من الايات التي ادعوا أنه سألها من معاني الشعراء ، كقوله :

حسان المتنبي ينقش الوشي مثله إذا من في أجسامهن التواضع

قلوا : إنه من كلام امرئ القيس :

من القاصرات الطرف لو دبّ بحول من الترت فوق الإرتب منها لأثرا

وقد رأيت نبحاً من ثلاثين شاعراً بين امرئ القيس والمتنبي أخذوا هذا المعنى

ولم يستطع أحد أن يجود فيه بعد صاحبه مثل المتنبي ، وكذلك قوله :

له عسكر خيل وطير إذا رمى بها عسكراً لم يبق إلا جاججه

محب من المعيان يزحف تحتها سحاب إذا استسقت بقتها صوارمه

وقوله في وصف جيش :

تمرّ عليه الشمس وهي ضعيفة تطالعه من بين ريش القشاعم

إذا ضوؤها لاقي من الظلم فرجة تدور فوق البيض مثل النواجم

قالوا : إنه من قول أبي تمام :

وقد ظللت بعقيل رايته ضحى بعقان ظهر في الدماء نواهل

أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش إلا أنها لم تقاتل وأصل هذا المعنى للأفوه الاودي أخذته منه النابغة الذبياني فزاد فيه زيادة حسنة ثم تابع عليه شعراء كثيرون مثل أبي نواس ومسلم بن الوليد وغيرهما ثم جاء أبو تمام فزاد فيه ما زاده حسناً وجاء المتنبي فزاد فيه زيادة حسنة ولم يأخذ معنى أبي تمام كله بل وافقه في أصل المعنى المأخوذ عن النابغة والأفوه ثم فارقته في بقية المعنى وهو على غابة من الجودة ، ورحمة الله التي وسعت طائفة كبيرة من الشعراء الذين ألما بهذا المعنى ولم يؤخذوا به لا تضيق عن أبي الطيب .

وكان أبو الطيب سئل مرة عن اتفاق الخواطر فقال الشعر ميدان والشعراء فرسان فربما اتفق ثوارد الخاطر كما يقع الخافر على الخافر . وهذا مما لا ريب فيه فانا قد نرى شاعراً وافق غيره في معنى من غير أن يطلع على شعره ونرى أيضاً شاعراً اعجمياً قد هوأفق شاعراً عربياً وبالعكس من غير أن يعلم أحدهما لغة الآخر فضلاً عن أن يطلع على شعره ويقتبس من معناه .

وليس القصد من كلامنا هذا أن نبرئ المتنبي من السرقة للمعاني ، وانما نريد أن نبين أن كل ما نسب إليه من ذلك غير صحيح ، وأن دعوى خصومه مبالغ فيها ، وأن غيره شاركه في مثل هذا ولكن لم يكن له من الخصوم والمنتقدين ما كان للمتنبي .

وبعد كل ما تقدم فإننا لا ننكر أن المتنبي كان كما قال الخالديان كثير الرواية جيد النقد ، وقد أسلفنا قول ابن خلكان : إنه كان من المكثرين من تقل اللغة والمطلعين على غريبها وأنه لا يسأل عن شيء إلا واستشهد فيه بكلام العرب ؛ ولكننا ننكر أن يكون كل معانيه أو جلها مأخوذاً من غيره .

وأغرب من كل ما سبق ذكره ما ذكره بعض خصومه المتعنتين المنقبين عن مرفقاته : وهو أن قصاراً كان يعمل على شاطئ نهر وكان يرى كل يوم كركباً يجي فيلتقط من الحماة دوداً ويقتصر في القوت عليه ، ثم رأى الكركي يوماً صقراً ارتفع في الجو وانقض على حماة فاصطادها وأكلها ، فقال الكركي : مالي لا اصطاد الطيور كما يصطاد هذا الصقروأنا أكبر منه جسماً ثم ارتفع في

الجو وانقض على حمامة فأخطأها وسقط في الحنطة فتلطخ رأسه وتلطخ ريشه ، ولم يمكنه أن يطير فأخذه الصياد ورجع إلى منزله فاستقبله رجل فقال ما هذا فقال : كركي يتصقر ، فسمع الثني هذه الحكاية فأخذ منها معنى قوله :

ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

وهذا البيت من قصيدة قالها حين حرب من مصر ووصل إلى الكوفة سطلما :

الا كل ماشية الخيزلي فدا كل ماشية الهيدلي

يصف فيها رحلته ما بينهما ولا نعلم في أي موضع سمع هذه الحكاية ، وقد كان غاراً من كافور يخفي في مكان بعد آخر وليس يصحبه غير غلامه ، فمن قض عليه ذلك ومن رواه عنه ؟

وهذا يزيد ما قلناه أن خصومه لو استطاعوا لنسبوا كل معنى جيد في شعره إلى غيره ، ولذلك قال ابن نباتة في سراج العيون : وهذا من نوادر المتقين على مرفقات المتنبي ، ومن نادر التعصب على هذا الرجل الفاضل المحمود .

ثقافته العلمية ومصادرها

وأما ثقافته العلمية فهي أشد غموضاً من سابقتيها وأخفى طريقاً وأقل عناية في كلام المتقدمين .

وقد كانت أبو الطيب في عصر زخرت فيه بحور العلم وانتشرت كتب الفلسفة وبشت فيه آراء الحكماء والفلاسفة والزنادقة ، وأصحاب الأهواء والنجل بين طبقات العامة والخاصة .

ومن استقرى كلامه ، وجد فيه كثيراً من الآراء والمنازع الفلسفية والإلماح إلى بعض المذاهب ، وما يعتقده بعض الفرق في الأفلاك العلوية ونحو ذلك كقوله :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم إلا على شجب والتخلف في الشجب

فقل تخلص نفس المرء حيلة وقيل تشرك جسم المرء في العطب

ومن تفكر في الدنيا ومبجته أقامه الفكر بين العجز والتعب

فإن فيه إشارة إلى اختلاف الكلمة في فناء الجسم والروح معاً ، أو في فناء الجسم

وحده ، وكلاهما قول لبعض الحكماء ، وأبو الطيب وقف بين العجز والتعب ولم يصرح بما ارتضاه من القولين على ما في كلامه من احتمال : قبول للتأويل -

وقوله من قصيدة يعزي بها عضد الدولة بعينه :

نحن بنو اللوقى فما بالناس نفاق ما لا بد من شربه
تبتخل أيدينا بأرواحنا على زمان من من كسبه
فهذه الأرواح من جوه وهذه الأجسام من تربه

فإن فيه إشارة إلى مذهب القائلين أن الروح جوهر لطيف يعود إلى الجو بعد مفارقة الجسم ، وإن الجسم جوهر كثيف يعود إلى عنصره الأول ، ويصلح أن يكون فيه إشارة إلى مذهب القائلين أن المادة تبقى ولا تفتنى .

وقوله في حجو كافور :

ألا فتى بورد الهندي حماسته كيا تزول شكوك الناس والتهم
فإنه ججة يؤذي القلوب بها من دينه العجز والتعطيل والتقدم

فإن فيه إشارة إلى مذهب الدهرية القائلين إن العالم موجود أزلا وأبداً ، لا جناح له ، والمعطلة القائلين إن العالم فارغ عن جناح أنفقه وزينه . ويقول في مدح كافور :

وكم لظلام الليل عندك من بد تخير أن المانوية تكذب

فإن فيه إشارة إلى مذهب المانوية القائلين إن مبدأ هذا العالم كوخايت أحدهما نور والآخر ظلمة ، وإن الخير من النور والشر من الظلمة .

وقوله من قصيدة يمدح بها طاهر العلوي :

إذا علوي لم يكن مثل طاهر فسا هو إلا حجة للنواصب

فإن فيه إشارة إلى فرقة يقال لها الناصبية وهي تدين ببيعة علي بن أبي طالب .

وقوله :

موتن على بصر ماشق منظره فإنما يقطرات العين كالخلم

فإن فيه إشارة إلى مذهب السوفسطائية المتكرمين لحقائق الأشياء ، وقد استدل

فريق بهذا البيت على أن المتنبي كان يعتقد هذا المذهب كما استدل آخرون بقوله :

تتبع من سهاد أوردقاد ولا تأمل كرى تحت الرجام
 فإت لثالث الحالين معنى سوى معنى انتباهك والنام
 على أنه كان يدين بالتاسخ الذي يقول أصحابه إن الروح تنتقل من جسم إلى
 آخر مكافأة لمأجبه على خير قدمه ، أو مجازاة على شر اجتزمه . وقوله :
 يقولون تأثير الكواكب في الورى فما باله تأثيره في الكواكب
 وقوله :

وقد زعموا أن النجوم خواله ولو حاربه ناح فيها الثواكل

وقوله :

فتبالدين غيب النجوم ومن يدعي أنها تعقل
 فإن في هذه الآيات الثلاثة إشارة إلى مذاهب بعض الحكماء وما يعتقدونه في
 الكواكب العلوية من تأثير في عالم الارض ، وقد يستلزم الخلود لها . وإثبات العقل
 لها وإشارة إلى أن كلمة القوم لم تتفق على ذلك ، وإن لكل معتقد من يخالفه ، ولهذا عبر
 بكلمات : يقولون وزعموا ، ومن بدعي ، ولم يبين رأيه في ذلك ، ولكن التعبير بالكلمات
 السابقة يدل على أنه لا يشايح هذه الفرق في اعتقادها هذا .

ووقع في شعره ذكر رجال من الحكماء المشهورين في مثل قوله :

يموت رأيي الفأن في جهله ميتة جالينوس في طبه

وقوله :

من عجز الأعراب أني بعدم شاهدت رسطاليس والاسكندرا
 وصمت بطليموس دارس كنه منملكا متبديا متحضرا

وقوله :

إذا داء هفا بقراط عنه فلم يعرف لمأجبه ضريب

وربما جرى على طريقة الحكماء في الاستدلال والتحليل كقوله :

إذا غامرت في شرق مبروم فلا تنعم بما دون النجوم

فطعم الموت في امر حقير كطعم الموت في أمر عظيم
وقوله :

وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تكون جباناً
وقوله :

من بين بسيل الهوان عليه ما لجرح يميت إبلام
ومن تنبم كلام أبي الطيب بإمعان ، وجد فيه كثيراً من الآراء والمنازع الفلسفية ، مما يدل على أنه كان مطلعاً على شيء من هذا العلم عارفاً بأخبار رجاله ، وما اشتهر به كل منهم من الخصائص ، عارفاً بمذاهبهم واختلافهم في فناء الروح والجسم وبقائهما وبما يعتقدونه فريق منهم في النجوم وما شاكل ذلك .

والكنه لا يجد فيه كل نوع من أنواع الفلسفة العلمية والعملية ، بل لا يكاد يجد للفلسفة الطبيعية والرياضية والالامية إلا أثراً ضئيلاً يتراءى في الآيات المتقدمة وأشباهاها . ومثل هذا القدر يجوز أن يكون شائعاً فيه الحكماء بعد أن اطلع على أقوالهم أو سمعها ، والكنه لا يدل على أنه درس هذا العلم درساً وافياً واتخذ لنفسه فيه طريقاً اختص به كما يفعل المتأمنون في هذا العلم .

فلم يبق من الأقسام التي يروع فيها براعة فائقة إلا طرف من الفلسفة العملية وأكثره مما يتصل بالأخلاق ، وليس له فيه نظريات يثبتها بالبراهين وآراء يدعمها بالأدلة وإنما هي مجمل "محكمة" رائعة بليغة ينطق بمثلها الحكماء إذا تمدوا للبحث في الأخلاق وإن كان كلامهم أدنى في باب البلاغة من كلامه .

ولست نحكته كلها مقتبسة من كلام الحكماء ولا كلها خطرات قسبة ، وإنما هي مزيج مما اقتبس من غيره ومما هدته إليه فطرته وأرشدته إليه تجاربه .

ولعل أعظم مصدر لحكته هذه هو حياته لأنه تعاقبت عليه أطوار من الحياة مختلفة الأشكال من سعادة وشقاء وفاقة ورخاء وروعة وأمن وقد جرب الناس وذاتهم وأكلامهم ، ودرس الحياة درساً دقيقاً وافياً واستقصى كثيراً من سجايا الناس وطباعهم ونمى عليهم كثيراً منها ، وقد كان جيد النقد دقيق الحس شديد الطموح إلى الإلمام شديداً الاعتداد

بنفسه عظيم الاعجاب بشعره عجايباً لئال حياً جماً منبذلاً في سبيله مقتوناً بالقوة منذ الحداثة
كثير التقى بها فأثرت هذه العوامل المختلفة في نفسه وكانت من أثرها ما عثله لبياته في
الحكمة كقوله :

أذم الى أهل الزمان أهله فأعلمهم قدم وأحزمهم وغده
وأكرمهم كلب وأبصرهم عمره وأسهدهم يده وأذجهم فرد

وقوله :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدو آله مامون عدائه يده

وقوله :

وإنما نحن في جيل سواسية شرية على الحر من حقم على بدن

وقوله :

إنما أقس الأنيس سباع بفارس جبهة وأختيالاً
من أطلق التماس شيء غلابا وأختيالاً لم يلمسه سؤالا
كل غادر حاجة يمتنى أن يكون القنصر الرثيالاً

وقوله :

كل حلم أتى بغير اقتدار حجة لاجيء اليها اللثام

وقوله :

عش عزيزاً أدمت ولنت كريم بين طعن القنا وحق البنود
فرووس الرماح أذهب الفخ غدا وأثنى لغيل حدير الحسود
فاطلب العز في لظى وذرا ذل وإن كان في جنان الخلود
يقبل العاجز الجبان وقد يبعثر عن قطع يمتنق المولود
ويوقى التقى الخش وقد خوض في ماء لية الصنديد

وقد يجد الباحث في شعره غير ما تقدم كثيراً من الاشارات الى المصطلحات الفقهية.

كقوله :

وأخ لنا بث الطلاق آية لأعلن بهذه الخرطوم
فجئت ردي عرسه كفارة في شربها وشربت غير أثيم

وقوله :

إذا ما فارقتني غلتي كأنا طعان على حرام

وقوله :

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ويستحل دم الحجاج في الحرم

وقوله :

وزارك يبدون الملوك قمرجي إذا عن بحر لم يحز لي التيمم
وكذلك يحمد كثيراً من أسماء الأمم والقبائل والرجال الذين اشتهروا في التاريخ
بمخادث معروفه كقولهم :

فكان كل سحابة وكفت بها تبكي بيني عسرة بن حزام

وقوله :

لو كان حادف رأس عاذر سيفه في يوم معركته لاجبا عيسى
ويحمد كثيراً من أسماء الأماكن من اودية وجزال ومضبات وانهار وميا وقرى وامصار
كما يتمثل ذلك في قصيدته التي قالها عند رجوعه من مصر ووصوله الى الكوفة وغيرها
ويحمد كثيراً من أسماء الكواكب وما يتعلق بطولوعها وغروبها من الحوادث المزعومة
كقولهم :

وتشكر موتهم وانا مهيل طلعت بموت اولاد الزناه

وقوله :

أحبك يا بدر الزمان وشمس وابن لامي فيك الشهي والقراقد
وهذا وامثاله يدل على ان ابا الطيب كان عارفاً بعلوم الدين عالماً بأيام الناس واخبارهم
واسم الاطلاع على التاريخ وعلى تقويم البلدان عالماً بكثير من الامكنة وما يتصل بها
من حوادث ملأ بمعرفة الافلاك وما يرتبط بها مما كان يعتقد اهل عصره .

ولو لا خشية الاطالة لاوردنا امثلةً متعددة تدل على علو كعبه في كل ما تقدم .
ولعل في هذا القدر ما يبين ان المتنبي ولد ونشأ وشب ودرس وقال الشعر الجيد في
الكوفة وانه استمد ثقافته اللغوية والادبية من الكتاب والاعراب وكتب الوراقين
واقوال الشعراء والحكماء المعلومين والمجهولين ، وثقافته العلمية من مصادر سبق ذكرها
ومن مصادر أخرى لم يسمح الزمن بكشف النقاب عنها بعد ، ومن العلوم اللسانية والشرعية ،
وان فلسفته تكاد تنحصر فيما يتصل بالاخلاق ، وانه استمدّها من حياته وفطرته وتجاربته
وأمدّها بما اطلع عليه من كلام الحكماء ، وان ثقافته على علائها عالية جداً لا سيما الادبية
وقد ظهرت آثارها في ابيات من شعره بلغت الغاية القصوى في طلاوة التركيب ونبالة
المقصد والاعجاز في الایجاز وقد قدرها اهل الفضل حق قدرها منها قوله :

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يُراقب على جوانبه الدم
قال ابو الفتح بن جني : اشهد بأنه لو لم يقل إلا هذا لكان اشعر المجيدين ولكان
له ان يتقدم عليهم . وقوله :

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح يميت إبلام
قال العكبري : هذا من احسن الكلام ، ولو خرمس بعده لكفاء . وقوله :
إلف هذا الهواء اوقع في الاقس ان الحمام مرّ المذاق
والاسى قبل فرقة الروح عجز والاسى لا يكون بعد التراق
قال ابو العلاء المعري : ولو لم يقل شاعرهما سواهما لكان له شرف منهما وجمال .
وقوله الذي قال فيه ابو العباس النامي : كنت اشتهي أن أسبقه إلى معنيين قالمهما ما سبق
اليهما ، احدهما :

رمانى الدهر بالارزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال
فصرت إذا أصابني سهام تكسرت النصال على النصال

والثاني :

في جفيل ستر العيون غباره فكأنما يصرن بالآذان
وكان النامي عاتب سيف الدولة لتغيبه المتنبي عليه وسأله عن سبب ذلك فأمسك

عن الجواب ، فلما ألح عليه قال له : لأنك لا تحسن أن تقول كقوله (أي المتنبي)
 يعود من كل فتح غير مفتخر وقد أغدّ اليه غير محتفل
 ولكثرة ما في شعره من العيون والمقلدات ، لا يكاد الانسان يستطيع أن يعلم ما هو
 الأفضل فيه . فله في باب الغزل آيات فذة كقوله :

ازورم وسواد الليل يشغم لي وأتني وياض الصبح بفري بي
 وقوله :

وخصر تثبت الاحداق فيه كأن عابه من حدق نطاقا
 وقوله :

صفت وورقها الحياء بصفرة صرت محاسنها ولم تك يرقعا
 فكأنها والدمع بقطر فوقها ذهب بسمطي لو لو قد رصعا
 كشفت ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة فأرت ليالي أربعا
 واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتني القمرين في وقت معا
 وقوله :

حسان المتنبي ينقش الوشي مثله إذا من في أجسامهن النواغم
 ويسمن عن در تقلدن مثله كأن التراقي وشعت بالمباسم
 وله في المدح آيات منقطعة القرين كقوله في مدح علي بن إبراهيم التنوخي :
 كأن الهام في الميعة عيون وقد طبعت سيوفك من رقاد
 وقد صفت الأسننة من مهموم فما يخطرن إلا في فؤاد
 وقوله في مدح عضد الدولة :

حى أطراف فارس شمري يحض على التباقي بالتفاني
 بهرب هاج أطراب المنايا سوى ضرب الثالث والثاني
 فلو طرحت قلوب العشاق فيها لما خافت من الحدق الحان
 وقوله في مدح سيف الدولة :

تدوس بك الخيل الوكور على الترى وقد كثرت حول الوكور للمطاعم
 إذا زلفت ، مشيتها يطونها كما تمشي في الصعيد الاراقم

وله في باب الوصف ما يقصر عن إدراكه المتطاوّل اليه كقوله في وصف خيمة
كان تحتها سيف الدّيلة :

عليها رياض لم تحكها سحابة وأغصان دوح لم تقن حمائم
وفوق حوشى كل ثوب موجه من الدر سمط لم يثقبه ناظمه
ترى حيوان البر مصطلياً بها يحارب خد خده ويسالنه
إذا ضربته الريح ما ج كانه تجول مذاكبه وقد أوى ضراغمه
وقوله في وصف أغصان شعب يوان :

غدينا تنفض الأغصان فيها على أعرافها مثل الجمان
فسرت قد حجب عن الشمس عني وجئن من الضياء بما كنفاني
والتى الشرق منها في بناني ذائراً قرئ من النبات
لما ثمر تشير اليك منها بأشربة وقفن بلا أوان

وله كثير من الوصف الرائع في وصف الأسد والصيد والخيل والحرب وغيرها .

الخلاصة

صفوة القول أن أبا الطيب أمة وحده في شعره وأدبه وحكمته وإن محاسنه لا تكاد
تخصى وطرائفه لا تستصى .

وإن هذا الموضوع على قلة مظانه مرامي الأطراف صعب المراس يقتصر الى معارضة
الآيات التي قالها بالآيات التي زعموا أنه اخذ منانيه منها وبيان ما بينهما من القروق
وايراد الشواهد من كلامه لتأيد ما استقنا ذكره .

وهذا كله يستدعي زمناً طويلاً ، ولكن ضيق الوقت المحدود تحجر واستعلاء واضطورنا
الى أن نبلغ بالابحاز درجة الإفااز ، وإن نحشر المباحث الواسعة في عناوين خفيفة ، وندمج
نوعاً من ثقافته في آخر ، وإن نضرب دقاً عن ايراد آيات آخر من شعره من المثل الأعلى
في ثقافته الادبية والعلمية ، حتى جاءت كلمتنا هذه كقائمة التجار يسرد فيها أعداد الثياب
ولكن لا يبين فيها ما لكل واحد منها من الخصائص والمميزات ولا ما في كل منها من
روعة في الرشي ودقة في الصنعة وجمال في الحياة والشاردة .

وعسى أن تصامح الأيام بوقت ينعم لتوفيق هذا الموضوع حقه والسلام عليكم .

سليم الخندي

وفيات

الدكتور فرتر هومل

Dr. Fritz Hommel

(١٨٥٤ - ١٩٣٦)



نتع إلى جمهرة الاساتذة من
اعضاء المجتمع العلمي وإلى قراء
محليه الدكتور فرتر هومل استاذ
اللغات السامية في جامعة مونيخ
(المانية) وعضو مراسل باكاديمية
العلوم في بولونية ، ودكتور شرف
بعلم اللاهوت من جامعة اولنجن ،
وعضو مراسل في المجتمع العلمي
العربي بدمشق .

تثليته :

ولد الامتاذ هومل في ٣١ تموز
١٨٥٤ في أنسباخ عاصمة بافاريا
الوسطى ، وأخذ مبادئ العلوم في

مدرسة أنسباخ التجهيزية (١٨٦٤ - ١٨٧٣) ثم درس في جامعة ليدسك (١٨٧٣ -
١٨٧٧) على الامتاذ فليشر المستعرب المشهور ، وأحوز لقب دكتور على تأليفه لمقدمة .

كتاب « أسماء ذوات الثديين بلغة الساميين الجنوبيين » الذي نشره سنة ١٨٧٩ .
وظائفه :

وفي سنة ١٨٧٢ سمي قبالدار الكتب العامة في مونيخ ، وكان في الوقت نفسه يلقى في الجامعة دروساً خاصة ، ثم سمي مدرسا وكيلاً فيها على اثر تاليفه لكتاب « الفلسفة الحبشية » .

ثم ألف كتابه « تاريخ البابليين والاشوريين » شرع فيه سنة ١٨٨٥ وانه سنة ١٨٨٩ ، وفي سنة ١٨٩٢ ألف كتابه « الاصل البابلي للتمدن المصري » ؛ وفي سنة ١٨٩٢ اصبح في جامعة مونيخ استاذاً أصيلاً .

ومن آثاره العلمية : « منتخبات من العربية الجنوبية » ألفها سنة ١٨٩٣ ، و « مقتطفات سومرية للقراءة » سنة ١٨٩٤ ، و « وتاريخ الشرق القديم » ١٨٩٥ ، و « ما اعطاه الاسرائيليون القدماء من التوير الرسمي » ١٨٩٧ ، و « مختصر جغرافية الشرق القديم وتاريخه » ١٩٠٤ ، و « رسالة عن علم الآثار عند الشرقيين » .

ان هذه الآثار التي ذكرناها هي أجل ما ألفه الفقيه ، وله كثير من الرسائل والبحاث العلمية التي نشرها في المجلات المختلفة .

اختصاصه :

والفروع الرئيسية التي عني بها الاستاذ هومل هي : تاريخ تمدن الشرق القديم ودياناته ، والرسوم العربية الجنوبية ، والشعر العربي الجاهلي ، ونقح اللغة البابلية ، ولا سيما البحث عن اللغة السومرية التي برهن الاستاذ على قرابتها من اللغة التركية القديمة في عدة كر اريس ألفها ، وألف أخيراً « تاريخ مصر » المختص بالتمدن المصري الاقدم ، وقد أبدت أبحاث الاستاذ الفقيه ان له علاقة شديدة بالتمدن البابلي القديم ، وان بدء هذا التمدن كان في بلاد ماغان (البحرين) على خليج العجم ؛ وألف كذلك « تاريخ أسماء النجوم » ولا سيما رموز النجوم على حجارة الحدود البابلية ، و « أصل حروف الهجاء وترتيبها » أوضح ذلك في عدة كر اريس .

بلغ الثانية والثمانين من عمر قضاء في البحث والتأليف والتدريس وتوفي في ١٧ نيسان ١٩٣٦ .

الدعاء في العربية للأوداء أو على الأعداء

ان في اللغات الاجنبية الحية كلمات وتعايير خاصة تستعمل في مقام الهتاف والدعاء بالخير للأوداء وبالشر على الاعداء فيقول الفرنسي مثلاً في تمجيد الامة Vive la nation وفي تحقير الملوك : A bas les rois ، ويصبح الانكليزي في اسقاط الوزارة : Down with the Ministry ، والالاماني يهتف بلفظة : Nieder ؛ اما العربي فقد امسى يهتف في الدعاء بلفظتي : يعيش وفليسقط ! ، أو أن يستعمل : يعيش ويبيد ، أو عاش وباد بصيغة الماضي ، وهما ترجمتان ، قد يكون نقلهما اليها عن الفرنسية لشيوع المخاطبة بها في ربوع الشام ومصر وغيرها .

أو ليس في العربية الفصحى تعابير خاصة للدعاء والهناف ؟

بلى ، ان للعرب هتافات مختلفة يصيحون بها بحسب اختلاف المقام ، فتراهم يقولون : مرحى ! للرامي اذا اصاب ، قال أبو عمرو بن العلاء : اذا رمى الرجل فأصاب قيل مرحى له ! وهو تعجب من جودة رمية ، وذلك كما يقول الفرنجة في هذا الموقف ! Bravo ، وقال أمية بن أبي عائذ :

يصيب القنيص وصدقاً يقو ل مرحى وأيمى اذا ما يوالي !
وقال صاحب اللسان مرحى وأيمى ، كلمة التعجب شبه الزجر واذا اخطأ قيل له برحى !

ويقولون ايضاً في مقام الدعاء للأوداء : سقياً له ورعياً ، وسقياً ورعاه : قال له سقياً ورعياً ؟ ويقولون في حال الدعاء على الأعداء : نبأ له ! نصب لانه مصدر محمول على فعله كما نقول : سقياً لفلان معناه سقي فلان سقياً .

والتب والتباب هو الخسار ، كأن التب للمصدر والتباب الاسم ، وتبت يدها خسرتا
وفي التزبل العزيز : تبت يدا أبي لهب وتب ، أي ضلنا وخسرتا ، قال الراجز :

أخسرنيها من صفة لم تستقل . تبت يدا صافقها ماذا فعل .

ومن الدعاء بالشر قولهم : جددنا له وعقراً قال ابن منظور في لسانه : وفي الدعاء
على الإنسان : جددنا له وعقراً ! ، وضموها على حد الدعاء على إضمار الفعل غير المستعمل
إظهاره ، وحكى سيبويه : جددته تجديدًا ، وعقرته قلت له ذلك ، أما الجدع فبراد به
جدع الأنف والعقر هو الذبح والقتل ، وأصله أن تضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف
وهو قائم ، ثم اتسع في العقر حتى استعمل في القتل والملاك ، ومنه الحديث أنه قال
لمسلمة الكذاب : وإن أدبرت لعقرنك الله : أي ليهلكنك .

ومثله عقراً وحلقاً ، أو عقرى حلقى ! قال أبو عبيد قوله عقرى : عقرها الله ،
وحلقى : حلقها الله تعالى ، فقوله عقرها الله يعني عقر جندها ، وحلقى أصابها الله تعالى
بوجع في حلقها ، قال : وأصحاب الحديث يروونه عقرى حلقى ، وإنما هو عقراً وحلقاً
بالتنوين لأنهما مصدران عقر وحلقى ، قال وهذا على مذهب العرب في الدعاء على الشيء
من غير إرادة لوقوعه ، قال شمر قلت لأبي عبيد : لم لا تجيز عقرى ، فقال لان فعلى
نجي نعتاً ، ولم تجي في الدعاء ، فقلت روى ابن شميل عن العرب : مطأيري ، وعقرى
أخف منه فلم يذكره ، قال ابن الأثير : هذا ظاهر الدعاء عليها ، وليس بدعاء في
الحقيقة ، وهو في مذهبهم معروف ، وقال سيبويه : عقرته ، إذا قلت له عقراً ، وهو من
باب سقياً ورعياً وجدعاً . وقال الزمخشري : هما (عقرى وحلقى) صفتان للمرأة
المشؤومة : أي أنها تعقر قومها وتتأصلهم من شؤمها عليهم ، ومحالها الرفع على الخبرية
أي هي عقرى وحلقى ، ويحتمل أن يكونا مصدرين على فعلى بمعنى العقر والحلق ،
كالتشكوى للشكر ، وقيل الالف للتأنيث مثلاً في غضبي وسكاري .

ونقول العرب أيضاً : بؤساً له وبؤساً له وجؤساً له ^(١) ، كنه بمعنى ، فالبؤس الشدة
والتوس اتباع له ، والجؤس الجوع ، يقال عند الدعاء على الإنسان ، وانتصايها على

إسجار الفعل ، أي ألزمه الله هذه الاشياء . . .

ومن دعاء العرب بالشر قولهم ^(١) : به الورى وحى خيرا ، الورى يسكون
الراء أكل القيق الجوف وبالتحريك الاسم ؛ ومن أمثالهم أيضاً في الدعاء بالشر قولهم :
بفيه من سار إلى القوم البرى ، قيل في رجل مرسى إلى قوم وخبرهم بأساءهم : والبرى
التراب ، والمراد بالمثل الخيبة . ولعل من هذين المثليين قد تألف الدعاء المسجوع الذي
ذكره ابن مكرم في لسان العرب ونقله عنه صاحب التاج ، قال في اللسان في مادة
خسر مانصه : وفي بعض الاسجاع : بفيه البرى ، وحى خيرا ، وشر ما يرى ،
فانه يخسرى !

ومن دعائهم بالشر تعسا له ، ومعنى التعس في اللغة العثر ، وفي لسان العرب : وان
لا ينتعش العاثر من عثرته وأن ينكس في سفال ، وقيل التعس الانحطاط والعثر ،
قال أبو إسحق في قوله تعالى : والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم ، يجوز ان
يكون نصبا على معنى اتعسهم الله ، والتعس في اللغة الانحطاط والعثر قال الاعشى :
بذات لوث عفرناة إذا عثرت فالتعس أدنى لها من أن أقول : لها .

ويدعو الرجل على بيده الجواد إذا عثر فيقول : تعسا ، فإذا كان غير جواد ولا
نجيب فعثر قال له : لها ، ومنه قول الاعشى : بذات لوث عفرناة ، البيت ؛ قال أبو
الحيثم : يقال تعس فلان يتعس إذا اتعسه الله ، ومعناه انكب فعثر فسقط على يديه وقفه
ومعناه أنه ينكر من مثلها في سمنها وقوتها العثار فإذا عثرت فيها قيل لها تعسا ، ولم يقل
لها « تعسك الله » ولكن يدعو عليها بأن يكبها الله لمنخريها

والتعس أيضا الحلاك قال الشاعر :

وأرماحهم ينهزنيهم تنهزُجمة يقين لمن أدر كن : تعسا ولا لها

وفي الدعاء : تعسا له ، أي ألزمه الله هلاكاً ، وتعسا لك ولكم ولكم والكن ،

ولهولها ولها ولهم ولهن ، متصرفاً مع الضمائر .

والحجر من الفاظ الدعاء أيضاً في القرآن ، جاء في موضعين منه وهما : ويقولون حجراً

(١) انظر مجمع الامثال للميداني .

محجوراً ، وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً ، وقال ابن عباس وأهل التفسير الذين يعتمدون مثله : هذا من قول الملائكة قالوا للمشر كين : حجراً محجوراً ، أي حجرت عليكم البشري : فلا تبشرون بنجد ، وقال الفراء : حجراً محجوراً ، أي حراماً محرماً ، كما تقول حجر الناجر على غلامه ، وحجر الرجل على أهله ، وكذلك حجر الحكام على الأيتام ، أما الليث فإنه يقول : كان الرجل في الجاهلية يلقى الرجل يخافه في الشهر الحرام فيقول : حجراً محجوراً ! أي حرام محرم عليك في هذا الشهر فلا يبدؤه منه شر ، قال : فإذا كان يوم القيامة ورأى المشركون ملائكة العذاب قالوا : حجراً محجوراً ! وظنوا أن ذلك ينفعهم كفعلهم في الدنيا .

فتركيب (حجراً محجوراً) كان على قول الليث من عبارات الجاهلية التي يقال لاقضاء الشر في الشهر الحرام ، فلا يمكن تسميها إلا بتجاوز لاقضاء كل شر وفي كل شهر . وهناك أدعية أخرى في الخير والشر لا تخرج بمعناها عما نقلناه ، ولعل أفضل ما يستعمل لذلك ادعية القرآن ، سفر العنبر والعروة الخالد ، فقد جاء فيه من الفاظ الدعاء بالشر : التب والبعد والسحق والتعس والحجر كقوله تعالى : تبث يدا أبي لب و تب ، إلا بعداً لعاد قوم هود ، إلا بعداً لمدين كما بعدت ثود ، وقيل بعداً للقوم الظالمين ، فسحقاً لأصحاب السعير ، فتعساً لهم وأضل أعمالهم ، ويقولون حجراً ومحجوراً . والدعاء بالبعد أكثر ما استعمله الكتاب المبين في مقام الدعاء بالشر ، ويستحسن كثير من أعضاء مجمعنا استعماله بدل (فليسقط) ، وإن انتهاء (بعداً) بالالف يساعد على الجهر بالصوت ، وإذا أريد زيادة المبالغة في الشر اردفت بدعاء (وسحقاً) ، وفي نتهى أيضاً بالالف تفتح الفم وتزيد في الجهر بالدعاء ، فيصبح الشعب في الدعاء على أنصار الفتن مثلاً : (بعداً) ، وفي الدعاء على أعداء الوطن : (سحقاً بعداً) أو (سحقاً لهم وبعداً !) يجوز بحذف الجار والمجرور وبإتيانهما كما في المثالين .

وأما في مقام الخبر فيدعو الماتف بلفظة (رُعيا) وفي الرعاية معنى الحياة الموجود في لفظة يعيش ، فيصبحون مثلاً : (رُعيا لأصحاب المعاهدة) أي رعام الله !

التنوين

الجزء الثاني

المعجمية العربية

في ضوء الثابتة والوليفية السامية^(١)

La lexicologie arabe à la lumière du bilittéralisme
et de la philologie sémitique.

تمهيد

العربية مبعثة للخلاف بين المنقطعين لدراستها ، فمنهم من يرى فيها الكمالات ،
لا بل الكمال عينه ، فيمدح ويطري ، ، ويعظم ويبحل ، ويقدرس ويؤله . ومنهم
من لا يجد فيها سوى الشوائب ، لا بل المعاب كله ، فيذم ويقدرح ، ويحط ويرذل ،
ويشتمز وينبذ .

على أن كلا من الفريقين على خطأ شائن ؛ لا تقيادهم في أحكامهم ، لا إلى العقل
والمنطق والحق ؛ بل إلى العواطف والخيال ، والظواهر والأغراض الشخصية .
الحق أن العربية - كسائر اللغات - غير خالية لا من الفث ولا من السمين .
واذ كانت ، بيد أهلها ، وسيلة للتعبير عما يجالج عقولهم من الخواطر ، ويلج في أفئدتهم
من العواطف ، كان حظها . كحظهم ، من كمال ونقصان ، فإنهم ارتفعوا لرتفعت ،

(١) نشر هذه المقالة بما فيها من الآراء في هذه المجلة الغراء ، طبقاً للمبدأ
المصرح به من قبل إدارتها ، وهو « أن مجلة المجمع العلمي حلبة رحبة للبحث الحر ،
والمناظرة العلمية » (مجلد ١٤ ، جزء ٤ ، ص ٥٢ ، في الحاشية) .

وان هم انخطوا انخطت ، وان هم هبوا من سباتهم هبت معهم ، وصفوة القول : شأن اللغة مجازاة أحوال المتكلمين بها .

العربية اليوم في عصر انتماش ، سبقته حقبة خمود وجمود طويلة . ولا تزال المساعي مبذولة لسدّ الخلل الطارئ عليها من شتى الوجوه . ومن نواحي اللغة للمفتقرة الى الاصلاح هي دون ربب : ناحية المعجمية . فإنها كانت منذ القديم - وهي في عصرنا هذا أكثر من كل عصر - مظنة للمذام والمطاعن .

بما يعزى الى المعاجم العربية أنها خلوت من المنطق في المعاني . فلا هناك دقة في التحديد ، ولا وضوح في الشروح ، ولا تناسق في الألفاظ ، ولا تناسب في المشتقات ، ولا لتابع في التطورات ؛ مما باقى المطالع والمتقصي في حيرة وارتباك ، فتشأ فيه السامة والنفور ، فينحي باللائمة على اللغة وأهلها ، وعلى المعاجم ومصنفيها . إن الحق يضطرنا الى التسليم بصراية هذا الاعتراض والإقرار بوجود العيب في كتب لنتنا .

أما لسد هذا الخلل ، فالوسائل متعددة ، قد شمر أرباب اللغة في عصرنا - كل حسب اختصاصه - الى التوصل بشي منها .

على أن هناك ذريعة من أنجع الذرائع للمعجمية العربية ، ألا وهي درسها على ضوء « الثنائية » والألفية السامية » وهذا ما قد نفعنا له ، فكان لنا بمثابة المفتاح لفك مغالتي كثيرة في ذا الشأن ، وما هذا المقال سوى مثل للأسلوب الذبي تبعه في هذا العلم الجليل ، ودليل من الدلائل على ما ينجم عنه من الفوائد الجمّة .

(١) فعل « أَمَرَ »

اطلب هذا الفعل في المعاجم العربية ، ترّ له المعاني الآتية :

أَمَرَ - طلب إنشاء فعل .

أَمَرَ (الشيء) كثير ، تَمَّ ، نَمَّا ، اشدَّ .

أَمَرَ - صار أميراً .

- تَأْمَر - تساط ، تحكم .
- الأَمْر - الشيء ، الحال ، الشأن .
- الأمر - الأمر العظيم .
- المؤتمر - القِتر^(١) ، التكبر .
- الأَمَار - العلم .
- الأَمْرَة - الراية .

تؤمور - (واحد التأمير) وهي الاعلام في المفاوز ، أي حجارة مكومة بعضها على بعض .

في الآرامية السريانية :

Emar : قال ، حكى ، أخبر ، قضى ، ارتأى ، أمر ، وصف ، مدح ، وعظ ، أنشد .

في العبرية :

- Amar : تكلم ، لفظ ، أمر ، افكر ، تخيل ، قنع ، افترض ، قصد .
- Amir : قمة ، علو ، جبل ، شجرة .
- Yetamru : يتعالون ، يتكبرون .

في الآكدية :

Amāru : قال ، ظهر ، أظهر ، أبان ، قدم ، نظر .

في الحبشية :

Amara : علم ، دل ، ظاهر ، نصيح .

(١) المجمع : يطلق « المؤتمر » على معاني منها المنبذ برأيه والسابع من أيام العجوز وشهر المحرم كما أنشده ابن الأعرابي :

نحن أجربنا كل ذبال قِتر في الحج من قبل دآدي المؤتمر
وقسر نعلب القِتر بالتكبر كما في اللسان ، فالقِتر للتكبر لا المؤتمر .

Amr : النهار ، اليوم ، أول يوم .

في السبئية :

Amar : عال .

فأي مطالع لا يقع في حيرة تجاه هذه المعاني المتضاربة هذا التضارب ، مع أن الأصل واحد - وهو لا يجد الاختلاف واقعا بين معاني لغة ولغة أخرى من أخواتها ، بل إن التباين ظاهر في داخل كل لغة على حدة ؛ إذ أن اليون لشاسع بين معنى القول والشدة ، والنمو ، والتسلط ، والتفكر ، والظهور ، والتقديم ، والنظر ، والعلم ، والعلو - فإن لهذا الأصل العام كل هذه المدلولات المتباعدة .

لكن ما نراه عسير الحل ، تحله لنا « الثنائية والالسية السامية » وتوازرها في ذلك العربية ، فلها من هذا القبيل الأفضلية .

لتشرع بتطبيق المبدأ الأساسي للثنائية وهو أن أصل الالفاظ ثنائي لا ثلاثي ، ومن ثم لرد الثلاثي « أم » إلى ثنائي بحذفنا منه « الراء » ، بقي الأصل « أم » ، وإذا كشفنا عن هذا الثنائي في المعاجم نجد له المعاني التالية :

أم (في كلمة الامت) : المكان المرتفع .

أم : أضحى ، أماما : (عاليا) .

الأم : العلم الذي يتبع الجيش .

الأم : الرئاسة ، العلو ، أم الرأس ، فته .

الآمة : القامة ، الوجه .

الأمم : الجلي من الامور .

فالثنائي « أم » متضمن معنى الارتفاع والجلال ، في ذاته وفي مشتقاته . وهذا يفك لنا هذا اللغلق في العربية وفي أخواتها السلية ، لانتنازعي في هذا الثنائي مبدأ منطقيا لتطورات كل المعاني الاخرى المنسوبة الى الثلاثي « أمر » .

(أ) يظهر لنا معنى الارتفاع في العربية متناسبا في « أمر » ، علوا آميرا أي عاليا ،

مرتفعاً ، وفي « أمر » : كثيراً ، نما ، تم ، اشتد : لان هذه الالفاظ تدل على الارتفاع — والنمو بنشأ عن القوة والشدة ، وفي « تأمر » تسلط أي تعالى — في « الأمر » ، العظيم أي العالي — في « المؤثر » للتكبر ، أي المتعالي — في « الأمار » : العلم : أي الشيء المرتفع — في « الأمرة » : الراية أي المحل المرتفع — في « تؤمور » الحجارة المكومة ، أي المرتفعة .

في العبرية يظهر معنى الارتفاع في كلمة « amir » قمة ، علو ، جبل ، شجرة . وفي لفظة « Yitamru » يتعالون ، يتكبرون .

٢ () إن الشيء إذا كان مرتفعاً ، اتصف بصفة الجلاء والوضوح ، إذا برتفاعه يكون ظاهراً للعيان ، وهذا ما نراه في العربية في كلمة « الأمام » وهو الأمر الجلي ، وفي الأكديّة في معاني « Amaru » ظهر ، أظهر ، أبان . وفي الحبشية في « Amara » ظاهر ، فصيح ، وفي Amir : نهيار ، اليوم ، أول اليوم ؛ وكل ذلك بمعنى التور ، والنور منه الجلاء والوضوح .

٣ () وإذا كان الشيء واضحاً جلياً سهلت رؤيته ، فمن ذلك في الأكديّة معنى : « Amaru » نظر .

٤ () وإذا هان النظر الى شيء أمكن الافتكار فيه ؛ ومن هنا جاء في العبرية المعاني الآتية لكلمة « amar » افكر ، تخيل ، افترض ، قصد . وفي السريانية « Emar » لرأى .

٥ () وإذا أمكن الافتكار في الشيء سهلت معرفته وتعريفه ، فجاء في الحبشية : Amara بمعنى : علم ، ودل . وفي الأكديّة Amaru : قدّم .

٦ () وإذا كانت التعريف والتقديم يجري عادة بالكلام بطريق الاخبار أو الوصف وما أشبه ذلك ، وردت في الآرامية « Emar » بمعنى : قال ، حكى ، أخبر ، قص ، وصف . وفي العبرية « amar » : لفظ ، تكلم . وفي الأكديّة Amaru : قال .

٧ () وإذا كان الكلام لا يستعمل للقول والاخبار فقط ، بل لإصدار الإرادة ، نرى في العربية « أمر » بمعنى طلب إنشاء فعل . وكذلك في السريانية amar : أمر . وفي العبرية Amar : أمر .

٨ (فضلاً عن هذا فالكلام وسيلة للمفاوضات والتعليم ، وعليه ففي السريانية تدل Emar على معنى وعظ . وفي العبرية amar : قنع .
٩ (يستعمل الكلام أيضاً للمدح وما يشبهه ؛ ومن ذلك جاءت Emar السريانية بمعنى : مدح ، أنشد .

وهكذا فككنا هذه للغات بمفتاح الثنائية والألينية السامية .

٢ (حمر وخمر

إن هذين الثلاثين مفترقان في العربية ، إذ فاء الواحد حاء وفاء الثاني خاء ، على أنهما قد استحالوا إلى أصل واحد في غيرها من اللغات السامية ، إذ لا وجود للحاء في السريانية ولا وجود للحاء العبرية ؛ بيد أن معاني الاثنين لم تنزل برؤال افتراق الحرفين . نسرد مدلولات هذه الأصول في اللغات الثلاثة : العربية ، والآرامية ، والعبرية ، ملحقين بها الشيء القليل الوارد في الأكديّة والحيتية .

العربية :

حمر : الخارز سيرة ، سحابطه بجديدة ، ثم ليتنه ، ثم خرزه - سلخ الشاة ،
قشر الجلد ، حلق الرأس .
حمر : تغيرت رائحة فيه ، - فلان تحرق عليك غيظاً ، سيق الفرس أي انخم .
احمر : صار أحمر .
انحمر : انقشر .
الحمار : النفاق من ذوات الأربع .
الحمر : المتحرق غيظاً .
الحمر : القار .

خمر : ستر ، استجيا ، جعل في الدقيق الخمرة ليختمر .
خمر : خفي ، تغير عما كان عليه ، (فيه معنى الاختفاء) .

- خمر : (يئنه) لزمه • خمر موضع الخمرة ، ستر وجهه •
 أخمر : حقد ، ستر •
 الخمار : أذى الخمر وصداعها •
 الخمار : النصف ، ما تغطي به المرأة رأسها •
 الخمر : المسكر الذي يخامر العقل أي يغطيه ، لكن الاصوب :
 الذي يغير حالة العقل •

السريانية :

- Hmar : خمر ، اختمر •
 Hamra : خمر ، عصير ، نبيذ •
 Hamara : حمار •
 Hammar : أسكر ، خمر •
 Hamra : خمير •

العبرية :

- Hamar : غلى ، اختمر ، انتفخ ، أزيد ، طلي بالزفت أو القار ، حتر بالنار ،
 أسرق ، قلق ، اضطرب ، كوثم •
 Hemer : الخمر ، النبيذ •
 Hemor : الزفت ، القير •
 Homer : الصلصال ، طين الخاتم •
 Hamar : خمر •
 Hemar : حمار •
 Homer : كومة •

الحبشية :

- Hamara : احمر •

• Hamar : حَمَار

• **Hamag** : حمة حمراء •

الأُكْدِيَّة :

Haméridi : خنى ۽ تغطى .

• Hamru : مخفی

Hamdritu : داخل الخنجره - الحلقوم .

• **emêra**: (ح) حمار

كل هذه الثلاثيات المتضاربة المدلولات في مختلف اللغات الاخوات يمكن التوفيق بينها اذا رددناها الى الثنائيات التالية وهي :

الغريبة:

(حَمْدُ) : التَّوَرَّعُ ، أَوْقَدَهُ ، سَجَرَهُ ، مَخَّنَ الْمَاءَ ، أَذَابَ ، قَضَى لَهُ (اللَّهُ) حَمْدُ الْأَمْرِ : قَضَى قُدْرَ .

حَمٌّ: صار (الماء) حاراً - صارت الجمرَةُ حَمَمَةً أي سوداء .

تَحْمَمٌ : سَخَمَ وَجْهَهُ بِالْحَمَمِ أَيَّ بِالْبُورِ — اسْوَدَّ ، نَبَتَ ، طَلَعَ ، نَبَتَ شَعْرَهُ .

الحمام : الموت ، القضاء ،

المقام : دار الاستحمام .

الجمعة : الشدة .

الحبيب : الغريب الذي نهتم لأمره ونودعه ، الماء الحار .

الاحم : الاسود

(خَمْ) خَمْ الْيَيْتَ كَنْسَهُ ، حَلَبَ النَّاقَةَ ، كَسَحَ الْبِئْرَ وَتَقَاهَا ، بِ: اللَّحْمُ أَثْنٌ .

خما : اللين ، اشد .

السريانية :

Ham: حمّ، حرّ، خمّ، آثَن، كَنس، قَم، ذَبُل، جَف، تَلَهَف، هَاج

Hammem : احمم ، اذوى ، احمم ، ارحم ، اثار .

Hmimta : حمام

العبرية :

Hâmam : حمم

ان المعنى الاصلي الذي منه صدرت المعاني الاخرى منضمن في الثنائي «حمم» وهذه الدلالة تنطوي على «الحرارة» وما ينجم عنها من الاحوال .

(١) من ذلك في العربية «حمم» : صار (الماء) حاراً . في السريانية Ham حمم . في العبرية Hâmam : حمم . ومنه أيضاً في العربية المعتدي «حمم» : أوقد (النور) صجره . - سخن الماء ، أذلب (الشمع) . ومنه «الحميم» للماء الحار ، والحمام : دار الاستحمام . وفي السريانية Hmimta حمام .

(٢) ولذا كان من نتائج الحرارة أن تجعل الحمي يتصف بلون السواد ، جاء في العربية : «حمم» بمعنى صار أسود ، و «حمم» سخن وجهه بالحمم اي بالسواد : لسود . ومنه «الاحم» الاسود .

(٣) ومن مفاعيل الحرارة الانماء . وعليه كان من معاني «حمم» نبت ، طلع ، نبت شعرة .

(٤) ومن خواص الحرارة الاشتداد ، ومن ذلك جاءت «الحمة» بمعنى الشدة ، و «الحميم» القريب الذي نهتم بامر له لحيثنا اياه بشدة .

(٥) وما ينجم عن الحرارة دفع العامل على قضاء الامر ، فكان المعنى المجازي «حمم» دبر ، حمم (الله) ومنه «حمم» أي قدر وقضي . ومنه «الحمام» أي القضاء ، وهو الموت .

(٦) من خواص الحرارة ان تجمع عناصر التي بعضه الى بعض ، من ذلك «خمم» كخنس ، حلب الناقة ، اي جمع حلبها ، كسح البشر وقاها : أي جمع الاوساخ التي فيها ، وفي السريانية Ham : كخنس ، خمم .

(٧) والحرارة اذا دامت تولد الضعف في الشيء ، من ذلك في السريانية Ham ذبل ، جف . و Hammem اذوى .

- (٨) الحرارة تولد التهييج . وعليه ترى في السريانية Ham : هاج ، تلهم .
 (٩) الحرارة تنشئ الفساد . من ذلك في العربية « خم » : أثن . وفي السريانية Ham : اثن .

(١٠) الحرارة تولد النور ، فمنه في السريانية Hammèn انار .
 لناخذ الآن الثلاثي من هذا الاصل ، وهو المزيد فيه رأ .
 (١١) الحرارة تمدد وتلين ، والناتج من ذلك سهولة السلخ والقشر والحلق ، ولهذا جاء « خمّر » في العربية ، بمعنى : لين وخرز وسلخ وقشر وحلق .
 (١٢) من الحرارة ينشج الغليان والفساد ، والاختار ، ومنه الاختفاء . ولهذا ترى في العربية « خمير » بمعنى تغيرت رائحته ، تحرق غليظاً ، انخم . و « خمير » تغير عما كان عليه ، خفي ، استحيا (مجاز) جعل في الدقيق الخمرة ليختمر . « خمّر » اختفى في يته ، وضع الخمرة ستر وجهه . « أخمّر » حقد . « الخمر » المسكر الذي يخامر العقل ، أي يغير حالته . او الخمر عينه أي تغير حالته . « الخمار » اذى الخمر وصداعها : أي تغير حالة شاربها . « الخمار » التصيف أي ما تغطي او تخفي به المرأة رأسها . وفي السريانية Hmar خم ، اختمر . و Hamra خمير . و Hammar اسكر ، خمّر . و Hamra خمير . وفي العبرية Hâmar : غلى ، اختمر ، انتفخ ، ازبد .
 Hêmér خم . وفي الاكدية Hamârû خفي ، تغطى . و Hamru محتمى . و Hamûritu حلقوم .

(١٣) الحرارة نواد النمو والارتفاع والتجمع . منه في العربية Hamur : كرم و Homêr كومة .

(١٤) الحرارة تخمر ، ولهذا نرى في العربية Homêr : الصلصال أي الطين المختمر .
 (١٥) الحرارة نواد الغليان الحقيقي ، ومنه الغليان المجازي . من ذلك في العربية : « لخمّر » الزفت والقار ، وفي العربية Hêmôr الزفت . ومنه ايضاً ، مجازاً ، في العربية Hêmar اضرب . قلق . وفي العربية « لخمّر » المتحرق غليظاً . ومنه ايضاً في العربية : « الخمار » وفي السريانية Hmâra وفي العربية Hemôr وفي الاكدية Emêra وهو الحيوان النماق عند هيجانه .

(١٦) الحرارة ، اذا اشتدت ، حمرت لون الشيء : من ذلك في العربية Hamar حمُر . وفي العربية «احمر» صار احمر . وفي الحبشية Hamara احمر . وفي العربية : «حمُر» صار احمر .

وانت نرى أننا بفضل الثنائية والالسية السامية توصلنا إلى التوفيق بين هذه المعاني الظاهر فيها الاختلاف والتضارب ، اذا درست في الاصل الثلاثي فقط ، او اذا اجتزى باعتبار معانيها في كل لغة على انفراد .

٣ - مَرَج . مَرَج

العربية :

مَرَج : مَرَجَتِ المرأة شعرها ضفرته ، مَرَج الرجل : كذب ، مَرَج : حَسُن وجهه
مَرَج : حَسُن ، نَوَّر . اختلق الحديث .
مَرَج : كاذب ، مَرَج على الفرس السراج ، أوقد السراج .
مَرَج : مصباح
مَرَج : رحل الدابة

مَرَج : كذب ، مَرَج الشراب بالماء ، الخريطة : داخل بين اشراجها وشدها
أشرك فلاناً في الأمر ، جمع الشيء ، جمع اللبن بعضه الى بعض .
مَرَج : مثل شرح - خاط الثوب خياطة متباعدة .
العربية :

Sàrag ضفر ، شبك ، حاك ، خلط ، مَرَج .
Sàrig شريحة ، احتباك .

السريانية :

Srag : مَرَج ، ضفر ، شبك ، عقص ، نسج ، حاك ، شرح ، آلف ، نظم ،
أمرج الفرس .
Sarrag : نسأح

Srīḡta : شريجة ، جوالتي من خوص ، حصيد ، باريدة ، شبكة ، حبولة .
Sarga : سرج .

Šrag : شروق ، ضاء ، زهر ، حسن ، جهر ، بحر ، عجمي .
Šarrag : سرج ، ضاء ، أبحر ، اعجمي .
Šrāga : سراج ، نور ، الشمس .
الحبشية :

Māsāgarēt : شبكة .

هذه هي الثلاثيات ، والاختلاف والتباعد بين معانيها يتن . فحل هذا ، لترد
الثلاثيات إلى ثنائياتها وهما هي ذي :

العربية :

(سج) سج : سلحه : القاء رقيقاً . سج الطائر : حذف بذرقه . القى النعام ما
في بطنه ، سج : الحائط طينه .
(شج) شج : مزج الشراب بالماء ، جرح الراس والوجه ، شقت السفينة البحر
وقطع السائح للمقازة .
شاج : القوم : شج بعضهم بعضاً .

السريانية :

Sāgā : حشو من صوف ونحوه .

Šag : دَعَكَ ، خضخض ، فرك ، داف الدواء بمادة سائلة ، طلى ، سحق ، كسر
Šagi : أشجى ، اغص .

العبرية :

Šagag ، اخطأ ، غلط بدون تعمد .

إن المعنى البسيط الأصلي المحتوي في الثنائي هو الذي منه اشتقت بقية المدلولات متطورة في مختلف اللغات الاختروات ، هو متى السيل والدخول والتخلل .

(١) فذاك ظاهري (سج . وشج) في العربية . وكذلك في «Sag وSag» في السريانية . أما Sagag : العربية فمعناها : اخطأ دون تعمد بدل أيضاً على التلطف : لأن الغلط خلط ، أو ادخال شيء في شيء دون تعمد .

(٢) أما الثلاثيات فيمكن التوفيق بين معانيها استناداً الى المعنى الأصلي في الثنائيات . ففي العربية سرجت المرأة شعرها صفرتها ، أي أدخلت بعضه في بعض . وسرج : مزيج الشراب بالماء ، أشرك غلاتنا في الأسماء جمع الشيء ، جمع اللبن ، داخل أسراج الخريطة ، وسرج : خاط خياطة متباعدة . وكذلك في السريانية Srag وفي العربية Sârag : خضر ، شبك ، عقص ، نسج ، حاك ، خلط ، مزيج ، ألف ، نظم طلى ، فكها بدل على إدخال شيء بشيء ، ومن ذلك أيضاً في السريانية Sarrag تساح أي حمل السلاح شاكاً أو مدخلاً بعضه بعض . و Srigta شريجة ، حصيرة ! جوالق من خوص ، بارية ، شبكة ، احبولة . وفي العربية Sârig شريجة ، احتباك . وفي العربية : شريجة وفي الحبشية Masâgarêt شبكة فهي كذلك تعني الاشتباك والتداخل (٣) إن إدخال الشيء في الشيء يأتي من باب الحجاز . فمن ذلك ورد في العربية لكلمة «سرج» معنى الكذب ، لأنه إدخال الحق في البطل . ومنه «سرج» اختلق الأحاديث .

(٤) ومن كمالات الشيء أن تكون اجزائه متداخلة محتبكة بنظم . فلذلك جاء في العربية معنى الحبن لكلمة «سرج» ومنه المزيد «سرج» حبن وفور .

(٥) السرج بمعنى الرجل آت من تركيبه ، فإنه يصنع عادة من القطن أو الصوف أو غير ذلك ، مما يستلزم حشوه ، أي تداخل مواد بعضها بعض . وكذلك السريانية Sarga ومن ذلك فعل «أسرج» في العربية ، وفعل Srag في السريانية ، بمعنى أعد السرج أو الرجل على الدابة لركوبها .

(٦) إن الشيء إذا كان متقن الصنعة ، حسن التركيب كان جميلاً ، وإنه لم يكن ينشئ البهاء والضياء . ولذلك جاء في العربية «ميراج» بمعنى المصباح ، وفعل أسرج

بمعنى أوقد المصباح ٠ وكذلك في السريانية كلمة Šrāga سراج ونور وشمس ٠ ومنه فعل Šrag شرق ٠ ضاء ٠ زهر ٠ حسن ٠ وفعل Šarreg لازيد بمعنى سرج أضاء ٠
 (٧) وإذا كان بعض الأحيان يسطع النور بزيادة وشدة مما ينجم عنه مضرة للنظر جاء Šrag في السريانية بمعنى يهز وعي ٠ والزيد Šarreg دل على أبهر وأعمى

٤ - خَلَق ٠ خَلَقَ

العربية :

خَلَقَ : الرأس ٠ أزال عنه الشعر ٠ أي قطعه ٠ قدر الشيء ٠ أي قطعه عن غيره
 بالتمييز ٠ المعزى ٠ إذا أخذ أو قطع شعرها ٠ القوم بعضهم بعضاً ٠ أي
 قتل أو قطع ٠ السنة استأصلت ٠ أي قطعت كل شيء ٠ الشيء قشره أي
 قطعه ٠ على اتم فلان ٠ أبطل أي قطع رزقه ٠ ضربه على حلقه أي قطعه
 ٠ الضرع حلوفاً : ذهب لبنه أي انقطع ٠

خَلَقَ : شكاً حلقه

الخَلَقَ : محل الدبح أي القطع

خَلَقَ : الأديم قده قبل أن يقطعه ٠ أبدع شيئاً على غير مثال سبقه ٠ اقترع
 الأفك ٠ صنع الكلام أو غيره ٠ سوى العود ٠ لين الشيء ٠

خَلَقَ الثوب : يلي

خَلَقَ : املاص

خَلَقَ : صار له مخلق حسن ٠ خَلَقَ الشيء لفلان ٠ كان خليفاً له ولاق به ٠

الخَالِقُ : صانع الأديم

الخَلْأَق : النصيب

العبرية :

Hālaq : قسم ٠ وزع ٠ حصص ٠ جدد ٠ حكم ٠ أعلن ٠ أين ٠ اصلع ٠ سوى
 عدل ٠ اختلق ٠ اعطى ٠ فلق ٠ عري ٠ خلق ٠

Helêq : قطعة ، حصة ، أرض . « إرمية » Helqâ قطعة أرض « حقل » Helag
حقل — Hulqâ حصة .

السريانية :

Hlaq : قسم ، خلق ، وزع ، اعطي ، قدر ، قضى ، خلق .

Helqâ : خلاق ، نصيب ، قدر .

Halqâ : حقير ، ضعيف .

Halqâ : قطعة

Haqla : (مقلوب) حقل ، منبرعة ، صحراء .

الحبشية :

Hilêqê : عد

Hilaqê : تعداد

Hulaqâ : العد أي فصل الشيء لو قطعه عن غيره .

الأكديّة :

Eqû « ح : حقلو » حقل ، ملك ، عقار .

بعد سرد هذه الثلاثيات ، لنأت بثنائياتها .

العربية :

(حق) : الامر ، صار حقاً ، ثبت ، وجب

الامر ، أثبت ، صدقه ، اوجه

ركب ، حاق الطريق ، أي وسطه

في حاق رأسه ، أي وسطه

الحق : الموجود ، الامر المقضي أي المقطوع — العدل أي المقطوع —

العدل المتساوي أو المقطوع — وسط الرأس .

(حق) : حق : السيل في الارض ، حفر فيها حفراً عميقاً

الحق : الشق في الارض (في كل هذا معنى القطع)

العبرية :

Hâqqaq : قطع ، قطع ، حفر ، تفر ، طبع ، كتب ، رسم ، أتمس ، أثبت ،
امر ، اوصي ، أعلن ، وضع ، حل للشكل ، حتم ، حدد ، قضى ، اشترع
Hôq : شريعة ، وصية ، قاعدة ، دستور ، حد ، عادة ، عمل ، واجب ، نمط ،
حق ، أمر ، تنظيم .

السريانية :

Hâqa حق

الحبشية

Heq (صفة) كاف ، متهاود ، معتدل

المعنى الاساسي كما ظهر ، هو في التانيات معنى القطع ، وهذا ثابت في كل تطورات
هذا اللفظ وتقلبات مدلولاته .

(١) وظهور معنى القطع هذا جلي في العبرية في كلمة Hâqaq (الاصل Haq) فإن
أول معانيها قطع ، وهو باق في بقية تلك المعاني .

في المعاني الحقيقية المحتوية في : حفر ، تفر ، طبع ، رسم ، كتب فاتها كلها تستلزم
القطع ، ومنها المعاني المجازية وهي : أثبت ، حتم ، قضى الخ . . وكذا الحال في اسمها
Hôq حقيقة ومجازاً .

اما في العربية ففي الاصل الذي فلو مخاء وهو (حق) فمدلول القطع ظاهر ، اما
الاصل الذي فاؤه حاء ، فليس يظهر فيه القطع ، لاول وهلة ، فانه بمعنى ثبت ووجب
اي صار حقاً . لا يمكن تأكيد المقطع فيه الا من معانيه الاخرى مثل حق ، ركب
حلق للطريق ، اي وسطه . وهو لم يتطلب القطع . ثم من (الحق) الامر المقضي
اي المقطوع .

(٢) اذن الامر جلي في الثاني ، وهو ان للمعنى الاساسي فيه (المقطع) ، واستناداً
إلى هذا يمكننا التوفيق بين معاني الثلاثيات في هذه اللغات . في العربية (حلق) في

كل معانيه ، يدل بوضوح على القطع . أما « خَلَقَ » فمدلوله الأول فيه القطع . أما المدلول الثاني أي : أبداع الشيء على غير مثال سابق ، فمأخوذ من المعنى الأول المادي أي القطع : فلن الأبداع هو كالصنع ، لكن من لا شيء - والصنع مادياً يتوقف على القطع ، مثل النجارة ، والحداثة ، وعمل التماثيل . فكل هذا يتطلب قطع المادة بعضها من بعض لإخراج الجزء الصالح للشيء المصنوع ، ومن هذا معنى الصنع ، اشتق المعنى التابع ، وهو افتراء الأفك . و « خَلَقَ » بمعنى لين ، وسوى ، يفترض أيضاً القطع ، أما « خَلَقَ » الدال على البلى فيحتوي أيضاً على مدلول القطع ، لأن الشوب البلى أو الخلق هو المنقطع . أما « خَلَقَ » بمعنى : حزن بذاته ، فهو صادر من الخلق ، لأن الشيء الموجود حسب متطلبات كيانه هو الجميل ، والإنسان الحسن التركيب ، ليس مادياً فقط بل اديباً ، هو الحسن الخلق . ومن ذلك « خَاقَ » الدال على اللبابة ، و « الخالق » صانع الاديء ، أي قاطع الجلد ، وهذا يثبت ان « خَاقَ » تدل في الاصل على القطع .

(٣) وعلى هذا النمط جاء معنى Hālaq العبري و Hlaq السرياني . أي للدلالة على القطع ، حقيقة ومجازاً . فحسب المعنى الوضعي ، كان مدلول Hālaq : قسم ، وزع ، حصص ، صقل ، أصلح ، حدد ، فرع ، سوى ، عدل ، خلق - وبمعناه المجازي دل على : اختلف ، حكم ، اعلن - كذلك السرياني Hlaq معناه الوضعي : قسم ، وزع ، خلق ، خاق ، ومعناه المجازي : اعطى ، قدر ، قضى .

(٤) ومن ذلك في العربية : الخلاق : وفي السريانية : Helqā ، وفي الأرامية : Hulqā بمعنى : النصيب والقدر ، والقسمة . ومنه أيضاً العبري Hêlêq حصة ، قطعة ، ارض . والسرياني Halqā قطعة و Haqla (مقلوب) حقل - و Hêlaq حقل ، أي قطعة ارض . والاكدى Eqlu (حقلو) حقل ، عقار ، ملك .

(٥) واذا كان المقسم إلى اجزاء مآله الضعف وحاله الخقارة ، جاء Halqā السرياني بمعنى : الضعيف والحقير .

(٦) وبما أن العد لا يتم الا بالتقسيم ، جاء في الحبشية وحدها هذا الاصل بمعنى العد . من ذلك Hilêqā و Hulaqa عد - Hilâqè تعداد .

(٥) حَبَل - خَبَل

العربية

حَبَل : شدّ بالحبل - حبلت فلاناً ، شقت قلبه - صاد بالحبال
 حَبِلَتْ : المرأة ، حملت - حبل من الشراب والماء ، امتلأ بطنه وانتفخ ،
 حَبَلَت العين القذى ، لزمت ولم ترم به
 حَبَل : الزرع ، قذف بعضه على بعض
 الحَبْل : الرباط ، الوصال

خَبَل : حَبَسَ ومنَعَ عن كذا - افسد عقله - افسد العضو
 خَبِلَ : فُسد - جُن (اي منع عقله)

العبرية

Habal : حَبِل ، فُسد - اُخرب ، ربط
 Habula : جُرِّح - جُرِّم

السريانية

Hbal : حَبِل ، شد بالحبل - نَصَمَن - لَقَح - مَحَض ، ولد
 Habbel : خَبَل شدّ بالحبل - اُفسد - اُتلف - اُفترس - حَرَق - اُساء - اَذَى .
 هذه هي اهم معاني الثلاثيات . وظاهر ما فيها من الاختلاف ، لكننا نلجأ الى الشائبة
 لكشف للمعنى :

(١) ان الشائبة الحاوي للمعنى الاصلي لهذه الالفاظ تُعَيِّنُنا على وجوده السريانية ،
 اذ فيها الشائبة « Hab » وهذه معانيه : ضَم ، عَانَق ، احتَضَن ، لَثَم ، اُرْخَم ، اُحِب -
 وكلها تدل على ضم الشيء الى الشيء .

(٢) من هنا ينتج ان حبّ او أُحِب في العربية ، و Habab في العبرية ، الدالين
 على المحبة ، إنما دلالتهما الاصلية هي الضمّ الذي من مظاهره المعانقة ، أي ضم الواحد
 الى الآخر .

(٣) والاصل الثنائي العربي الذي فاؤه خاء يأتي بمعنى الخفاء والتزول ، ومقابلته في ذلك Haba العبري ، و Haba' الحبشي ، تتضمن كلها معنى ضم شيء الى شيء بوصول لا يرى (٤) جبل العربي ، و Habal العبري ، و Hbal السرياني تدل على الضم ايضا - حبل - شدة الحبل يرم خيوطه وفتلها ، او بالتد به ، وهو أيضاً الربط . ومثله Habla السرياني وهو الحبل - و Hbal السرياني ، بمعنى « لقع » (اي القى اللقاح في الجف) وهو ضم - والحبل في العربية هو ضم عنصرين - و « حبل » العربي معناه : امتلات البطن وانتفخت ، اي بتجمع الماء او غيره فيها .

(٥) على أن حبل و Hbal و Habal تدل على الفساد . وهذا لا يتم الا بتلاصق المواد أو الاعضاء تلاصقاً فاحشاً ينشأ عنه الجروح - وهذا هو الفساد المادي : ومنه جاء لفظ Habula اي الجرح في العبرية . ومن باب المجاز دل حبل على فساد العقل ، اي الجنون - وورد Habal في العبرية ، و Hbal في السريانية بمعنى الاتلاف والافتراس والخراب ، ومن هذا الخراب صدرت نتيجته الادية اي الجرم - وهو Habula في العبرية .

(٦) ومعنى Habbel العبرية المجازي في السريانية التحريف والاساءة والاذى - واذ دل Hbal السرياني على الحمل جاء من باب التوسع ، بمعنى الطلق والولادة .
(٦) لأم

العربية :

لأم : الجرح ، شدة وجمعه - أصلح
لوئم : كان دنيء الاصل ، شحيح النفس ، بخل

السريانية

L'em : التأم ، اجتمع ، التحم ، التصق
Al'em : الأم ، جمع ، قرن

العبرية

L'om القوم ، الشعب ، الرعا ، اللثام .

معاني هذه الثلاثيات تظهر ثلاثة في اللغات الاحوات الا في العربية ، فان بين « لأم » جمع ، شد و « لوثم » بخل ، كان دني الأصل ، شحيح النفس ، لفرقا بينا ، لكن هذا الفرق يزول ، اذا رددنا الثلاثي الى ثنائي ، وهو :

العربية

(لَمْ) لم : جمع ، ضم ، قارب بين شئتين امور .

اللم ، الجمع

السريانية

Lam : لم ، التقط ، تكلم ، لفظ ، دنا ، اقرب ، أحاط

Lam : لأم ، جمع ، حوى ، أخذ ، قرب ، انتهز الفرصة .

فهذا الثنائي الأصلي يدل بنوع علم على الجمع واللم وضعاً ومجازاً - وفي السريانية حينها يهون إدراك تكلم لفظ ، لأن التكلم يتطلب تارة ضم الشئتين وتارة إبعادهما . بقي الفرق الفاحش بين الفعلين العربيين : (لأم) : شد الجرح ، وأصلح ، هو (لوثم) : كان بخيلاً ، دني الأصل ، شحيح النفس ، فهذا للخلق بفكه الثنائي الدال على اللم والجمع . فان أول ما يدل عليه « لوثم » هو البخل للترقف على جمع الدراهم ، وبما أن البخل لجمعه وحريصه على المال بنوع مفرط يقضي شحيح النفس ، ومن ثم دنيّاً ، جاء (لوثم) يهذين المعنيين ، وهكذا ترى الثنائية والألفية تحلان المشكلات .

(٧) كأم

« كأم » معناه جرح - وأما المزيد : كأم فدلولة : جرح وحدث . وهنا الغرابة : فأين معنى « جرح » من معنى (حدث) ، على أن هذه الغرابة تزول إذا عارضنا اللفظ العربي بما يقابله في العبرية ، ودونكه في هذه اللغة :

Kalam - خجل ، خزي ، حقر

Haklèm (مزیده) أخزى ، أحرز ، أفاق ، حقر ، أهان ، شتم .

فهذا الثلاثي العربي (كأم) يجدر أن يكون قد صدر من الثنائي (كل) : تعب الجائر أن يكون مقلوباً من (لك) الدال على الضرب بالجمع على التقفا . ومن معنى التعب أو الضرب ، انتقل في الثلاثي الى معني الجرح سبغ العربية ، وهذا المدلول

الوضعي لم يرد في العربية ، بل جاء فيها المعنى المجازي ، وهو الضرب أو الجرح الأدبي باللسان ، أي بالآهانة والتحقير . وهذه الدلالة المجازية ليست في العربية ، لكن جاء فيها لهذا اللفظ للمعنى المطلق أي التكلم ، أو الحديث ، والتحدث الذي نوع من أنواعه التكلم الردي ، وهو التحقير ، والمسابات الجارية عادة بطريق الكلام ، وهكذا ترى أن الثنائية والألسنية السامية يتبنان الموافقة الأصلية بين (كَأَم) بمعنى (جرح) و (كَأَم) بمعنى « حدث » .

٨- ضعف

نختم هذا المقال بأسر أغرب من غيره ، أو مشكل أشد تعقداً من أشباهه ، ولكي نطلع القارئ على ما يشكبه المتقضي من الغناء ، أو ما يقضيه من الوقت في مثل هذه الأبحاث ، لانكتمه اتنا دينا مدة أربعة أشهر ساعين في فك مغلق هذا اللفظ المحدود في العربية من الأضداد ، إذ ان (ضعف) يدل على الزيادة ، ثم على النقصان أو الحزال ، في وقت معاً .

نقول هذا عما جرى لنا ، غير جاحدين أن غيرنا ربما فتحت عليهم أسرار المعميات اللغوية في هنية ؛ أما نحن فنقر بأننا لم نحظ بعد بهذا النصيب ، فعمدنا الى الجد والكد ، فان ثمة ذلك ألد .

رأى القارئ أننا نستعين في كل هذه الدروس بطريقتينا العزيمتين المألوفتين ، وهما « الألسنية السامية والثنائية » .

ففي هذه المادة لا سبيل الى استخدام (الألسنية) أي معارضة العربية بغيرها من اخواتها السامية : لأن العربية لغة الضاد ؛ فالضاد لا وجود لها في غيرها .

فما كان منا إلا الاجترار « بالثنائية » . والى ساعة حلنا هذا المشكل ، لم يزل رأينا أن كل ثلاثي قابل الرد الى ثنائي : لاننا على يقين أن الثنائي مبدأ المعاني المتطورة في الثلاثي وما فوقه ، وكنا نحسب أن لكل ثلاثي ثنائياً واحداً ، وطبقاً لهذه القاعدة ، جردنا « ضف » من القين ، فبقينا « ضف » وهذا الفعل يدل على الزيادة ، والكثرة ، لان يقال « ضف » أي زاد عليه ، ويقال كذلك : « ضف وتضاف » القوم على الماء ، أي اجتمعوا وكثروا وازدهروا ؛ ان « ضعف » بمعنى زاد صادر من (ضف)

لكن من أين آت « ضده : ضُعْف » بمعنى نقص ، وفقد قوته ، وهزل ؟ لقد انحلت
العقدة من ذاتها - بعد إطالة الفكرة ، وشحذ القرينة الكليّة مدة ذلك الزمان -
حين خطر لنا فجأة أن نرد هذا الثلاثي ضُعْف الى ثنائي آخر فحاولنا أن نحذف الضاد ،
فحصل لنا عِفْ لكن ذلك لم يف بالمرام ؛ إذ ليس من علاقة بين ضُعْف بمعنى هزل
وعِفْ الدال على المكف والمنع واجتماع اللين في الضرع ، فما كان منا إلا أن حذفنا
لام الفعل ، وهي الفاء : فاذا تحت نظرنا الثنائي ضَعْ وهو اسم صوت يزجر به الجمل
أن ترويضه وتذليله ، أي تضعيفه ، فلاح لنا الحقيقة . ومن اسم الصوت ضَعْ هناك
فعل « ضَع » الناقه والجمل ، راضها وأدبها أي ضعةً لها ، ومن ضمّ الثنائي المفرد اشتقّ
الثنائي المثنى ، أو ما يدعوه النُّحاة بالرباعي ؛ وهو ضَعَضَع أي قَوْض وهضم حتى
الارض ، ومن ضعضع صيغ مطاوعه تضعضع وفيه وجدنا خالفاً المنشودة ؛ إذ هذه هي
معانيه بحروفها ، كما وردت في المعاجم : تضعضع خضع وذل - ضَعْف - جف جسمه
من مرض أو حزن ، ومنه : الضمضاع : الضعيف من كل شيء .

فبهذه الطريقة اتضح لنا أن هذا الحرف الثلاثي ضُعْف صادر - نسبة الى معنييه
المتضادين - من مصدرين ثنائيين ، وهما « ضَف » بمعنى « زاد » و « ضَع » بمعنى
« هزل » ، وبذلك زال التضاد من هذا الفعل مما دلّ على أن هذا النوع من المعاني ،
أي للتعاكسة في العربية ، ليس الآخراً غالباً الاحيان .

وقبل إلقاء اليراعة من بدنا نرغب إلى أرباب اللغة الاختصاصيين - من شرقيين
ومستشرقين - أن يبرزوا حكمهم في هذه الابحاث ، وفي طريقة الخوض فيها - هل
هي مفيدة ، ومن ثم حربة بالمتابعة ؛ أو انها قائمة على جرف هار ، ومصدرها البوار .
وإن كانت ذات بال ، فما القول في وضع معجم كله على هذا الأسلوب ، ونتائجه من هذا
الضرب ؟ أليس في ذلك خدمة جلي للمعجمية العربية واللغة عيناها ، وأوليس خدمة لغتنا
هذه الخدمة أكثر أمناً ، وأسمى شرفاً ، وأجدي نفعاً من الاطراء الفارغ ، ومن التبجيل
والتعظيم في حينه وفي غير حينه ؟

الاب أ . س . مرمرجي الدومني

أحد أساتذة المدرسة الكتابية والآثارية

في القدس الشريف

فتاوى لغوية

س - « الطبيب على الناصر ، هلب »

كتبتُ مقطوعة شعرية ، واضطرتني الوزن إلى استعمال كلمة أفريقية لجهلي ما يقابلها بالعربية : وهي لفظة (أباجور) (أي الخفف للنور) ، ولا يخفى عليكم قبح هذه اللفظة الأعجمية ، فإذا تلطفتُم بإرشادي إلى كلمة نفي بهذا المعنى ؟

ج - لو كان أحد من عرب الجاهلية مكانك ورأى بعيني رأسه ذلك الشيء للمسي (أباجور) وسمع الأعاجم يقولون في تسميته (أباجور) لم يجد في عربيته مانعاً يمنعه من تسميته بذلك أي باسمه الأعجمي (أباجور) ولكنه ربما حذف الألف التي بعد الباء فقال أبجور على وزن (جبروت) أو (أبجور) على وزن عصفور مثلاً .

هذا إذا سمع اسم (أباجور) وسمع الأعاجم بلفظونه ويشيرون إلى مسماه ، أما إذا رأى بعينه مسمى الأباور في بلاد الفرس أو الروم مثلاً أي رأى الشيء الخفف للنور ولم يسمع منهم اسمه الأعجمي أي كلمة (أباجور) واضطر إلى تسميته باسم جديد من لغته العربية ، أو قلت له : يا أعرابي ! ماذا تسمي هذا الشيء الخفف للنور ، وأشرت إليه من د ن أن تذكر اسمه ، فإنه حينئذ يفكر قليلاً في صفة هذا الشيء ومميزاته ، ثم لا يلبث أن يقول لك : هذا (الغباش) مثلاً ، أي إنه يسميه باسم (الغباش) من الغبش الذي معناه اختلاط الظلمة بالنور كما هو الحال في آخر الليل قبل انبلاج الصباح . وهذا الشيء الخفف للنور والمسمى (أباجور) يحول لون النور إلى سمره تشبه سمره غبش الظلام كما لا يخفى .

هذا ما أراه في وضع كلمة نحل محل (أباجور) بين أن أعوتها ، (إلى أبجور)

بفتحين أو (أبجور) بضم فسكون وبين أن أسميه بالقباش : وقد تشيع الكلمتان أي (الأيجور) و(القباش) حتى تغلب أحدهما أخيراً بمقتضى ناموس بقاء الأنسب .
فلك أيها السائل الكريم أن توافقي على ماقلت ، أو تنتظر ريثما يضع أحد المجيمين في « دمشق والقاهرة » اسماً جديداً للأبجور .

س - « غائر حمدي ، حلب شارع البرورة »

ادعي فلان أن من الممكن استعمال حرفي الجر (الباء) و (اللام) في قولنا (خرجت بترهه وخرجت لترهه) وأنه يستحيل استعمال (إلى) و (في) فيقال : (خرجت إلى ترهه) (وفي ترهه) فاعترفت له بالثاني من مثاليه أعني (خرجت لترهه) وعارضته في صحة الأول وهو (خرجت بترهه) إذ لا معنى لأن يخرج الإنسان مع الترهه واضعاً لها في محفظته مثلاً ؟

ج - نقول : « خرجت إلى حاجة ولحاجة » فتكون اللام بمعنى (إلى) وكلاهما للانهاء . ونقول (خرجت في حاجة ولحاجة) أيضاً فتكون كل من (في) و (اللام) بمعنى « لأجل » أي لإفادة التعليل ويكون المعنى خرجت لأجل حاجة

ويصح أن نقول « خرجت بحاجة » على أن تكون (الباء) للسببية . والسببية ترجع إلى معنى التعليل فيكون المعنى خرجت بسبب حاجة ولأجل حاجة .

ولكن هذا الاستعمال في كلام البلغاء قليل أي إن الأكثر في كلامهم أن يقولوا (خرجت إلى حاجة ولحاجة وفي حاجة) ، أما (خرجت بحاجة) فلا أظنهم يقولونه ولا أظنني سمعته في كلامهم .

وما قلناه في كلمة (حاجة) نقوله في كلمة (ترهه) فتقول في الكثير الفصيح « خرجت إلى ترهه » أي انتهى خروجي إليها (وفي ترهه) أي بسببها ولأجلها ، و (لترهه) أي إليها ولأجلها ؛ أما (خرجت بترهه) أي بقصد ترهه وبسبب التمتع بترهه فهو قليل الورد كما ذكرنا .

وربما عُده من الفصح أيضاً قولنا (خرجت بنزهة) على أن تكون (الباء) للملابسة لا للسببية ، أي خرجت متلبساً بنية نزهة ، وتكون الباء حيثئذ كما هي في الآية الكريمة (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) أي خرجوا متلبسين بالكفر كما أنهم لما دخلوا كانوا متلبسين به ، وهكذا قولك (خرجت بنزهة) : أي خرجت متلبساً بقصد نزهة ؛ ولكنه والحق يقال قليل الاستعمال في الكلام كما أشرنا ، وإن كانت قواعد العربية أو قواعد فصاحة القرآن لا تأباه .

فالسائل الذي عارض خصمه في صحة (خرجت بنزهة) قد يكون أراد عدم الصحة من حيث بلاغة الأسلوب لا عدم الصحة من حيث قواعد العربية .

س - « م . أ . ج . » طلب

هل يجوز في العربية الصحيحة أن يقرن اللقب إلى الكنية بأن يقال مثلاً : (الآنسة عبد العال) وعبد العال كنية العائلة من دون أن يذكر اسم الآنسة إذا كان اسمها فاطمة مثلاً ؟؟

ج - إذا كانت القرائن تعين أن المراد بالآنسة هي فاطمة وأنها المقصودة من بين أوانس عبد العال جاز حذف اسمها العلمي اكتفاء باسم أمريتها ، بل يكون الحذف أبلغ من الذكر طلباً للإيجاز الذي يتوخاه بلغاء العرب في كلامهم حتى قالوا « البلاغة هي الإيجاز » .

س - « دسئ أعضاء المجمع العلمي العربي »

يستعمل الكيميائيون ومؤلفو الكتب العلمية فعل (حَلَّل) الرباعي بمعنى (حَلَّ) الثلاثي فيقولون : تحليل للماء وتحليل التراب الخ ، مع أنني لم أجده في كتب اللغة (حَلَّل تحليلاً) من باب التفعيل في هذا المعنى ، وإنما الموجود فيها : « حلَّ » الجامد حلاً إذا أذابه ؟

ج — هذا السؤال من أنفع الأسئلة وأعظمها فائدة لتوسيع دائرة اللغة ،
والتوسعة على المتكلمين بها . ومثل فعل (حَالٍ تحليلًا) مما لم يدوت في المعاجم ،
« تقدّ الكلام تنقيداً » ، ووصف الشيء توصيفاً ، وعضد المشروع تعضيذاً » الى غير
ذلك . فهذه الأفعال التي نستعملها من باب (التثنية) لا يعرفها العرب وإنما ولدناها
نحن المتأخرين حينما رأينا أننا نحتاج الى المبالغة في أفعالنا الثلاثية وهي : عضد
عضداً ، ووصف وصفاً ، وتقدّ تقدّاً .

ويقال في الأفعال الأولى للشدة الزائدة أنها كلمات مولدة ، والكلمات المولدة
يجوز لنا استعمالها ، بشرط أن يجري التوليد فيها على أقبسة كلام العرب ، من حيث
قواعد الاشتقاق والمجاز وغيرهما ، وهكذا الأفعال المذكورة المولدة ، أعني (حَالٍ)
وأخواتها ، على أن فعل (حَالٍ) مما ولده علماء العرب الكيمائيون قديماً ، جارين فيه على
قياس الاشتقاق ، وإنك تجد فعل التحليل مستعملاً كثيراً في كلام (ابن سينا)
وغيره من أطبائنا الأقدمين وإن لم تجده في معاجمتنا اللغوية .

وعلى هذا لا مانع يتبع من استعمال فعل « حَالٍ تحليلًا » ، وعضد تعضيذاً ، ووصف
توصيفاً ، وتقدّ الكلام تنقيداً » ، وغيرها مما ضرب على غرارها ، ما دمتنا قد جربنا في
توليدها على أقبسة كلام العرب ، وما دامت الضرورة تدعونا أحياناً الى المبالغة في
هذه الأفعال .

وعلماء الكيمياء يستعملون فعل (صعد تصعيداً) : بمعنى الإذابة ، وهو عربي
فصيح ، فلعلهم إنما قالوا (حَالٍ تحليلًا) لزوجته الشبيه بالشبيه ، وحالاً للأخ على
أخيه .

المغربي



آراء وأخبار

بلاغ وزارة المعارف

في أواخر أيام الوزارة الأتورية (٣٦/١٢/٢٠)
وبلاد الشام مستبشرة بحياتها النياية ، ومستشعة
بسيادتها القومية بفضل كتابتها الوطنية ، بودع
وزير المعارف ، وعضو مجمعنا العلمي العربي ،
الأمير مصطفى الشهابي معاهد العلم والأدب ،
بالبلاغ المبين التالي ، الذي تنشره اليوم خدمة
للتاريخ ، ولتشكره على رغبته في خدمة المجتمع
العلمي ، فقد سعى لزيادة موازنته ، ولإصلاح
إدارته ، وإصلاحاً يتمكن به من الاضطلاع بما
عهد به إليه من خدمة اللغة والأدب ، وأملنا قوياً
في أن يتم خلفه « الحكيم » ما شرع فيه سلفه
الكريم ، وهذا نص البلاغ :

مقدمة عندما دُعيت الى الاشتراك في الوزارة ، كانت البلاد مضطربة ، والمدارس
مغلقة ، والأسواق مقفلة ، والتلاميذ في الشوارع ، وبعض الزعماء في المنفى ، وعدد
كبير من الناس في السجون ، فكان من البديهي أن لا أقبل أعباء المساهمة بالحكم إلا
على أساس تبديل السياسة السابقة ، واتخاذ سياسة تضمن لبلاد أمانها القومية ، وعلى
هذا حصلت مفاوضات عديدة بيننا وبين المفوضية العليا وإخواننا من رجال المكتبة
الوطنية في أمور سياسية لا صبيل الى البحث فيها في هذه الإذاعة ، لكن ما يفيد
ذكره هو كون هذه المفاوضات أدت الى اشتغالنا بعقد معاهدة مع فرنسا ، وبإعادة

الحياة النيابية ، وغير ذلك من الأمور الجوهرية التي تقوم عليها أوضاع البلاد الاستقلالية ، وتركز عليها مرافقها العامة ، ولهذا لم أتمكن ، وبالأسف ، من الاتصال بكم اتصالاً وثيقاً في المدة القصيرة التي أشرفت فيها على شؤون المعارف في البلاد .

ولئن شغلني السياسة عنكم فالعذر إذن واضح لا يحتاج إلى دليل ، وقد رأيت الآن قبل وداعكم أن ألقى عليكم بعض نصائح موجزة أملت أن علي تجارب الأيام والسنين :

السياسة والوطنية وأول هذه النصائح ضرورة تلقين المعلمين تلامذتهم أن عهد المقاومة السلبية قد انقضى ، وأن واجب التلامذة الأكبر الانصراف إلى تثقيف عقولهم ، وتوسيع مداركهم ، حتى يكونوا في المستقبل رجالاً أصحاب الاجسام والعقول ، ولهذا ينبغي لهم ترك السياسة إلى ما بعد أيام الدراسة ، حتى لا يشوشوا عمل الحكومة الوطنية القادمة ، وهي بعد أحرص منهم على عدم التفریط في حقوق البلاد . ولا شك أن كل ساعة بقضيتها التلاميذ في السياسة بعد الآن تعد خسارة في حياتهم الثقافية ؛ لكن السياسة شيء والوطنية شيء آخر ، فإذا دعونا التلامذة إلى ترك الاشتغال بلسان السياسة والاقلاع عن التحزبات السياسية في المدرسة ، فمن الواجب أن لا نذهل عن تغذيتهم بالوطنية الصادقة : كتلقينهم أمجاد أمتهم الغابرة ومزاياها واستعداداتها الحاضرة ، وكتحبيب اللغة العربية والبلاد العربية إليهم ، وطبعهم بالطابع القومي الثمين ، وتعويدهم إبطار الخير العام على الخير الخاص ، وحملهم على ازدياد الاثرة - أي ما يسمى الانانية - في القضايا الوطنية . ومن الممكن الوصول إلى هذه الغاية باتباع البلاغات التي أذعناها في هذا الصدد ، ولا سيما ما يختص منها ببرامج التاريخ والجغرافية التي لا بد من تحويلها على الوجه المذكور في مجلس المعارف الأعلى عند اجتماعه في ربيع السنة القادمة أو قبل الربيع .

الجامعة السورية والمجمع العلمي كثيراً ما ينتقد الناقدون الجامعة السورية والمجمع العلمي العربي ، وأهم انتقاد يوجهونه إلى الجامعة كونه ينفق عليها في كل سنة

مبلغ كبير من المال ، لو أنفق نصفه على تلامذة يدرسون في الجامعات الأوروبية لتخرج منها عدد يفوق عدد الذين يتخرجون من جامعتنا في كل سنة ، وربما كان هذا الانتقاد وجيهاً لو كانت مهمة الجامعة السورية مقتصرة على تخريج عدد من الأطباء الصيادلة والحقوقيين ليس غير ؛ فالحقيقة أن الجامعة السورية مركز ثقافي للتعليم بالعربية لا مثيل له الآن في العالم العربي كله ، وهذا للمركز الثقافي العالي هو في القرن الرابع عشر من الهجرة خلف لمدارس البلاد القديمة كالنظامية والعادلية وغيرهما ، وفي عنقه رسالة علمية وسياسية واجتماعية وإنسانية معاً ، ومن الضروري أن يكون قبساً تشع منه شرائع العرب وطبهم ؛ كما يجب أن يكون همزة الوصل في هذه العلوم بين الشرق والغرب ، ولهذا لا نقدر فوائد الجامعة السورية بالمال ، ولا يجوز أن تكون عرضة للانتقاد كلما ضاقت نطاق موازنة الدولة ، بل يجب على العكس من ذلك أن يوسع على العلماء من أساتذتها لكي يتمكنوا من التبحر بالعلوم العالية الحديثة والقديمة ولا سيما ما تهم معرفته منها في البلاد الشرقية . وقد وضعنا في المعاهدة السورية الفرنسية وسيلة لإيجاد اتفاق جامعي بيننا وبين حليفنا الكريمة ، وسيتبع عن هذا الاتفاق تبادل إلقاء المحاضرات العلمية - لا الدراسية - بين جامعتنا والجامعات الفرنسية ، واعتراف تلك الجامعات رسمياً بشهادات الجامعة السورية دون ما قيد ولا شرط .

أما المجمع العلمي العربي : فيجب أن يظل معهد اللغة العربية ومدارسه الآداب الرفيعة ، والصلة الوثيقة بين تراثنا العلمي القديم والعلوم الحديثة ، ولا يجوز أي رجل عربي مثقف أن تحرم دمشق من مجمعها العلمي العربي ، وهي عاصمة العرب والإسلام الكبرى ، ولذلك لا بد من تزويد مخصصاته السنوية حتى ينصرف رئيسه وأعضاؤه إلى القيام بشئونه وأهمها المساهمة بإيجاد معجم أفرنجي عربي للمصطلحات العلمية والمختبرات الحديثة ، وإلقاء دروس ومحاضرات في دقائق اللغة وآدابها ، وسائر العلوم والأبحاث الشرقية ، وتنظيم المجلة ودور الكتب الوطنية ، وغرف المطالعة ، والاتصال بالمستشرقين وبالجامع العلمية في الديار الأجنبية .

وأنا على يقين من أن رجالات المجمع والجامعة يعملون ما ذكرته من الشئون نصب أعينهم ، وإلّا هم يضطلعون بالأعباء الملقاة على عاتقهم ، حتى تأخذ أمتنا بنصيبها

الوافي من الثقافة العامة ، واثام مع الأمم المتقدمة في تقدم العقل البشري .

مدارس التجريب والمدارس الفنية التعليم الثانوي في مدارس التجهيز هو زاد الشباب وعديهم في معترك الحياة ، لأنه يزودهم بوسائل العلوم الحديثة ، ويفتح أذهانهم ، ويوسع مداركهم ، ويعلمهم أقدر من غيرهم على معالجة شئون المجتمع البشري ، وليس التعليم الثانوي في ذاته وسيلة من وسائل الارتزاق ، لكنه عون أرباب التجارة والصناعة والزراعة على مشاركة أعمالهم ، وباب يلج به طالب الالتحاق بالجامعات وبساتر للمدارس العليا ، ولذلك ينبغي لأساتذة التعليم الثانوي أن يظلوا حراساً على الأسر الآتي : وهو أن البكالوريا السورية يجب أن تحتفظ بمكانتها العلمية بعد أن كادت تضاهي أمثالها في مدارس حكومات الغرب الكبرى .

أما مدارس الصناعة والأشغال اليدوية : فغابيتها تخريج عمال ورؤساء عمال في مصانع البلاد ، وليست غابيتها تخريج (أفندية) ينضمون الى عداد العاطلين عن العمل ، وهكذا الحال في الصفوف التجارية فأب على خريجها أن يكونوا من العاملين في المتاجر بأجور متهاودة ، ريثما يثبتون بكفاءتهم فضل المتعلم على الجاهل . ومما يؤسف له أن البلاد خلوا الآن من المدارس الزراعية على درجاتها ، على حين أننا في أشد الحاجة الى مدرسة زراعية عملية لا يدخلها إلا الذين لديهم أرض كافية والذين لا يستكفون عن العمل في الأرض بأيديهم القوية ، ولعل مجلس المعارف الأعلى يقرر في جلسته القادمة توسيع الدروس الزراعية في صفى المعلمين العالي والابتدائي وفي مدارس الدولة الابتدائية والاولية .

التعليم الإبرشاني والرومي ربيب ناقد يقول : ما الفائدة من تعليم الفلاح والصانع والاجر والخادم ، وهل المدرسة تجعلهم أسعد من رفاقهم الذين يظنون على أميتهم . فالحقيقة أن السعادة اذا كانت غير مرتبطة بالعلم ، فبادئ القراءة وأعمال الحساب الاربعة على الاقل امور يحتاج اليها كل انسان مهما يكن عمله ، ولذلك وجدنا الدول الراقية تخير الاولاد إجباراً على لرنياة المدارس الابتدائية في المدن والمدارس الابرشية في القرى ، حتى تكاد الامية تكون منقرضة في بلاد تلك الدول ، أما في

بلادنا فإن عدد الأميين يفوق كثيراً عدد المتعلمين ، والسبب ضيق موازنة الإدارة أو قلة المعلمين ، ولعل أعظم عمل تأتية الحكومة تزويد عدد المدارس الابتدائية والاولية تدريجياً على أساس افتتاح عشرين أو ثلاثين مدرسة جديدة في كل سنة ، فهي إذا ازدادت موازنة وزارة المعارف على هذا الأساس ، وأعانت المدارس الابتدائية الأهلية بما تستحقه قل عدد الأميين في البلاد وارتفع المستوى الثقافي فيها ، ولا شك عندي أن مفتشي التعليم في الوزارة يضعون هذا البرنامج نصب أعينهم ، ويؤازرون الحكومة القادمة لأجل تحقيقه .

وما يلفت النظر كون بعض الفلاحين الجهلاء يهملون إرسال أولادهم الى مدرسة القرية ، على حين أن الحكومة تكون قد أوجدت لهم تلك المدرسة مع معلمها ولوازمها ، ففي حال كهذه يكون من الواجب حمل الفلاحين على إرسال أولادهم الى المدرسة قسراً ، ومعاقبة هؤلاء الفلاحين بما ينص عليه القانون تجاه مخالفي أوامر الحكومة وتعليماتها .

المدارس الأهلية والأجنبية طالما شكوا المستنيرون من اختلاف برامج التعليم في مختلف مدارس الدولة ، وشكوا من تضارب النزعات السياسية ، واختلاف أصول التربية في المدارس الأجنبية والأهلية ، وربما غلب بعضهم فقال بوجوب العمل على إقفال تلك المدارس ، والحقيقة أن المدارس الأهلية والأجنبية لا يجوز إقفلها ، كما لا يجوز تركها بلا مراقبة شديدة ، ففائدتها قائمة في كونها توفر على الدولة مبالغ كبيرة لا تضطلع بها موازنتها الصغيرة ، أما أضرارها فيمكن تلافيها بعد الآن ، بأن يفرض عليها التوسع بتعليم اللغة العربية ، وتعليم تاريخنا وجغرافيتنا بالبرية ومنع كل نزعة سياسية مضرّة . قد ينزع إليها المعلمون تجاه تلاميذهم ، ولا بد من العمل بجودة في سبيل توحيد برامج التعليم في تلك المدارس ، وفي مدارس الحكومة ، ولا شك أن شهادة التعليم الابتدائي وشهادة البكالوريا قد خدما كثيراً في هذا الباب ، كما أن الحركة الفكرية في البلاد العربية تدعو الى التفاؤل في إمكان توحيد برامج التعليم في جميع تلك البلاد .

الكتب المدرسية وتنشيط المؤلفين زاد عدد الكتب المدرسية الصالحة في السنين الأخيرة ، لكن مدارسنا ما برحت في حاجة الى كتب أخرى مهمة في علوم مختلفة ، ومن المؤلف أنني وجدت في بعض الكتب المدرسية غلطات كثيرة في استعمال المصطلحات العلمية والاسماء الجغرافية على حين كان يجب على مؤلفيها أن يراجعوا المجموع العلمي العربي فيرشدوا الى أصح تلك للمصطلحات ، ويحق لمؤلفي الكتب المدرسية التي تدرس في الجامعة وفي مدارس التجهيز ، ولأصحاب المؤلفات العلمية واللغوية والأدبية البارزة ، ولأصحاب المجلات المدرسية أن يستمدوا المعونة من وزارة المعارف في سبيل طبع كتبهم ومجلاتهم وترويضها ، وإني لعلى يقين من أن وزارة المعارف ستحرص لهم مبلغاً كافياً في موازنتها لتنشيطاً لهذه المنتجات العقلية التي تكثر فوائدها ، لكنه قلما يتمكن أصحابها من العمل فيها بلا موازنة مادية .

الثقافة الغربية وأنصح رجال التعليم ونجباء التلامذة بأن لا يتبرموا بالثقافة الغربية ، وأن يعلموا أن الاستقلال الذي حصلنا عليه ليس معناه الابتعاد عن المدنية الغربية وثقافتها ، فكما نتلمذ الغرب على أجدادنا في إبان مدينتهم الساطعة ، فقد شأنا الاقدار أن نتلمذ اليوم على الغرب في مختلف العلوم العصرية ، وليس في ذلك عيب ، بل العيب والفضال أن نظل جامدين بينا العالم في تقدم مستمر . ولئن سألت سائل : أي الثقافات الغربية أصلح لنا ؟ فجوابي بأن الثقافة اللاتينية ولا سيما الفرنسية منها ، وأسباب هذا الترجيح طويلة لا تتسع لها هذه الإذاعة .

ومن البديهي أن الاخذ بالعلوم الحديثة يجب أن لا يلهينا عن لغتنا القومية وعن عاداتنا وأخلاقنا وسجايانا العربية ، وعن مدرسة قرآنا الكريم ، وتراث أجدادنا الأدبي الزاهر .

وبعد أشكر لموظفي الوزارة ورجال التعليم كافة مؤازرتهم الحميدة ، وأشكر لمستشار المعارف نصائحه الفنية المفيدة ، وأرجو منهم جميعاً ومن التلامذة أن يخلصوا للحكومة الوطنية الدستورية القادمة ، فهي أحرض الحكومات على تقدم المعارف في البلاد ، والسلام .

وزير المعارف

مصطفى الشهابي

دمشق في ١٩ كانون الاول سنة ١٩٣٦

التقاريط

الحزنة الشرقية

مجلة أدبية تاريخية متخصصة بالشرقيات ، تصدر مرتين بالسنة ، عدد صفحاتها ٦٤ ، تطبع في مطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان)

مبشرها حبيب الزيات

نيس (فرنسة)

الأستاذ « حبيب زيات » من « هواة المخطوطات العربية والمولعين بدفائن خزائنها الشرقية والغربية » قال في مقدمة هذه المجلة : « وقد عينا بنقل كل ما ألقينا فيه جدة وطلاقة في كل باب ، وقيدنا أمانا كل ما تبين لنا أن بالتشويه به فائدة وامتاعا في اللغة والأدب والشعر والتاريخ الديني والأدبي ونقوم وتراجع أعيانها وسائر ما له علاقة بأخبار الأقطار العربية حتى اجتمع لدينا من هذه التعليقات والقيود التي تلقطناها في دور الكتب عامة من الأصول المطبوعة والمخطوطة عدة دفاتر رأينا اليوم أن نقضي بعض مختاراتها الى طلاب العلم والتاريخ الشرقيين بعد معارضتها والتعليق عليها في مجلة عزمنا على إصدارها مرتين في السنة في الثاني عشر من شهري تموز وكانون الأول ، لأنفرادنا بإنشائها وتحريرها وعدم استعانتنا في انتقاء مواضيعها وفصولها بشيء من التعريب أو التقليد ، وقد آثرنا أن نجعلها شرقية بجنة تخصص بدرس تاريخ

الديار العربية وحضارتها في الاسلام ، ونقتصر على البحث في آدابها وعلومها وفنونها ومصانمها وآثارها وأخلاقها وعاداتها ومذاهب مللها ونحلها ، لا تتعدى ذلك الى المشاركة في أخبار الغرب أو تعريب شيء من علوم أهله وآدابهم ، ولذلك دعوناها « الخزانة الشرقية » . اهـ

وقد بحثت هذه المجلة في عددها الاول عن : الأسماء والألقاب والكنى النصرانية في الاسلام ، وثقاف لبنان ، وليلة رقص وسماع أميرية للفقراء بدمشق سنة ٦٥٩ للهجرة ، وضرب الحوطة على جميع الفوطة ، ودقائق الخزائن ، ولغة الحضارة .

ومن أمتع أبحاث هذا العدد (ليلة رقص الفقراء « أصحاب الطرق » وسماعهم) ، وقد تحامى المؤرخون وصف شيء من حياة هؤلاء المتصوفة من أصحاب الطرق في ما كتبهم وملابسهم وأخلاقهم ورسومهم وتأثيرهم الاجتماعي في مختلف عصورهم ، وقد عرف الدمشقيون خاصة بالإحسان الى الفقراء وبناء المنازل لهم ، فتعددت في حضارتهم الخوانق والربط والملاجئ والزوايا ، وقد أطلع مفتي المجلة في خزانة اكسford على « ذيل قطب الدين اليونيني على سرآة الزمان » لسبط بن الجوزي ، فرأى فيه فصلاً ممتعاً في وصف ليلة راقصة ساهرة أقامها الأمير حسام الدين الجوكندار العزبي في داره بلعقبة ولبثت محمدة حتى مطلع الفجر .

أما وصف سباط العشاء فيجب القارئ أن يعلم أنه اشتمل على مئة زبديّة عادلية في كل زبديّة منها خروف صحيح (رضي) ، وثلاثمائة زبديّة صغيرة تشتمل الواحدة منها على ثلاث دجاجات مع أطعمة أخرى ، ولما فرغ الصوفية من الطعام صلوا العشاء ثم شرعوا في الذكر والرقص والسماع والأمير يرقص معهم ، وجملة السبط التي مدها الأمير لهم أربعة ، والسباط الثاني يشتمل على أنواع الحلوى ، والثالث على أصناف الفاكهة ، والرابع على المكسرات من التفتق والبندق والكعك المحشو وأمثالها ، وقد رقص الفقراء ثلاث رقصات بين كل سباطين رقصة لا ندري أي شيء لله أم للهضم !

وعلى كل باحث عن غير دينه أن يتثبت فيما ينقله من الآثار الدينية وقد منها

الأستاذ الزيات في قوله: في بحث الانباء والمكشوف (صفحة ٤٧ سطر ١٨) ما نصه:
(ولذلك جاء في الحديث «ولا تنازروا بالالقب»^(١)) وهي في القرآن الكريم

التنوي

كمال أتانورك

تأليف محمد محمد نوفي

كتاب يقع في (١٩٠) صفحة من القطع الوسط أخرجته إدارة الهلال ، أحد هدايا ثلاث لقراء مجلة الهلال ، مستهل بمقدمة جيدة للأستاذ «فكري أباطه» ثم بتصدير للمؤلف تعرض فيه لصفة كمال الجسمية وذكر منازيه البارزة من سيرته .
وكمال أتانورك على رأي المؤلف في تصويره : سيد مذ كان في الجيش صبياً - المنطق عنده مطرقة يهوي بها على كل شيء - عملي بارد قبل أن يكون خيالياً متحمساً - آمن الناس بزعامته قبل أن تتاح له الزعامة - اذا آمن بفساد شيء بتره بتراً لم يعمد الى إصلاحه - متكبر كالشيطان ولكن كبريائه قائم على اعتداده بالنفس - منطقته العسكري لا يجارى - اليأس يتخذ مبيله الى قلوب الناس أما هو فبهات أن يفتط - صارم الى أقصى حدود الصرامة .

وتحت كل جملة من هذه الجمل الموجزة القصة الشاهدة لما .

وقد قسم المؤلف كتابه ثلاثة أقسام جعل عنوان القسم الاول (سلطنة تنهار) وبحوثه تدور حول الحرب الكبرى وأيام الانحلال العثماني ، ويلمس فيه القارئ جملة من أسباب الاضمحلال والفناء الذين سبقت اليها الدولة العثمانية . والقسم الثاني عنوانه (جهاد واستقلال) وفيه تنجلي الحركة الكمالية منذ نشأتها حتى ازالها آخر خيط من شياك النفوذ الاجنبي وهو أقوى أقسام الكتاب وأنيده ، وخلق بكل أمة تحاول تخلصاً من النهج الاجنبي أن تندبره بإيمان لتسج على منواله . والقسم الثالث عنوانه (عهد

(١) سورة الحجرات في الآية رقم ١١

جديد) عرض فيه المؤلف للتنظيمات الجديدة التي أحدثها العهد الكامي في التعليم والاجتماع والعادات .

المؤلف تركي الأصل وهو معجب كل الإعجاب بمصطفى كمال وأعماله بتحمس كل التحمس للدفاع عنه ورد ما يرمي به من نقد ، وقد أبداه إعجابه وتعصبه - في بعض المواضع - عن أن يكون للمؤرخ النصف الحيادي . تعوزه الحجة فيعمد الى العبارات الخطائية أحياناً بل قد يستدرجه هذا الحب الى الاستنجاد بكلام هو أقرب الى المغالطة .

عرض ص (١٦) بما في سيرة مصطفى كمال الشخصية من قبح وفساد فبر ذلك بقوله : « دنيا القرن العشرين ليست دنيا الاخلاق الفاضلة فحسب ، بل دنيا الاخلاق غير الفاضلة أيضاً » . ثم يقول : « ولو أن كلاً كان فاضلاً و لما استطاع أن يسوق شعبه في دنيا القرن العشرين » ! وهذا تعصب ذميم فلم نعهد ان أحداً من العلماء والمؤرخين حاول تبرير ضعف اخلق ، وكيف تغافل المؤلف عن الزعيمين هتلر وموسوليني وهما مضرب المثل في منانة اخلق الشخصي والحرم على كسر شوكة التهلك والرديلة في شعبتيهما ما وجد الى ذلك سبيلاً . فهل سبقهما كمال بشعبه في مدارج التمدن حين قذف به في مهاوي الفساد واخلال اخلق . والذي أظنه أنه متعصي قرون طويلة دون أن يبلغ الشعب التركي بهذه الوسائل شوط الالمان أو الطليان في الرقي الحقيقي .

جاء في ص (٢٢) في صدر الكلام عن جمال باشا كلمة للغازي في جمال : « إن رجلاً يبحث عن القدوة لينتبه بها مؤمناً بأن نجاة البلاد لا تتم إلا بهذا التقليد ، هيئات أن يكون رجلاً في نظري » فهلاً ذكر هذا حين اندفع في تيار التقليد اللاتيني الاعمى ودفع أمته اليه بالنار والحديد ؟ .

ولما بلغ المؤلف الى الكلام على تخلي كمال عن الدين علل هذا العمل ص ١١٣ بأنه يرمي الى اجتتاب عداوة الغرب ، كأن الدين هو الذي يجلب عداوة الغرب وكأن نبذ الدين يستدعي صداقته !! ألا فليعلم أن الدين الصحيح ما كان يوماً أداة ضعف قط

وأن هذا من كمال هفوة وهفوة العظيم عظيمة أبداً . وإن الغرب اذا وجد تركيا ضعيفة وأراد الاعتداء عليها فلن يعدم وسيلة أو حيلة تبرر له اعتدائه أمام الرأي العام ، والا فقل لي ماذا تفعت الحبشة نصرانيتها ؟ وما هي قوة الحجج التي تذرعت بها إيطاليا للفتك بها ؟

كل الذي نرجوه ألا تعمد تركيا بعد سنين ، في هؤلاء النشء الذين نشثوا التنشئة الكمالية اللادينية : ابطلاً على غرار الغازي كمال وعصمة وكاظم وبكسر وفوزي وغيرهم ممن أخرجهم العهد الديني عهد الخلافة والرجعية إن كان يعزى انتصار الترك في حروب الاستقلال إلى قوة معنوية ، فهذه القوة هي قوة الدين والدفاع عن حرمة الكلمات اللتان لم تكن تخلو منها خطبة من خطب كمال وأتباعه في تحريض الجند التركي الباسل . دع مئات الألوف من الدناير التي جاد بها انعام الاسلام باسم الاسلام .

ولا بأس في أن أنقل هنا الحجة التي نقلها المؤلف في صدد الكلام عن استبدال الحروف اللاتينية بالعربية حيث يقول ص ١٦٣ « لماذا تتحمل القبيلة التركية كل هذا التعقيد من حروف ليست من تراث آبائهم الأولين في سراي آسيا ؟ » ويقول ص ١٦٥ « فالكلمات العربية والفارسية المندسة في لغة الترك يجب أن تستبعد ، واللغة التركية يجب أن تعود إلى عهد القبيلة .

وعجيب من الرجل الذي يفر من الرجعية واسمها وراثتها ويهجر كل نافع إن كان ينصل منها بسبب ثم يعال (تلنن) الحروف ونبد الكلمات العربية والفارسية بأنها لم تكن من تراث الآباء في سراي آسيا . وما الرجعية الدنيسة والله إلا الرجوع لعهد الآباء في سراي آسيا . ثم أمر آخر هل كانت هذه الكلمات الفرنسية والإنجليزية و... وغيرها مما رحب الكاليون بدخول اللغة التركية من تراث الآباء في سراي آسيا ؟ اللهم هذا فرار من التنطق وتناقض صارخ . ومتى جانب المؤرخ الحبيدة في كتابته صرفه الغرض عن تسميته الأشياء بأسمائها .

الكتاب قيم والجهود المبذولة في تأليفه شاقة والفكرة المسيطرة عليه ناضجة والأسلوب جذاب ذو صبغة خاصة ولا يسعني وقد فرغت من تلاوته إلا أن أقول :

إن كلمة الأَمْثَالُ بألفه في المؤلف : « أنه روح » صحيحة إلى حدٍّ بعيد فقد أحصينا ونحن نقرأ المدروسة لا إلى لسانه ولا بد للمؤلف أن يصحكون صديقاً لمن يترجم له حتى يصفه ، وإن كان صاحبنا قد جاوز هذا حتى وقف على عتبة التنايه لكمال .
 وأنا أنصح لكل متعلم أن يطالع هذا الكتاب فهو من الكتب القليلة النافعة التي تستغنى عنها المطالع وعقل المطالع ومحاكمته معه فله ملء الحربة أنت يأخذ ما يشاء ويبدع ما يشاء... وليس ما قدمت من ملأخذ على المؤلف بصارفة إياي عن الشناء على عمله

صغير : يوفى



تصويبات

إن الأستاذ سالم الكرنكوي - جزاء الله عن أدب العرب خيراً - قد نبهنا الى تصحيحات في بعض أعلام (المنتقى من أخبار الأصفهاني) نشأت كما ذكرنا عن سوء الرواية في نسخة ابن عساكر المحفوظة في الخزانة الظاهرية التي نقلنا منها تلك الأعلام ، وحينما اطلع على (تكملة الجواليقي) التي نشرها المجمع في هذه السنة أيضاً عارضها بنسخة ديربورغ ، وبث لنا بما وقع بينهما من الاختلاف ، ومنه ما يكون الصواب من نصيب نسختنا الظاهرية على ما نرسم ، وقد عجلنا في نشر ذلك في آخر هذا المجلد الرابع عشر لأنه موضعه .

وهناك بعض أغلاط في مقالة (أغلاط المستشرقين) لحضرة الأب أنستاس الكرملي وأخرى وقعت في مقالة «روح الطموح في المثني» للأستاذ أحمد رضا ، وقد نشأ ذلك الغلط عن غموض الخط في المقالتين أو تكسر بعض الحروف والنقط ؛ وهذا ونحن نشير بالأرقام الى صفحات رسالة المنتقى المنشورة في المجلة ، وبالحروف الى صفحات مقدمة الرسالة المستقلة بنشرها بعد ذلك على حدة :

صفحة	سطر	حرف	خطاً	صواب
٨٤	٢٠	ب	مشرّد بن اللعين	مسرّد
»	٢١	»	علقة	علاقة
»	»	»	أبو بابل	أبو فابل
»	»	»	نظام	خطام الريح
»	»	»	أبو الاحرز	أبو الآخزر

٤٧٢	نصويات	صفحة	سطر	حرف	خطاً	صواب
٨٥	ج	١	أبو الرجف	أبو الزحف		
٨٦	=	٣	أبو ترسيس	أبو يرميس		
٨٧	=	٤	الموار	المزار		
٨٨	=	٥	عريف الكلي	عربن الكبي		
٨٩	=	٨	ابن عمادة تعليل	حنظلة بن عمادة		
				وقد تكون تعليل		
				تصحيفاً		

وأما الاختلافات بين طبعتي المجمع وديرنبورغ من « تكملة اصلاح ما تفلط فيه العامة » فهي كما يأتي :

صفحة المجلة	صفحة المستقلة ^(١)	سطر	طبعة المجمع	طبعة ديرنبورغ
١٧٤	١٠	٧	زد بعد والجسم	لا في الابس
١٧٧	١٣	١٢	خربع	خربع
١٧٨	١٤	٦	انبر	أنبت
=	=	٧	أبو دؤاد	أبو دواد
=	=	٨	الفلاة	الفلاة
=	=	١٥	للليل	الابل
١٧٩	١٥	٩	السمعة	المتعجة
١٨٠	١٦	١	ضيعته	ضيعته
=	=	١٨	الجهيمي	الجهيمي
١٨٨	٢٤	٥	المذبوط	المذبوط
١٩١	٢٧	٤	اللبث منه	اللبث فيه
=	=	٧	زجّال	زجان

(١) تزيد بالمستقلة رسالة التكملة المطبوعة على حدة

صفحة المجلة	صفحة المستقلة	سطر	طبعة المجمع	طبعة ديرنبورغ
١٩٢	٢٨	٥	الحجاب	الحجاب
≠	≠	١٢	كبلت	كبلت
١٩٥	٣١	١٨	كوة	كوة
≠	≠	٢٢	الاناييت	الاناييت
١٩٨	٣٤	١٢	قرفشه	قرفشه
١٩٩	٣٥	٩	البوطة	البوطة « كما في نسخة باريس »

واليك تصحيح مقالة أغلاط المنشرقين :

صفحة	غلط	صواب
٢٣٦	(ب ي ب ك)	(ب ي ب ن)
≠	altis	aliis
≠	andalusis	andalusiis
٢٣٨	(ب ا لا ون)	(ب ا ه ون)
≠	الفرغاني	الفرغاني
≠	ossifraga	ossifraga
٢٣٩	Pwpraisti	Phomaisti
٢٤٠	Ossifragus	Ossifragus
≠	europens	europens
≠	Térichot	Bérichot
٢٤١	وصثمير	وصثمير
٢٤٢	عادته	اعادته
≠	étais	était
≠	faisai ^s	fais i

صفحة	غلط	صواب
٢٤٤	مبني والمبني	مبني واللبني
=	أنه أكلوا	أنه كان أكلوا
٢٤٥	وتابعه	تأبى
=	مخارئة	مخارئة
٢٤٦	الافاسيم	الاقاليم
=	الشعر	التحر
=	والدباقة	والدبقاه
=	ومضاة	ومعناه

والجدول التالي في تصحيح مقال «روح الطموح في المتنبي»

المنشور في الجزء العاشر

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٥٣	١٧	واذ كام	واذ كام
٣٥٥	٢	مثل هذه الكبيرة	مثل هذه الدعوى الكبيرة
=	١٥	بام اداب	بأم ولا اب
٣٥٦	٧	بولده	من ولده
٣٥٨	٤	تصاح	تصرح
٣٥٩	٨	التوهمين	التوهين
٣٦١	١٦	انه	ان
٣٦٣	٨	بفرغ	بفرع
٣٦٥	٣	وانما شجرة	وشجرة
=	٨	النعمة	النقمة
٣٦٦	٢٠	والمقيم	والمقيم
٣٦٨	٣	أدم	أوهم
=	٤	وليس	أو ليس

الفهرس العام

ما ورد في هذا المجلد منه المواد والموضوعات

مرتبة على حروف الهجاء

حرف الألف	صفحة	حرف التاء	صفحة
أبو الطيب المتنبي (قصيدة)	٣٠٤	تاريخ النحو	٦٩
أبو الطيب والنحاة (محاضرة)	٣٩٤	ترجمة الأصمعي	٢٢٧
آثار أدوار مرقص (تقرير)	٧٩	التذكرة الصلاحية أيضا (بحث)	٣٨
اشتد واستد (لغة)	٣٥٢	ترجمة الأصمعي	٨٣
أصل كلمة درب	٥٤	تصحيحات عيون الاخبار	١١١
أغلاط المستشرقين	٢٣٥	تصحيح نهاية الارب ج ٩	١٤١
الألفاظ الدخيلة في اللغة	٢٧٧	تصحيح نهاية الارب ج ١٠	٢٥٦
امرؤ القيس (كتاب)	١٥٩	تصحيح نهاية الارب ج ١١	٣٧٩
حرف الباء		التعليق الصحيح على مشكاة المصابيح	٣٠٩
بحث في اللغة	٧٤	(كتاب)	
البستان (نقد)	١٢٧	حرف الشاء	
بلاغ وزارة للعلوف	٤٥٩	ثقافة المتنبي ومصادرها (محاضرة)	٤٠٢
بول بورجه (وثيقة)	٧٨	حرف الجيم	
بيار دونولهاك (وثيقة)		جاءك بلقيط (وثيقة)	٧٨
البيضاوي	٢٣		

صفحة	صفحة
٧٧ عيد الله وعده (وفاة)	٣٨٨ جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين
١٦١ علم لأراض الباطنة (الجزء الاول)	٣٣ جميل الزهاوي في نظر المستشرقين
٢٩٠ علوم الحديث (كتاب)	٢٤٨ جميل الزهاوي (وفاة)
حرف الفاء	٥٦ جميل بك العظم (وفاة)
٣٥٥ فتاوى لقوية	حرف الحاء
٢٨٣ القوتنج والقودنج	٣١٢ الحيرة (كتاب)
حرف القاف	حرف الحاء
٢٣١ قرار وزارة المعارف المصرية بتأليف	٣٦ الخزانة الدكية
المعجم الوسيط	٤٦٥ الخزانة الشرقية (مجلة)
١٢ قصيدة ثمانية لكعب بن زهير	حرف الذال
حرف الكاف	٣٧٧ ذكرى شاعر (قصيدة)
١٦٤ كتاب التكملة فيما نغلط فيه العامة	حرف الزاء
١٤٧ كلمة حياض (نقد)	٣٨٧ رسالة بين فاضلين
٤٦٧ كمال أتانورك (كتاب)	٣٩١ رسالة في الكتابة العربية المنقحة
٦٢ كيمياء الرازي	١٥٣ رسالة غلذير في مكتبات دمشق
حرف اللام	٣٥٣ روح الطموح في المتنبي (محاضرة)
٢٨٦ لغة المتنبي (محاضرة)	حرف السين
٢٦ لغة في التعريب وشروطه	٣٣٦ سفيان المتنبي (بحث)
حرف الميم	حرف الصاد
٢٣٤ المجلة المغربية	٣٠٦ صوت دمشق (قصيدة)
٣٤ مجمعا العلمي وشهادته	حرف العين
٦١ محاضرات في تاريخ لغة العرب	٣٩٥ عبد الحميد الكاتب

الفهرس العام لما ورد في هذا المجلد من المواد والموضوعات ٤٧٧

صفحة	صفحة
٣٧ منهل الورد (جزء ثالث)	١٥٥ المحافظة على الكتب
٣٦٩ المهرجان الالني لابي الطيب (قصيدة)	٣ مخطوطة عبث الوليد (بحث لغوي)
٣٩٧ مهرجان المتنبي الالني (وصفه)	١٥٧ حول (مخطوطة عبث الوليد)
٧٦ موسم الشعر في مصر	١٥٦ المدرسة الإسلامية العليا في
حرف النون	طرابلس الغرب
١٥٦ نسخة قديمة من شهنامة الفردوسي	٣٦ معجم تركي جديد (كتاب)
٨٠ نشوار المباشرة (الجزء الثامن)	٤٣٤ المعجمة العربية في ضوء الثنائية
٣١٥ نظرة في النحو	والالسية السامية
١٥٨ نقد كتاب حياة محمد	٣١١ مقام ابراهيم (رسالة)
حرف الواو	٢ المقدمة
٢٧١ وضع علم النحو	٤١ المتقى من أخبار الاصمعي (الجزء الثاني)



فهرس الأعلام

«أي أسماء كتب للقات المنشورة في هذا الجزء»
«مرتبة على حروف المعجم ، والأرقام للصفحات»

حرف الألف	حرف الشين
أحمد رضا ٣٥٣	سالم الكرنكوي ١١
أدوار مرقص ٢٦ و ٢٩	سعيد الافغاني ١٤١ و ٤٦٢
أسعد الحكيم ١٦١	سليمان ظاهر ٣٦٩
أسعد طلش ٦٩ و ٢٢٧ و ٢٧١	سليم الجندبي ٤٠٢
أغناطيوس كرتشوفسكي ١٥٢	حرف الطاء
أنثاس الكرملي ١٢٧ و ٢٣٥	طه الراوي ٦٥ و ٢٤٨ و ٢٦٥ و ٣١٥
حرف الباء	حرف العين
بركن ١١١	عبد القادر المبارك ٢٨٦
حرف التاء	علي آيزن ٦٢
التونخي (فتى الدين علم الدين) ٣٤ و ٤١	غيتسي اسكندر المملوك ٤٠ و ٥٦
٨٠ و ٨٣ و ١٥٩ و ١٦٤ و ٣٠٦ و ٣٩١	حرف القاء
٤٢٧ و ٤٢٩	فيليب حتى ٣٥
حرف الجيم	حرف القاف
جفر الحسي ٣١٢	قونل斯基 ١٢
حرف الخاء	
خليل مردم ٣٠٤ و ٣٩٥	

حرف الميم	مصطفى الشهابي ٤٥٩
محمد أسعاف النشاشيبي ٣٣٦ و ٣٨٦	المغربي ٣ و ٣٨ و ١٤١ و ٢٥٦ و ٣٥٢
محمد بهجة البيطار ١٥٨ و ٣٠٩ و ٣٨٢	و ٣٧٩ و ٤٥٥
و ٣٩٠	حرف النون
محمد رضا الشيبني ٣٢٧	نجيب الأرمنازي ٢٣٤
محمد محي الدين عبد الحميد ٢٩٤	حرف الياء
مرمرجي ٥٤ و ٤٣٣	يوسف العث ٣٨٩





Bibliotheca Alexandrina



0652772